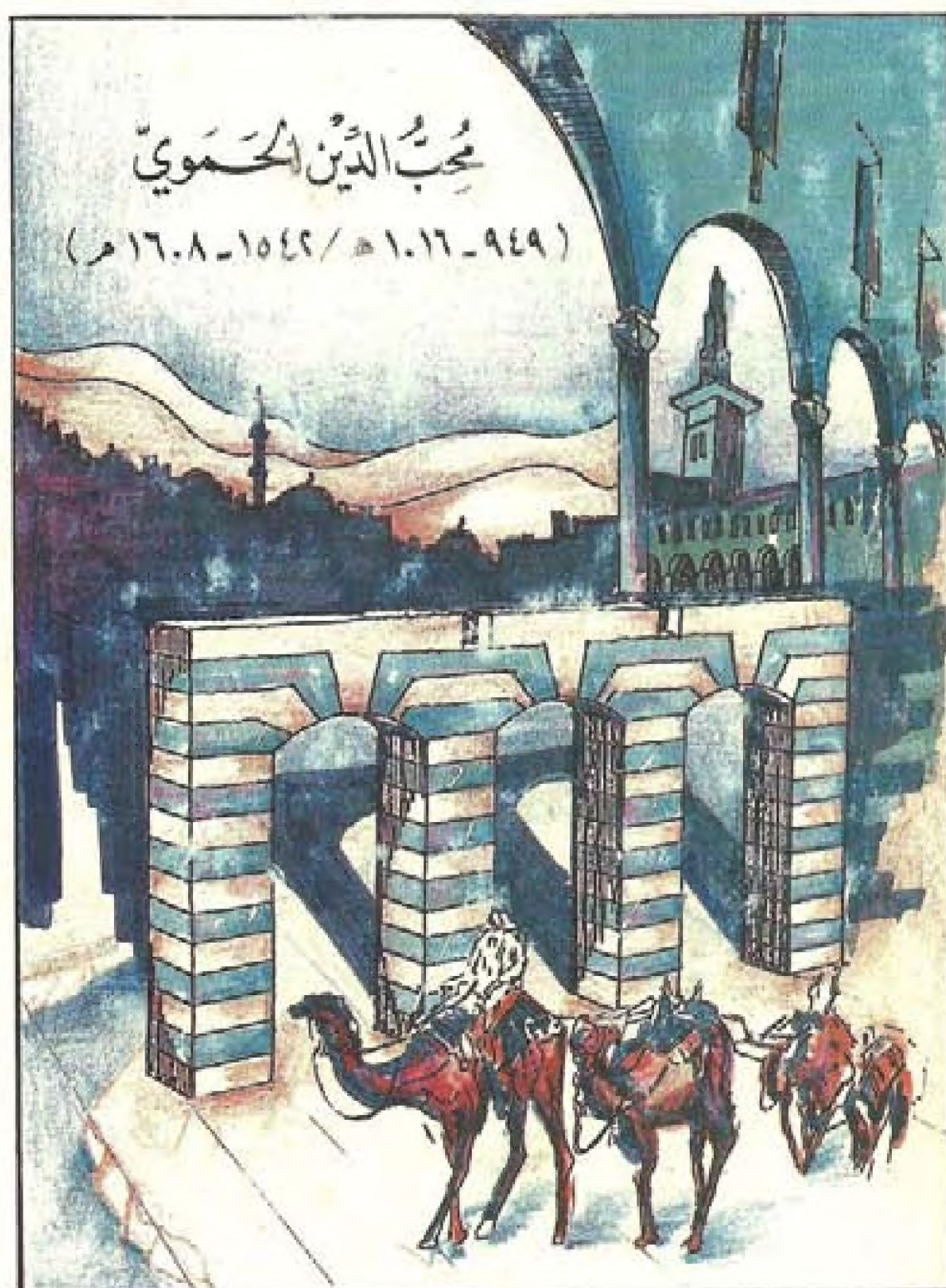




منشورات
جامعة مؤتة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

حادي الأضواء النجدي إلى الزبير المصرية



محب الدين الحسوي
(٩٤٩ - ١٠١٦ هـ / ١٥٤٢ - ١٦٠٨ م)

دراسة وتحقيق
محمد عبدنا النجدي
١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

حاشي على الادعاء بالنجية الى التزوير المصرية

مُحِبُّ الدِّينِ الحَمَوِيَّ

(٩٤٩ - ١٠١٦ هـ / ١٥٤٢ - ١٦٠٨ م)

دراسة وتحقيق
محمد عبد الله النجدي

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ / ١٩٩٣م

حمو

- الحموي، محب الدين بن تقي الدين، ١٠١٦هـ / ١٦٠٨م
حادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية: رحلة محب الدين الحموي إلى مصر
سنة ٩٧٨هـ / ١٥٧٠م / دراسة وتحقيق محمد عدنان البخيت. - مؤتة (الكرك) :
عمادة البحث العلمي، جامعة مؤتة، ١٩٩٣. - ٢٠٠ ص ٠٠ - ر. إ. ٤١١ / ٤ / ١٩٩٣
١. مصر - تاريخ، ١٥٧٠م
٢. مصر - رحلات ووصف
٣. مصر - تاريخ، العصر العثماني
٤. مصر - تاريخ، العصر المملوكي
أ. محمد عدنان البخيت (محقق) ب. العنوان
ج. العنوان : رحلة محب الدين الحموي إلى مصر سنة ٩٧٨هـ / ١٥٧٠م

تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية

١٩٩٣ / ٤ / ٤١١



حضرة صاحب الجلالة الملك الحسين بن المنظم

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بسم الله الرحمن الرحيم

بمناسبة عيد الجيوش الملكي

إلى مقام حفيد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم

جوده الملك الافعال حسب بين طلال المعظم - حفظة الله

الذي يرفع من رعايا البيت الهاشمي

فلا عجز النهضة العربية الإسلامية

بصبر المؤمنين المومنين ونحوها سعي عظيم

الوفى الجلال لتكم دوماً

محمد عتيق البخيت

٤٤ صفر ١٤١٤ هـ

١١ آب ١٩٩٣ م

وكان محب الدين قد سافر إلى حلب ثم إلى القسطنطينية، وأخذ عن جماعة منها، ولزم شيخ الإسلام قاضي القضاة بالشام محمد بن محمد بن إلياس، الشهير بجوي زاده، وعاد في صحبته إلى دمشق ثم سافر معه إلى القدس في مهمته التفتيشية على الكنيسة التي جدد النصارى في القدس شيئاً من بنائها، وذلك سنة ٩٧٨ هـ / ١٥٧٠ م، ثم سافر معه إلى مصر عندما أعطي قضاءها^(٦). وقد أقام محب الدين مدة في مصر، والتقى بأقطاب الصوفية والعلماء فيها وأخذ عنهم. وتولى هناك قضاء فوة

* مما تجدر الإشارة إليه أن للمحقق اهتماماً كبيراً بنشر نصوص الرحلات المتعلقة ببلاد الشام ومصر خلال الفترة العثمانية، وكان قد نشر الرحلة المعنونة بـ "المنازل المحاسبية في الرحلة الطرابلسية" لأبي يحيى بن أبي الصفا بن أحمد المعروف بابن محاسن (ت ١٠٥٣ هـ/ ١٦٤٣ م)، وقد صدرت الطبعة الأولى منها عن دار الآفاق الجديدة، سنة ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١.

(١) وردت ترجمة محب الدين الحميري في: الغزي، لطف السمر ١: ١١٤-١٢٣؛ الخفاجي، ربحانه الألباء ١: ١٩٤-١٩٥؛ المرادي، عرف البشيم: ٥١-٦١، المزيكي، الأعاجم ٥: ٢٨٢، كحلاد، معجم ٩: ١٣٧.

(٢) انظر : الغزوي، لطف السمر ١ : ١١٥ ١١٦ : المحبي، خلاصة الأثر ٣ : ٣٢٣ - ٣٢٤.

(٣) انظر الغزوي، لطف السمر ١ : ١١٥؛ المحبي، خلاصة الاثر ٣ : ٣٢٣ - ٣٢٤.

(٤) انظر ترجمة عبد الله بن محب الدين في خلاصة الأثر ٣ : ٣٠٨.

(٥) انظر : الغزوي، لطف السمر ١ : ١١٩ : المحبي، خلاصة الأثر ٣ : ٣٢٢ : المرادي، عرف البشام : ٦٠

(٦) انظر: الغزوي، لطف السمر ١: ١١٥-١١٦؛ المحم، خلاصة الأثر: ٣٢٤-٣٢٥.

وترمنت والقنا والقصير (٧).

وقد عاد محب الدين إلى الشام، وعمل بالقضاء والفتوى، وتولّى منصب القضاء في حمص، وحصن الأكراد، ومعرّة النعمان، ومعرّة نسرين، وكلّس، وإعزاز، والقدموس وغيرها (٨).

وقد استقرّ أخيراً بدمشق، وألقى بها عصا تسياره سنة ٩٩٣ هـ / ١٥٨٥ م، حيث تولّى القضاء نيابة بالمحكمة الكبرى سنين عديدة، كما تولّى قضاء العسكر بها، وقضاء الركب الشامي. وكانت حصته من الجوالي بعد استقراره في دمشق أربعين عثمانياً (٩).

وقد وازب محب الدين على التدريس والإفادة في المدرسة القضاعية. والمدرسة الناصرية البرانية، والمدرسة الشامية البرانية، والمدرسة السليمية بالصالحية (١٠). كما أفتى بدمشق بالأمر السلطاني العثماني واشتهرت فتاويه بالآفاق، إذ كان علامة نهاية محققاً مدققاً غواصاً على المسائل، طويل الباع في المنقول، قوي الساعد في المعقول (١١). وتجدر الإشارة إلى أن محب الدين كان قد بدأ حياته شافعيّاً، ثم تحوّل إلى المذهب الحنفي الذي كان المذهب الرسمي للدولة العثمانية (١٢).

لقد كان محب الدين، كما ذكرنا فيما تقدّم، ذا ثقافة متنوعة تجمع بين الفقه والأدب والحكمة وغير ذلك من علوم عصره، وعلى الرغم من انشغاله بالوظائف القضائية والمهام الإدارية الكبيرة والعمل بالتدريس، إلّا أنه لم ينقطع أيضاً عن الكتابة والتأليف والمشاركة في الحياة الفكرية في بلاد الشام، وقد ألّف وصنّف عدداً من المؤلفات في موضوعات مختلفة (١٣). ومن هذه المؤلفات حواشيه على تفسير البيضاوي، وأرجوزة في الفقه سمّاها «عمدة الأحكام ومرجع القضاة في الأحكام»، ورسالة في الرد على بعض المتعصبين عليه والمعترضين لمذهبه سمّاها «السهم المعترض في قلب المعترض»، ورسالة ثانية في نفس الموضوع سمّاها «الرد على من فجر ونبح النجم بالقامة والحجر». ومن مؤلفاته أيضاً شرح لطيف على شواهد الكشف سمّاها «تنزيل الآيات على الشواهد من الآيات»، وشرح منظومة ابن الشحنة في المعاني والبيان.

(٧) انظر: الغزي، لطف السمر ١: ١١٦؛ المحبي، خلاصة الأثر ٣: ٣٢٦.

(٨) انظر: المحبي، خلاصة الأثر ٣: ٣٢٧؛ المرادي، عرف البشام: ٦١.

(٩) انظر: المرادي، عرف البشام: ٦٠.

(١٠) انظر: المرادي، المصدر السابق نفسه: ٦٠.

(١١) انظر: المحبي، خلاصة الأثر ٣: ٣٢٧.

(١٢) انظر: المحبي، المصدر السابق نفسه ٣: ٣٢٦؛ الغزي، لطف السمر: ١٥.

(١٣) حول مؤلفات محب الدين انظر: الغزي، لطف السمر: ١٢١ - ١٢٢؛ المرادي، عرف البشام: ٦١؛ البغدادي، هدية العارفين ٢: ٢٦٧.

وله في أدب الرحلات الرحلة المصرية التي سَمَّاها « حادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية » ، وهي موضوع دراستنا هذه ، وله الرحلة الرومِيَّة التي سَمَّاها « بوادي الدموع العَنْدَمِيَّة بوادي السديار الرومِيَّة » التي دَوَّن فيها مشاهداته في رحلته إلى استانبول . كذلك له الرحلة التبريزية التي وصف فيها بعث السلطان مراد لوزيره الأعظم عثمان باشا في سنة ٩٩٣ هـ / ١٥٨٥ م لقتال الصفويين ، وانتصاره عليهم وفتح تبريز ووفاته بعد خروجه منها (١٤) . أمَّا مراسلات محب الدين ونظمه فقد جمع والد المحبي حصة منها فجاءت في نحو أربعين كُراساً (١٥) .

وكانت وفاة محب الدين يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر شوال سنة ١٠١٦ هـ / العاشر من شباط ١٦٠٨ م ، ودفن بالمدفن الكائن قبالة الجانب المحاذي لجامع جراح خارج باب الشاغور في دمشق (١٦) .

(١٤) كان المحبي قد اورد ملخصاً لهذه الرحلة في ترجمة السلطان مراد الثالث ، انظر : خلاصة الأثر ٤ : ٣٤٤ - ٣٥١ .

(١٥) انظر : المحبي ، المصدر السابق نفسه ٣ : ٣٢٢ .

(١٦) انظر المحبي ، المصدر السابق نفسه ٣ : ٣٣٠ . وقد جاء في نطق السمر : ودفن بالقرية التي فيها الشيخ سباعي ، عند رأسه ، لصيق قرية باب الصفير ، ص : ١٢٣ .

٢ - قصة الرحلة

كان قاضي القضاة بدمشق محمد بن محمد الشهير بجوي زاده، ينوي السفر إلى القاهرة، ويطابق سفره إليها تاريخ توليه القضاء فيها منقولاً من دمشق، ولعله كان قد عهد إليه أيضاً القيام بجولة تفتيشية على أحوال القضاء بالديار المصرية جملة. ولكن من الثابت قطعاً أنه كان قد كلف بمهمة تفتيشية في القدس الشريف بأمر من السلطة العليا، وذلك أنه بلغ أسمع تلك السلطة أن نصارى القدس قد أحدثوا تجديداً في كنيستهم الكبرى، وهذا مخالف للشروط الإسلامية التي جرى عليها الاتفاق منذ الفتح، أعني إبقاء الكنائس على ما كانت عليه قبل الفتح ولكن دون بناء أية كنيسة جديدة أو الزيادة في كنيسة قديمة، وإلى ذلك كله فإن زيارة القدس في الطريق إلى القاهرة أمر مألوف محبب إلى النفس، لأنه يتيح للمرء أن يزور الأقصى والصخرة، وذلك قد يكون من الناحية الرسمية - في هذا الموقف - هدفاً ثانياً، ولكن يبدو من الناحية الشخصية أنه هو الهدف الأول. أما الرحلة بالنسبة لمحِب الدين الحموي فكانت تمثل هذا كله، وتزيد عليه رغبة كامنّة في النقلة والسفر لأن « معاقرة الوطن تعقر الفطن وتحقر من قطن ». وكانت مصاحبته لقاضي القضاة تضيف على الرحلة عنصراً جديداً من حسن الرفقة، فقد كان الرجل على خلال سامية، وكان الحموي شديد الإعجاب بتلك الخلال، وبخاصة لطفه، وسلامة طبعه، وإفراط تواضعه، ولعل اختيار قاضي القضاة له كي يكون رفيقه في الرحلة دليل تفضيل وتعظيم كان يقدرهما محِب الدين حق قدرهما.

ابتدأت الرحلة من دمشق يوم الاثنين ١٨ شهر شعبان سنة ٩٧٨، وكان الركب يضم إلى جانب قاضي القضاة ومحِب الدين شخصاً ثالثاً هو المفتي بدمشق الشام أحمد بن عبدالله المعروف بفوري أفندي، إذ كان متدباً مع قاضي القضاة لمعاينة الكنيسة المذكورة. وكانت كل الإعدادات تشير إلى أن القدس محطة مهمة بل ضرورية من محطات تلك الرحلة، وكان في الركب أشخاص آخرون جمعهم وهذا الوفد « الرسمي » طريق السفر أو كانوا مصاحبين لقاضي القضاة ويقومون بخدمته، ولكن اختصاص الثلاثة بمهمات محددة جعلهم متفقين في السير معاً، تقرب بينهم الألفة، والمجال العلمي، والغاية المشتركة، فكانوا يقطعون الطريق بالحديث في الشؤون العلمية والأدبية. وكان المفتي موضع إجلال قاضي القضاة في كل مراحل الرحلة، فقد كان يوالي الرعاية له، ويتخلى له عن مكانه في المحفة. واستغرقهم السير أسبوعاً كاملاً حتى وصلوا لوبية (٢٥ شعبان ٩٧٨ هـ)، وهناك أصبحوا أربعة إذ انضم إليهم معلول زاده أفندي، أما طلائع الركب فقد واصلت السير إلى عيون التجار مع الأحمال والخيام، وقضى الأصحاب الأربعة ليلتهم في لوبية يتبادلون الحديث في موضوعات كثيرة، وأكثر ما يلهيهم الحديث عن علماء الشام ومصر. ولفت انتباه القاضي (محِب الدين)

وقاضي القضاة والمفتي أن معلول زاده، نوه بذكر أربعة من طلاب العلم بمصر، وشدد في وجوب الرعاية لهم، وطلب من القاضي أن يكتب أسماءهم فأثار ذلك فضول أصحابه ليتساءلوا: ترى لم هذه التوصية؟ ولم استحق هؤلاء الأربعة دون غيرهم التنويه؟ وفي صباح اليوم التالي ودعهم معلول زاده. دون أن يحدثنا القاضي محب الدين عن وجهة سفره بالتحديد وعن غايته من ذلك السفر.

وفي أول ليلة من رمضان كان الركب قد شارف قرية لد، فأمضوا فيها يومين للاستراحة، وإحراز بركات الصوم قبل استئناف السفر. وانتهر قاضي القضاة الفرصة لإعلاء شأن الشهر المبارك في نفوس الناس فأخذ في اليومين اللذين قضاهما في لد يمد الموائد، مشتملة «من النفائس على ما تعجز عنه الألسن، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين». وهذا قد يشير إلى استعداد سابق لمواجهة الشهر بما يتطلبه من مواد ومن أيد عاملة رافقت قاضي القضاة في سفرته. وفي الثالث من رمضان بدأ التوجه نحو القدس الشريف، وفي ما كان القاضي والمفتي يسيران منفردين تطفل عليهما شخص من طلبة العلم المصريين، وهو على حمار (ومن المفارقات أن لقبه الجمل) وأخذ يشاركهما في الحديث دون أن يدعى إلى ذلك، مما جعلهما يستقلان ظله، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل حين بلغت المطارحة بين الرجلين العالمين ذكر ما قيل في دمشق من مدائح، وأفضى الأمر إلى ذكر «جلق» اعترض ذلك الطالب وزعم أن جلق تلفظ «جُلُق» - بضم الجيم وفتح اللام - فزاد إلى ثقله جهلاً، فعارضه القاضي بالأدلة الدامغة التي ترد قوله، ولما لم ينفع الحوار العلمي في رده إلى جادة الصواب، اتجه القاضي والمفتي إلى تبكيته بالسخرية منه، ويدل تبادل القول الذي جرى بين المفتي والقاضي على اتقانها لفن السخرية وبراعتها فيه، ولكنهما اضطررا أن يخففا من حدة لهجتهما وتجريحهما، حين وجدا أن الطالب قد تأثر مما سمعه منهما وانحرف مزاجه، فغيّر الموضوع. وهنا يظهر على المسرح شخص جديد لم نصادفه من قبل وهو الشيخ علي المالكي، ولا ندري هل كان في الرفقة حين ابتدأت الرحلة أو كان في من لقيه المسافرون وهم ذاهبون من لد إلى القدس. فقد لجأ القاضي والمفتي إليه ليفسر لهما كيف حمل هذا الطالب لقب الجمل، وبدلاً من أن يواجهها الطالب بما يهدىء من خاطره أمعنا في السخرية، ومهد لهما استعمال لفظي «المقيد والمطلق» (في الحديث عن جمل (إنساني وجمل حيواني) إلى إبراز المهارة في التورية، وهي مهارة يستخدمها محب الدين في كل مجال يسمح بذلك لشدة شغفه بإبرازها.

لم يكد يكتمل يوم الثالث من رمضان حتى كانت الرفقة قد بلغت مدينة القدس الشريف، فنزل قاضي القضاة في المدرسة القايثائية، وبات القاضي والمفتي في رحاب الحرم الشريف، وكان هذا كله تدبيراً مؤقَّتاً ريثما يجدون منزلاً يأوون إليه. وفي الصباح كتب محب الدين إلى الشيخ عبد النبي بن جماعة يلتمس منه منزلاً، فهيأ ابن جماعة داراً للمفتي مقابله داره، وأنزل

القاضي في بيته ، وهكذا تباعد ما بين الأصحاب الثلاثة في المسكن ، وشغل الشيخ عبد النبي بخدمة قاضي القضاة ، إلا أنه لم يقصر في خدمة ضيفه ، ومع ذلك فإن محب الدين قد وجد في شخصية الشيخ عبد النبي مظاهر مستطرفة ، ولم ينسئ إكرامه له أن يتحدث عنها بطريقة ذكوة ؛ وهذا موقف ثانٍ بعد الموقف من الطالب المصري يكشف عن حقيقة مزاج محب الدين ، فهو يرسم صورة «المغفل» للشيخ عبد النبي إذ يقول إنه كان إذا تكلم بالأوليات يلقيها على سامعه كأن المخاطب لا يسمعها إلا لأول مرة ، «وكان في واد ونحن في واد ، وشتان بين مريد ومراد ، وكان إذا أنشد بيتاً من الشعر يخلع أوتاده ، وكان يجد لدى المفتي نظيراً مشاركاً له في محبة التهكم والسخرية ، حتى لقد قال له المفتي معلقاً على تكسير ابن جماعة للشعر عند إنشاده : «إن مولانا الشيخ كان حلف يميناً أن لا ينشد شعراً موزوناً» . ومع ذلك فقد كان الشيخ عبد النبي قد أحرز لقب شيخ الإسلام ، وبعيداً عن منطقة السخرية والتهكم عرض عليه المفتي تعليقات كان قد وضعها على تفسير البضاوي حين كان يدرسه للطلاب بدمشق ، لعله يسمع فيها رأياً من ابن جماعة قريباً من منطقة المدح والتقريظ ، فما كان من الشيخ المذكور إلا أن مدحه بطريق الدم قائلًا : «والله ما كان في ظن الفقير أنكم تحررون مثل هذا التحرير ، وما هذا إلا كلام صحيح ، وما ذلك منك يا مفتي إلا فهم (إلا كلام في ل) مليح» وكأن الشيخ عبد النبي كان يرد على المفتي بمثل صاعه ، إذ لعله لمح تبادل التهكم به بين المفتي ومحب الدين ؛ واستمر تبادل التعليقات اللاذعة بين الشيخ وضيفه ، فإذا وصف الشيخ أحد الناس بدمشق بالفضل والعلم ردًا عليه قائلين «والله يا مولانا لقد استسمنت ذا ورم» ، وإذا قال إن العالم الدمشقي مدحه بقصيدة ، اتفق الضيفان على القول بأنها لا بد مسروقة .

وكان الشيخ عبد النبي قد حصل في بيته بعض الكتب ، فعرض ما يملك منها على ضيفه ، فأعجب المفتي بكتاب عنوانه «الاتقان» لعله كتاب السيوطي في علوم القرآن وأحب أن يحوزه ، فرفض الشيخ أن يعطيه إياه ، وعندئذ وكل المفتي إلى محب الدين أمر تليينه ، فاستطاع هذا بلباقته أن يشبه عن الرفض ، وسمح للمفتي بأخذ الكتاب .

يحتج ذكر قاضي القضاة في هذا السياق ، إذ لعله وجد أنه بحاجة إلى راحة في القايته مما ألمَّ به من وعثاء السفر؛ غير أنه في اليوم السابع من رمضان ، خفَّ إلى المهمة الرئيسية التي حملته إلى القدس ، وهي التفتيش على الكنيسة ، فذهب إليها بصحبة المفتي والقاضي ، واحتشد جمع غفير من العلماء ومشايخ الإسلام ومن أبناء القدس على اختلاف مستوياتهم ؛ وأسفر التفتيش عن اكتشاف أمرين : أولهما هدم مسجد قريب من الكنيسة ، وإضافة زيادات إلى الكنيسة نفسها ، فأمر قاضي القضاة بإعادة المنشأتين إلى حالتها الأولى ، وتولى قاضي القضاة تعزيز من خرجوا على ما أكدته الجهود ؛ وحانت صلاة العصر في ذلك الموضع فصلى قاضي القضاة بالناس إماماً ؛ وبعد تسوية ما احتاج إلى تسوية ظل قاضي القضاة وصاحبه في القدس ليقوموا بزيارة مقامات

بعض الأنبياء والصالحاء ، وصلّوا جمعة بالصخرة الشريفة وجمعة بالأقصى ، وكانت جملة مدة الإقامة بالقدس عشرة أيام .

في اليوم الثالث عشر من رمضان كان لا بد للركب من التفرق ، فيعود المفتي إلى دمشق ويودعه صاحبه ، ويمضي القاضي القضاة وصاحبه إلى القاهرة ، سالكين إليها الطريق إلى خليل الرحمن (١٤ رمضان) لزيارة البلدة وما فيها من مزارات ، وبخاصة مقام إبراهيم وقبور أولاده الأنبياء . وأقاما في الخليل يومين توجهتا بعدها إلى غزة ، بعد أن ودعا من صحبهما من علماء القدس الشريف . واستغرقت رحلتها إلى غزة ليلتين إذ وصلها في ١٨ رمضان ، ولا يذكر المحب شيئاً عن الحياة في كل مدينة أو قرية حلّ بها ، ولا يصف معالمها الكبيرة ، وذلك ما يمنح رحلته هدفاً محدداً ، وهو ذكْرُ من يلقاه من العلماء . ولهذا لم يتوقف في غزة عند أية ظاهرة فيها ، وإنما اهتم بلقائه لعالمها - دون أن يذكر اسمه - واستمع إليه يشكو خلوّ غزة من العلماء الفضلاء ، وعن جهل أهلها لمكانة العالم ؛ وعجب القاضي مما سمع ، لا لأنه كان يتوقع أن يجد في غزة جمهرة من العلماء ، بل لأن الشكوى لا ضرورة لها ، وباب الهجرة مفتوح ، وفي الهجرة مراغم كثيرة وسعة ، فكان رد عالم غزة أن التعلّق بالوطن يحول دون ذلك ، وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن حين يكون وطناً .

كان هذا العالم الغزيّ قد زار مدينة حماة وتعرف إلى بعض أهلها ، فوجد فرصة سانحة أن يستعيد ذكرى تلك الزيارة أمام أحد أبنائها (محب الدين) ، فأخذ يتفنن في الحديث عن أشواقه إليها وعن جمالها ، ويسائل محب الدين عن ما انتهى إليه حالة من عرفهم من أبنائها ، فيثير شوقه إلى بلده ، وإلى ذكرياته فيه . وكان من أبرز من توقف عند ذكرهم من الحمويين الشيخ محمد بن علوان اعترافاً بفصاحته وعلمه وفضله ، واسترجع العالم الغزي ذكر ما شاهده من مياها وجناتها ، وبساتينها ومتمزهاها ، وما قاله الشعراء من شعر في وصف معالمها الجميلة . وسأله عن قصر ابن حجة ، فكان جواب محب الدين «إن تلك المنازل والأوطان قد تعرضت لها أيدي الحداث ، وأدخلتها في خبر كان» . وبعد الحديث عن حماة ، تحوّل إلى ذكر دمشق الشام ، وكان كل ذلك يهيج شوق القاضي إلى الربوع التي ألفها ، ولذلك سأل صاحبه الغزي أن يترفّق في بعث الذكريات من مراقدها ، وهو إنسان - على رغم من أسفاره - مولع بحب الوطن ، شديد التأثر ، يمتلكه الحنين إلى المعاهد الأولى .

لم تطل إقامة الرجلين في غزة بل غادراها في العشرين من رمضان ، فمرّاً بقطية (قطيا) من عمل بلبس الشرقية ، فاستقبلهم قاضيها تقي الدين بن معروف وبصحبه عدد من قضاة الديار المصرية ، وكان جوي زاده على معرفة سابقة بقاضي قطية ، حتى أنه حين وصله الاستدعاء لتولي القضاء بالقاهرة كتب إلى الباشا بمصر يسأله أن يكون ابن معروف نائبه على قضاء القاهرة إلى حين وصوله . وبياتاً بمنزلها ذلك ليلة واحدة ، فارقاه بعدها إلى محمية الخانقاه (في ٢٥ رمضان) ، فخرج لاستقبالهم

قاضيها أحمد بن شعبان، ثم أخذ المستقبلون يقدمون أفواجا تلو أفواج . وأشرف قاضي القضاة وركبه على مدينة القاهرة يوم ٢٦ رمضان ؛ وخرج القضاة والعلماء وأرباب الدولة يستقبلون قاضي القضاة، ودخل القاهرة التي ستصبح مركز عمله في جمع حافل .

عند هذا الحد يفاجئنا محب الدين بسبب جديد استدعى سفره إلى القاهرة، فقد كان قاضي القضاة متوجهاً لتسلم منصبه، أما هو فقد كان يعلق أهمية كبيرة على لقاء «سيدي البكري»؛ إن هذا السبب الجديد قد يجعل لقاء العلماء من أهم أسباب الرحلة، ولكن تميز البكري وتميز منزلته في نفس محب الدين، منذ أن سمع باسم «السيد»، قد يجعل لقاءه غاية في ذاتها . فقد أشرب الشوق إلى رؤيته منذ الصغر، وكلما تتابعت الأيام زادته شوقاً . ولهذا كان يوطن النفس على أن لا يقدم شيئاً على لقاءه، فلا يلبث حيث ينزل إلا قليلاً حتى يخف إلى زيارته . ولكن من المفاجآت أن يجد البكري قد جاء هو نفسه للتسليم على قاضي القضاة . فلما قضى حق التسليم، بهذا اللقاء الاتفاقي، كان لا بد لقاضي القضاة وصديقه أن يقوموا بأداء «السلام الشافي»، وذلك بأداء زيارة واجبة عامدة، فتوجها ثاني يوم حلولهما القاهرة للسلام عليه في منزله، وأعجب محب الدين بلطفه ومعارفه الشاملة، وسموقه على من حوله من علماء القاهرة: «وفي الحقيقة فما علماء هذه الديار إلا كالنجوم وهو كالشمس . . . حاز قصبات السبق في علم التفسير، وفاق الأوائل والأواخر بحسن التحرير فيه والتحبير». وأهم من ذلك من ناحية شخصية أن اللقاء بين السيد البكري ومحب الدين قد أثبت المحبة الأكيدة؛ وحين وصلت إليه من حماة كمية من الفستق المشر قام بإهدائها إليه، وتردد إلى زيارته، وجرت بينه وبين السيد مكاتبات أثبت بعضها في هذه الرحلة وفي هذه الرسائل بعض القضايا المتصلة بالقضاء وأحواله، ولكنها في معظمها مجال لإظهار القدرة على حوك العبارة الجميلة التي تعتمد كثيراً على السجع والإشارات والإيحاءات، فهي معرض لتفنن محب الدين في الأسلوب، وأسلوبه غير خارج عن طبيعة عصره، ولكنه يتميز بالإرهاق والخفة والملاحة، وهو يدل على أن ذاكرة محب الدين كانت تدخر قدراً كبيراً من الشعر الذي ينتمي إلى مختلف العصور، وعلى سيطرة محفوظة من الآيات القرآنية على قلمه .

وإذا كان السيد البكري قد ملك على محب الدين إعجابه، فإن القاهرة لم تنل الكثير بل القليل من ذلك الإعجاب: كان دائماً يضع موضع المقابلة ما أحبه في دمشق وما ألفه فيها من معاهد وما رآه في القاهرة، فلا تستطيع الثانية أن تنافس الأولى في نفسه، ولهذا وجد أن ما يتحدث به الناس عن محاسن القاهرة إنما هو من قبيل المبالغة، وهم يذكرون من متنزهاتها «بولاق» وليس في بولاق سوى غزارة الماء، فأما الخضرة فلا وجود لها هنالك، وأين ذلك من متنزهات دمشق؟ وحين وجد أن ذلك يمثل موضوعاً للمفاضلة بين المدينتين كتب بانطباعاته رسالة إلى الشيخ إسماعيل النابلسي،

ولا يذكر كيف اطلع السيد البكري على تلك الرسالة وتحين الفرصة ليعاتبه على ما قد يعده هوى متحيزاً. فقال للشيخ نور الدين العسيلي وهم معا ذات يوم «أن الشيخ محب الدين من أكبر المتعصبين على مصرنا». ومع أن محب الدين لم بشر إلا أن هذا العتاب كان صادراً عن جرح عميق في نفس البكري، بل حمله على محمل الصداقة، فإن لقاءً بين البكري وقاضي القضاة بحضور محب الدين قد كشف عما هو أعمق من ذلك. فقد قام قاضي القضاة بنوع من الوساطة يؤكد فيها محبة محب الدين للبكري ويقول له: «هذا الشيخ محب الدين ما هو إلا عبد جنابكم الخطير». ولعل مثل هذا الكلام لم يصدر إلا بعد أن لحق العلاقة بين محب الدين والبكري شيء من غشاوة مكدره؛ إذ بعد هذا التوكيد من قاضي القضاة اضطر محب الدين أن يؤكد الحديث من جديد عن المحبة والعبودية، كأنه كان يحاول أن يزيل ما لعله علق بنفس البكري مما استشفه من تعصب محب الدين لدمشق على القاهرة.

بعد ذلك تتحول الرحلة إلى ذكر أهم علماء الديار المصرية، فيترجم محب الدين لعشرة منهم، وهذه الترجمات لإيجازها وقيامها على المبالغة في الثناء والسجع لا تقدم شيئاً كثيراً، ولكن وقفته هذه ترتبط بوصفه لمن لقيه من العلماء، وتجعل من الرحلة مادة مسعفة على دراسة الأحوال العلمية في الشام والقاهرة يومئذ. ومن اللافت للنظر أنه بعد تراجع العلماء العشرة، قال في من تبقى من علماء تلك المدينة: «وأما بقية الأفاضل بمصر فإنهم لثلاثة حالهم ليسوا بمشتهرين، وإن مشى أحدهم بين الناس لا يكاد يبين، مطروحون في زوايا الخمول، ولا يترفل في المناصب إلا الجهول»، وإنما حاول محب الدين أن يحصي الفضلاء من العلماء دون الخاملين، ليوصي بهم قاضي القضاة. وفي الحقيقة ليتخذهم قاضي القضاة أعواناً لنفسه على الخير، وينفذ من خلاهم إلى معرفة المجتمع القاهري. ذلك لأن جوي زاده كان قد أضمر القيام بحملة إصلاحية، يقتضي فيها خطى والده، يوم كان والده قاضياً لتلك المدينة نفسها. ووجهت أول حملة قادها في هذا السبيل إلى القضاء على كل حانة في القاهرة ومصر العتيقة، وبولاق، فكسرت دنان الخمر في كل مكان هنالك وعطلت بيوتها أو خربت. واتجه بهيمته نحو المساجد والأوقاف، فرمم ما تهدم منها، ومنع الإماء المسلمات من أن يُبْعَنَ لغير المسلمين.

ومنذ أن نزل محب الدين القاهرة مع قاضي القضاة لم يفته أن يقوم بزيارة مشاهد من بالقاهرة من الصحابة والأئمة والأولياء الكرام، فزار قبر عقبة بن عامر الجهني الصحابي ومقام الإمام الشافعي وقبر علي بن الحسن بن زين العابدين وقبور بعض العلماء مثل القاضي زكريا الأنصاري والملوك مغوش التونسي ومقام الليث بن سعد ومقام السيدة نفيسة ومقام عمر بن الفارض وغير ذلك من الزارات. ولكن السعي إلى الزيارة والبركة لا يمكن أن يشغل كل وقت محب الدين. ولم يفت هذا قاضي القضاة، ولهذا سعى إلى إيجاد وظيفة له، وعقد أول أسبائها حين زكاه كثيراً عند إسكندر باشا

حاكم القاهرة، فأخذ محب الدين يتردد إلى زيارة الحاكم ويتعرف إلى البطانة التي تلتف حوله، ويقابل له بعض كتب التفسير ويصححها ويحررها. وحين أصبح منصب القضاء في تزمّت خالياً، رشّحه له الباشا المذكور، فإفر إلى تلك البلدة وتولّى القضاء فيها، ولكنه لم يلبث إلا قليلاً حتى أعطي القضاء لشخص آخر، فغادر تزمّت عائداً إلى القاهرة، حزينا على فقدان منصبه، وزاد حزنه حين بلغه لدى عودته إلى القاهرة وفاة المفتي فوري أفندي، فكان لفقده أبلغ الأثر في نفسه، ولم تكّد تطمئن نفسه إلى أن الموت حكم مقضي حتى فقد اسكندر باشا. وجاء الوزير سنان باشا ليخلفه في منصبه، وصادف أن توفي قاضي فوة، فسعى له قاضي القضاة عند الوالي الجديد ليوليه قضاءها ففعل، فغادر القاهرة ذاهباً إلى فوة ومعه صاحبه الشيخ علي المالكي. ودخل البلدة عشية يوم الأحد ١٧ جمادى الأولى سنة ٩٧٩ هـ؛ وبعد مدة قصيرة جاءت المراسيم بتوليته قضاء قنا والقصر، ولصاحبه الشيخ علي بأن يعود للتدريس بالمدرسة السرياقوسية في منصب أعلى من ذي قبل.

هكذا بعد مضي ما يقارب من عام أصبح محب الدين ذا سلطات قضائية واسعة، وتولى التفتيش على محاكم شرعية كثيرة في منطقته، وكان أثناء الجولات التفتيشية تلك يجتمع إلى القضاة الشرعيين ويجري الحوار بينهم في مسائل تعرض لهم، وكان هو يكتب بما يجري إلى قاضي القضاة بالقاهرة كتابات مطولة. وتدل هذه الكتب التي عرض جانباً منها في كتاب الرحلة على أن الفساد كان قد تسلل إلى مؤسسة القضاء ومؤسسة الوقف. فقد اضطر أن يعزل لدى قدومه إلى فوة نائبين كان يتظلم منهما الناس، فاصطدم لذلك بقاضي رشيد الذي كان «لاستعماله الكيف بلا متى ولا أين، لا يرى دائماً إلا وهو مفتوح الفم مضموم العين»، وهاجمه ذلك القاضي فائلاً إن تولية سنان باشا له غير صحيحة، لأن سنان باشا وال، وتولية القضاء يجب أن تتم من قبل الخليفة نفسه. أما الجهل بصحة اللغة وتفشي الأخطاء المضحكة فقد جعل نموذج قاضي دمنهور وقاضي الفيوم: وبخاصة الثاني منها، فإنه يجيء في كتابته بالعجب العجائب. ولست أريد أن أطيل في هذه الناحية، ولكني لا أملك إلا أن أتساءل كما قد يتساءل كل من يقرأ صفحات هذه الرحلة: ألا نجد في الخط على قضاة البلدان التي عرفها محب الدين في مصر، شيئاً من التعصب؟ وهل يمكن لقائل أن يقول إن محب الدين يرفع من قيمة نفسه على حساب غيره؟ ثم ألا يشبه هذا موقفه من القاهرة؟ والجواب على هذه الأسئلة وأمثالها أن لا نأخذ موقف محب الدين من القاهرة مدخلاً لغيره، فذلك قضية عاطفية، ولكن العلاقة بالقضاة علاقة عمل، ولو أن محب الدين حمل على كل من لقيه من القضاة لكمة أنسا على الظن بأنه اتّخذ ذلك مدخلاً لتزكية نفسه؛ ولكنه قد مدح قضاة بأعيانهم مثلما ذم آخرين، وحسبك ثناؤه على قاضي اسكندرية وقاضي منوف. ثم إنه استشهد على أحكامه بشواهد يقينية، مما يجعل أحكامه قائمة على أسس قوية.

لم تطل إقامة محب الدين في فوة، إذ كانت إقامته حسب قوله - ضِعْفَ مقام موسى (ثمانين ليلة)، وغادرها حين عين لها قاضٍ آخر، عائداً إلى القاهرة، وكان مما يعزّيه عن فقدان منصبه أن أهل البلد كانوا راضين عن سيرته. وكتبوا له محضراً بذلك، ذكروا فيه أنه لم يل بلدهم قاضٍ مثله؛ وفي الثامن عشر من شعبان، أي في مثل يوم خروجه من الشام عاد إلى القاهرة، وكان ذلك يعني أنه قد مضى عليه عام كامل، منذ أن فارق دمشق. وعادت إليه الذكريات: كيف مدحه شعراء الشام، وهم يودعون، مثل الشيخ محمد الفزاري. ووصل القاهرة هذه المرة عائداً من فوة في أواخر شعبان، لا يفكر في شيء سوى لقاء صديقه وراعيه قاضي القضاة، وأطلعه على محضر أهل فوة، فما كان من قاضي القضاة إلا أن اصطحبه في اليوم التالي إلى سنان باشا، حاملاً المحضر معه ليطلعه عليه.

وأثناء مقامه في القاهرة وردته رسائل شعرية ونثرية من أصدقائه بدمشق، وهو يعرضها في الرحلة، وكأنه دون أن يقصد يقارن بين مستوى البلاغة في بلده، ومستوى البلاغة بين بعض قضاة البلاد المصرية. ولكنه ما كاد يستريح في القاهرة على مدى أسبوعين من شهر رمضان حتى ندبه الباشا إلى الإشراف على عمارة قلعة بالقصير، فسافر إليها عن طريق قنا، وتولى ما عهد به إليه.

هنا حدث ما لم يكن في الحسبان إذ نقل قاضي القضاة إلى قضاء مدينة بروسة، ومحب الدين غائب في بلاد الصعيد، ولم يعرف بانتقال راعيه وصديقه، ولهذا لم يتمكن من القيام بواجب توديعه؛ صحيح أن قاضي القضاة لم ينسَ له انتقاله بل بعث إليه سلاماً مع قاضٍ جديد معين لجرجا (لدجرجا). ولكن هذا الوفاء وحده، دع عنك سابق الرعاية واللفظ، كان كافياً ليشعر القاضي محب الدين بأنه يعاني زلزالاً نفسياً قضى على طمأنينة نفسه واستقراره «ثم إن هذا العبد (يعني نفسه) بعد بُعْدِ مولانا قاضي القضاة ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وعانين أن روحه من جسده سلبت، وشرب بعد بينه كأس فراق ذهب بلبه كلّ مذهب، نسقاء النوى سوط عذاب طعم الصبر أطيب منه وأعذب...»، لهذا فإنه حين جاءه الأمر - وهو على هذه الحال - بتعيينه قاضياً بأسنا وإبريم لم يَرْحُبْ صدره بهذا التعيين بل واجهه برسالة إلى قاضي القضاة يطلب إليه فيها أن يتوسط له عند ذوي الشأن لعله يعود إلى أرض الوطن، وكتب رسالة أخرى بالمعنى نفسه إلى قاضي العساكر، يعبر فيها عن وحشته وهو بأقصى الصعيد بعيداً عن أهله، لا أنيس له، وقد طال عليه الاغتراب. وجاءه الفرح أو ما هو قريب منه حين ورد إليه الخبر في أوائل ذي القعدة ٩٨٠ هـ بأنه قد عين قاضياً بقضاء قدموس، فتوجه إلى القاهرة، وهو يشعر بالوحشة، ويمّم جناب القاضي بها رمضان أفندي الشهير بنظام زاده ليسلم عليه، وهو يتمثل بقول الشاعر:

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نساها

وأقام بقية العام في القاهرة وهو مشغول النفس بالرحيل ، وحين وجد أن العودة إلى القدموس برّاً تحتاج إلى انتظار طويل ، عزم - بعد تردد يتلوه استخارة - على السفر بحرّاً؛ فانطلق إلى دمياط ، وأقام فيها عشرة أيام ينتظر مركباً؛ حتى أتيح له السفر؛ فأشرف على طرابلس في ٢٠ المحرم ٩٨١ هـ ، وأعجبه طرابلس حين نزها ومشى في شوارعها ، ولقي فيها محمد بن الفراء دمشقي ، وكان هذا الرجل قد أتى صحبة الوالد من حماة إلى القدموس ، ثم دخل طرابلس للنزهة ، فكانت فرصة مواتية لمحبة الدين كي يسأله عن الأهل والأحباب ؛ وفي ١٣ صفر وصل إلى القدموس ، ولكن شوقه إلى حماة لرؤية والديه كان يُقْصُصُ مضجعه ويحول دون استقراره ، ولهذا حين واثت الأسباب عاد إلى بلده فوصله في غرة ربيع الثاني وقد طالت غيبته عنه حتى تجاوزت ثلاث سنين ؛ ومن العجيب أن ظمأه إلى حماة وجد ريثاً في بضعة أيام ، ثم غادرها إلى دمشق ودخلها في الربيع الثاني ، وعاد إلى المناطق التي ألفها والناس الذين أحبه ، ولكن كان شيء جديد لم يدرك محبة الدين أبعاده قد تلبس به ؛ كانت الرحلة - على ما تثير من مواجد وأشواق - بل لعلها لما تثير من تلك المواجد والأشواق ، قد غلبت على نفسه ، فأصبحت «جرثومة» السفر تنغص لديه حب الاستقرار وتقاومه . فعاد إلى القدموس ليقوم بأداء واجبه هنالك ؛ وظل فيها يفصل الأحكام حتى أوائل شعبان .

قبل ذلك بما يقارب خمسة أشهر وصل إليه خبر مفاده أن محبي الدين معلول زاده تولى قضاء العسكر ، فداخله السرور لأنه عرف هذا الرجل في أوائل رحلته إذ لقيه عند لوبية ، وأمل على يديه خيراً ، وأخذ يمتني نفسه بأن تلك المعرفة ستكون له ترقية في المنصب ، فكتب إليه يذكره بنفسه ، ولكن ما كان أشدَّ إخفاقه حين أرسل قاضي العسكر أحد الجبهة ليتولى منصب محبة الدين ؛ فلم يحرم من نيل منصب رفيع وحسب ، بل حرم من منصبه المتواضع في قضاء القدموس ، وكأنها كان تذكيره لمعلول زاده بنفسه استشارةً لمُوجَدَةٍ كان يحملها الرجل عليه . ترى ما الذي جعله يقف منه هذا الموقف؟ لعل إفراطه في الولاء لقاضي القضاة جوي زاده هو السبب في ذلك .

وهكذا غادر القدموس على الرغم من تأسف أهلها على فراقه ، ويمم صوب دمشق ليسلم ما كان جمعه من مال العوارض إلى الدفتر دار في تلك المدينة ، وأقام فيها مدة معزولاً ، واجتمع عليه أمران : وطأة العزل والشغف بالسفر؛ ولكن إلى أين يذهب؟ إن استانبول تحقق له الأمرين معاً ، فقد تيسر الحصول على وظيفة كما أنها قد ترضي لديه رغبة ملحة في تغيير «المناخ» الجغرافي ؛ وحين قرر الذهاب إلى استانبول كان ينشئ رحلة جديدة وينشئ بها مرحلة أخرى في حياته .

إن رحلة محبة الدين الحموي من الشام إلى مصر ، رحلة في مسافة مكانية قصيرة مألوفة ، ليس فيها غرائب ولا مغامرات ولا حديث عن مجتمعات جديدة وعادات لافتة للنظر؛ ولهذا لم يحتل المكان فيها حيزاً مهماً؛ كما لم يحتل فيها الناس إلا الحيز الخاص بالمؤلف ؛ إنها قد تكون

فصلاً في سيرة ذاتية ، ومن هذه الجهة تستمد قيمتها في التعريف بالمؤلف ، وأصحابه ، وما تجدد من معارفه ، ومن مراسلاته ، زمن القضايا العالقة باهتمامه ؛ ومن هذه الناحية تتميز بالإمتاع ؛ كما أنها تؤلف فصلاً في أدب ذلك العصر ، في صورته الشعرية والنثرية ، ولهذا فهي تتمتع بالقاء الضوء على المستوى الفني لذلك الأدب .

٣ - النسخ المعتمدة في التحقيق

وفقت الى الحصول على خمس نسخ من مخطوطات هذه الرحلة ، وإليك وصف كل نسخة منها :

(١) مخطوطة مكتبة جامعة كيمبرج المصنفة تحت رقم : QQ 129 ، (ويرمز اليها بالحرف ك) وهذه النسخة تشمل رحلتي الحموي الأولى وهي موضع دراستنا هنا وتحمل عنوان : حادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية . والثانية بعنوان : بوادي الدموع العندمية بوادي الديار الرومية . وتقع الرحلة الأولى في سبع وثلاثين ورقة ، وهي من أكمل النسخ الموجودة لدينا ، نقلت عن نسخة أقدم حيث جاء على صفحة عنوان المخطوط ما يلي « هذه رحلتي [كذا] مولانا القاضي محب الدين المسماة الأولى بحادي الأظعان النجدية الى الديار المصرية ، والثانية بوادي الدموع العندمية بوادي الديار الرومية رحمه الله تعالى رحمة واسعة أمين » ويدون الناسخ على الصفحة الأولى أبيات الشعر التالية التي قالها صاحب الرحلة على هذا النحو للمرحوم القاضي محب الدين المذكور:

حككت قامتي لاماً وقامة منيتي	حككت الفا بالوصل قلت مسائل
إذا اجتمعت لا مي مع الألف التي	حككت قواماً ما يصير فقال لا
وله رحمه الله تعالى :	

لما منعت عن الجنباب السامي	من عرض أحوالي وذكر مرامي
أضحت مراد اتي إلى أعتابيه	تنهى اليه بألسن الأقلام

وخط النسخ واضح ودقيق ، ومعدل عدد السطور في الصفحة الواحدة واحد وعشرون سطراً ، بمعدل إحدى عشرة كلمة في السطر الواحد ؛ وطول السطر الواحد حوالي تسعة ستمترات ، وطول الكتابة في الصفحة الواحدة حوالي ستة عشر ستمتراً ، وعلى أطراف الصفحة الواحدة كثير من التوضيحات وهي قسمان : القسم الأكبر بخط الناسخ نفسه وهي في الغالب النصوص التي اقتبس منها الشيخ الحموي أو أشار إليها من آيات قرآنية ، أو أبيات شعر . والقسم الثاني بخط أحدث وجاءت على شكل شروح لغوية ، كما جاء لدى الناسخ الأول إبراد أبيات من الشعر استعار منها صاحب الرحلة أو أشار إليها .

(٢) نسخة مكتبة عاطف أفندي باسطنبول وتحمل رقم ٢٠٣٠ ، وقد جاءت شاملة رحلة الحموي الثانية : بوادي الدموع العندمية بوادي الديار الرومية ، وتقع في ثمان وثلاثين ورقة ، وهي مكتوبة بخط جميل جداً ، وكما يبدو من العنوان فأنها نسخة خزائية فريدة ، كتبها المؤلف بنفسه أو قرئت عليه ، اذ جاء على صفحة العنوان بعد إثبات عنواي الرحلتين ما يلي : « إنشاء فقير عفو ربه المنير محب الدين بن تقي الدين الحموي عامله الله بلطفه الخفي آمين » .

ومسطرة هذه النسخة كما يلي ، تضمنت الصفحة الواحدة تسعة عشر سطرا بمعدل إحدى عشرة كلمة في السطر الواحد ، وطول السطر الواحد ستة سنتيمترات ونصف ، وطول الصفحة المنسوخة حوالي ثلاثة عشر سنتيمتراً ونصف . وفي هوامشها العديد من النصوص بخط الناسخ جاءت موضحة لما احتوى النص من اقتباسات سواء أكانت آيات قرآنية أو أحاديث نبوية ، ولكن بالدرجة الأولى ما جاء اقتباساً من الأشعار . وبجانب هذه الحواشي ملاحظات بخط يختلف عن خط الأصل ، ووضع تعليقات أو ترجيحات لوجوه قراءة بعض الكلمات التي جاءت في النص ، ولكن هذه التعليقات جاءت على شكل « لعله » ثم يتبع ذلك بالتعليق . والملاحظ أن هذه النسخة ناقصة من آخرها بمقدار ورقة وربيع مقارنة بنسخة مكتبة جامعة كيمبرج .

وعلى صفحة العنوان لهذه المخطوطة تمليكات منها : « من كتب العبد الفقير إلى ربه الغني المعين أحمد بن محمد المدعو بذهبي غفر لهما ، ثم انتقل إلى ملك أفقر الوري إليه تعالى روعي المدرس كافة (؟) الله له بحلول سنة ١٥٢ »

هذا كتاب لويياع بوزنه تبراً لكان البايع المغبوننا

مجموعة صغيرة فيها لطائف كبيرة كثيرة لله در مؤلفها المرحوم . وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (ع) . وتعد أكمل النسخ في الدقة والضبط ، بعد نسخة جامعة كيمبرج .

(٣) نسخة الظاهرية رقم ٦٩٨٥ (ورمزها ظ) وقد جاء عنوانها كما يلي : هذه رحلة مولانا القاضي محب الدين الحموي المسماة بحادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية ، رحمه الله تعالى آمين « وهي مصنفة في مكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٦٩٨٥ مجموع ، وهي نسخة كاملة ومكتوبة بخط مقروء وواضح ، وتتضمن الصفحة الواحدة واحداً وعشرين سطراً ، طول السطر الواحد حوالي تسعة ونصف سم ، وطول الصفحة المنسوخة ستة عشر سم . وهذه النسخة خالية من الهوامش ، لأن ما جاء هامشاً في غيرها قد أدرج في المتن .

(٤) نسخة مكتبة الظاهرية رقم ٨٣٨٧ (ورمزها ر) وتقع في اثنتين وخمسين ورقة مكتوبة بخط عادي متأخر فيه عدم دقة ، وتحمل على حوافها بعض الملاحظات وتعاني من كثرة النقص مقارنة بالنسخ الثلاث السابقة ، وكل صفحة تحوي ١٩ سطرا ومعدل عدد الكلمات في السطر الواحد سبع كلمات ، وجاء عنوان المخطوط كما يلي : « هذه رحلة القاضي محب الدين مع جوي زاده الى الديار المصرية » ، ووصفها المصنف بأنها ناقصة وعلى صفحة تمليك جاء فيه : « في نوبة أفقر الورى إليه من عباده محمد علاء الدين ابن الشيخ محمد عابدين عفى عنها أمين ، ١٥ صفر ١٣٦٥ » .

(٥) نسخة ييل ٨١ ورقة (ورمزها : ل) جاء في آخرها : تمت هذه الرحلة للعلامة المحقق الفهامة المدقق الرحلة محب الدين الحماتي عليه رحمة مولاه في الماضي والآتي ، على يد كاتبها ذي اليد الجانية من المعاصي بل جانية الراجي به ولوالديه ولمشايخه ومحبيه ولمن أحسن ابتغاء مرضاة مولاه إليه عفو الذنوب والمساوي ، أحمد بن عبدالله بن عبدالله بن سلامة المؤذن الرفعي الأدكاوي وذلك في يوم السبت المبارك خامس عشر ذي الحجة الحرام ختام سنة ١١٩٨ أحسن الله تمامها وبارك فيما بقي من لياليها وأيامها وأسأل الله بالتام أن يرزقنا جميعا أحسن الختام ويحشرنا مع البزرة الكرام في دار السلام آمين . وصلى الله على سيدنا محمد طه الأمين إلى يوم الدين .^٤ وتقع في ٩٠ ورقة ، وفي كل صفحة منها ٢١ سطرا ومعدل الكلمات في السطر الواحد ثمان كلمات ، وخطها خط يد ضعيفة ، وهو واضح أقرب الى النسخ ، وقد خلت من التعليقات التي زودت بها هوامش النسخ الأخرى .

ويبدو ان نسخة ييل (ل) ونسخة الظاهرية رقم ٦٩٨٥ (ظ) تنتميان الى أصل واحد وتشاركهما في كثير من سماتهما نسخة الظاهرية رقم ٨٣٨٧ (ر) ؛ وتتقارب نسخة (ك = كيمبرج) ونسخة (ع = عاطف أفندي) ، وهكذا تشتمل النسخ على أسرتين بينهما تفاوت واضح ، ولكن لا يمكن الاستغناء عن أية واحدة منهما .

بيان بالرموز :

ك = نسخة جامعة كيمبرج

ع = عاطف أفندي

ر - الظاهرية رقم ٨٣٨٧

ظ = الظاهرية رقم ٦٩٨٥

ل = ييل

٤ - منهج التحقيق

لم أحاول أن أتخذ إحدى النسخ الخمس التي اعتمدتها في التحقيق أمّاً، ولكن ما تتمتع به نسخة عاطف أفندي من دقة جعلتني أميل إلى الأخذ بقراءاتها، وقد أفدت كثيراً من التعليقات التي وردت على هوامش النسخ، ذلك لأن المؤلف يتميز بكثرة تضمينه للشعر والآيات القرآنية في نثره، ولهذا كان لا بد من ربط هذه الاقتباسات بأصولها. وقد عنيت عناية خاصة بالتعريف بالأعلام الواردة في الرحلة، وبأسماء الأماكن، وراعت في تعريف الأماكن ووصف حالها في القرن السادس عشر؛ أي تاريخ كتابة الرحلة نفسها. وكانت دفاتر الطابو العثمانية مصدراً مهماً في هذه الناحية، وأفردت هذه التعليقات وحدها في آخر الكتاب لئلا أثقل بها الحواشي، وقصرت الحواشي على الشروح اللغوية وتخريج الشعر والإشارة إلى الاقتباسات الكثيرة واختلاف القراءات في النسخ. وحاولت تخريج الشعر حيثما وجدت ذلك ممكناً، وشرح بعض الألفاظ التي تتطلب شرحاً، وبخاصة أن المؤلف يميل كثيراً إلى استعمال التورية واستخدام ضروب البديع. والمؤلف ذو قدرة متميزة في النحو، ولذلك فإن ما لديه مما يشذ عن المألوف - وهو قليل - أبقيته على حاله؛ لكنني تصرفت ببعض صور الإملاء التي لا تتفق مع الإملاء الحديث فغيرتها دون أن أشير إلى ذلك في الحواشي، وتتفاوت بعض النسخ فتزيد مثلاً إحدى النسخ كلمة «تعالى» بعد اسم الجلالة، ولا تثبتها أخرى، وقد اخترت أكمل التعبيرين دون الإشارة إلى ذلك في الحواشي أيضاً. كما أن بعض النسخ تورد كلمة «شعر» توطئة لبيت أو أبيات وهي كلمة مستغنى عنها، ولذلك حذفها حيث وردت.

ويطيب لي في ختام هذه المقدمة أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الاستاذ الدكتور إحسان عباس الذي قرأ نص هذه الرحلة قراءة ناقدة، فأفادني بمقترحاته السديدة وملحوظاته القيمة. كما يطيب لي أن أتوجه بأوفر الشكر إلى السيد نوفان رجا الحمود والدكتور سمير الدروبي اللذين أعاناني على استكمال المصادر الضرورية في التحقيق، ومدّ يد العون في أكثر من مرحلة من مراحل العمل.

ويسعدني أن أنوّه بالمساعدة التي قدّمها الدكتور فايز القيسي، أثناء انشغالي بالأعمال الإدارية، فقد تابع العمل وراجع التجارب المطبعية. ويسرني أن أتقدم بالشكر إلى السيد نصار محمد منصور الذي عهدت إليه بتصميم عنوان هذه الرحلة.

ولا يفوتني أن أسجل الشكر الجزيل لعمادة البحث العلمي والدراسات العليا في جامعة مؤتة التي تبنت نشر هذا العمل على حساب الجامعة.

وأسأل الله تعالى أن ينفعنا بهذا العمل، ويلهمنا التوفيق والسداد في خدمة التراث العربي الإسلامي، إنه نعم المولى ونعم النصير.

عمان في ٢٢ صفر ١٤١٤ هـ الموافق ١١ آب ١٩٩٣ م محمد عدنان البخيت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وبه ثقتي^(١)

ان أحلى ما تنطق به ألسنة الأقلام، وأولى ما تتحلّى به أسماع ذوي الأفهام، حمد الله سبحانه على نعمه المتوافرة، وشكر واهب المن على آلائه المتوالية المتواترة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المخصوص بالكرامة، وعلى آله ومن صحبه في السّفر والإقامة، والتابعين لهم بأحسن سبيل وأقوم طريق، ومن تبعهم باحسان وتصديق، ما حنّ غريب إلى أوطانه، وجذبتة دواعي أشواقه^(٢) إلى أحبائه وإخوانه^(٣) آمين.

وبعد : فقد قصدت أن أثبت في هذه الأوراق رحلتي الى الديار المصرية، صحبة قاضي قضاتها صاحب النفس القدسية، والخصال الملكية، شيخ مشايخ الإسلام، وملك العلماء الأعلام، فخر الموالي المدققين، وصدر الأفاضل المحققين، شمس الملة والدنيا والدين، الشهير بجوي زاده^(١) أعطاه الله تعالى في الدارين مراده، ولا زال بابؤه الشريف محطّ رحال الأفاضل، وعتبته ملثّم^(٤) شفاه الأمثال. وذلك أني لما امتزجت بخدمته الشريفة امتزاج الماء بالراح، وتقويت بعنايته تقويّ الأشباح^(٥) بالأرواح، وما ذلك إلا أنّ لحمة الأدب لما ألقت شملي به ألفة النسب، تعلقت برفيع جنابه لخصائص آدابه^(٦) وتشرفت بصحبته وخدمة أعتابه، مع علمي بما قيل : ان السفر ينتج الظفر، ومعاقرة الوطن تَغْقِرُ الفطن، وتَحْقِرُ من قطن، فما خبر كنه حالي كان يميناً لشالي، وصحبي معي الى المحمية القاهرة، وأسدى إليّ ما أعجز عن شكره من نعمه المتوافرة : (الطويل)

أذاقني العيش الذي أنا أبتغي	وبلّغني الحظّ الذي أتمناه
وعلمني كيف المدائح فعله	وما كنت أدري ما المدائح لولاه
وشـاركني في المرتع والمربع، وأحلّني محلّ الأنملـة من الاصبع	وأرشفني كأس النـوال مرّوقا
وقيّدني بالمكرمات، أما ترى	لساني له بالشكر ^(٧) أصبح مطلقا

(١) وبه ثقتي : سقطت من ظ وجاء بدلها * رب يسر^١ في ر ، * به الاعانة^١ في ل

(٢) ظ : الشرق .

(٣) ر : وخلاته

(٤) ر : ملثم، ل : تلثم

(٥) الاشباح : الأجسام

(٦) زاد في ع^١ وتقويت بعنايته^١ وقد مرّت

(٧) ع : بالحمد

وكان في ذلك^(١) الأثناء قد اتصل بالمسامع الشريفة، وأنهى إلى المواقف العالية^(٢) المنيفة، أن طائفة النصارى^(٣) قد جددوا شيئاً في الكنيسة الكائنة بالقدس الشريف، ووردت الأوامر الكريمة لمولانا المشار إليه بالخطاب لجناحه المنيف، ولمولانا فخر المولى الكرام فوري أفندي^(٣) المفتي بدمشق الشام، أن يتوجّها للنظر في ذلك بنفسهما الكريمة، ويفتشا على الكنيسة المذكورة وما زاده الكفار على أبنيتها القديمة. فاقضى الحال أيضاً توجّه مولانا المفتي المشار إليه، أسبغ الله تعالى نعمه عليه، للتفتيش على الكنيسة المذكورة والكشف عليها، امثالاً للأوامر الشريفة المشار إليها.

وكان ابتداء سفرنا المبارك من دمشق الشام، يوم الاثنين^(٤) ثامن عشر شهر شعبان سنة ثمان وسبعين وتسعمائة^(٥) أحسن الله تعالى لها الختام. وفارقنا تلك الأوطان، ولكن بالأبدان، وخلفنا القلب مرتين عند من فارقناه فيها من أفاضل الاخوان، ولله درّ القائل : (الكامل)

لي في الشـام بقيـة خلّفتها
وأظنـها لا بل يقينـاً أنها
أودعتها يوم الفراق مُودّعي
قلبي فـاني لا أرى قلبي معي
ثم سرنا في ظل هذا المولى المشار إليه، أسبغ الله تعالى نعمه عليه، منشرحي الصدور مصادفين من برّه ولطفه^(٦) ما يوجب غاية السرور، مع أصحاب كالنجوم الزواهر، بل أحباب كالبدور الأزاهر، منتظمين كنجوم الجوزاء، والجملة المتناسبة الأجزاء : (البيسط)

ما في الصّحاب وقد بانـت حُومُهم
كأنما يوسفُ في كلّ مـرحلةٍ
إلا محبٌ لـه في المركبِ محبوبُ
والحيّ في كلّ بيتٍ فيه^(٧) يعقوب
وما كنا نقطع وادياً، ولا نشهد نادياً، إلا ونتجاذب طُرف^(٨) الأناشيد، ونتوارد أطراف الأسانيد : (الطويل)

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت^(٩) بأعناقٍ المطيّ الأباطح^(١٠)

(١) ع : تلك

(٢) العالية : سقطت من ر

(٣) في ظ : من النصارى

(٤) زاد في ظ : المبارك

(٥) ل : سنة ٩٧٨ هـ (مكتوبة بالأرقام)

(٦) ولطفه : سقطت من ر

(٧) ر : منه

(٨) ع : طراف

(٩) ر ل ظ : وسارت (وهو خطأ)

(١٠) من أبيات تنسب إلى كثير ونصيب وابن الطثرية وغيرهم، انظر ديوان كثير : ٥٢٦ وفيه تحريجها

وكان مولانا بلغه الله تعالى غاية (١) الآمال، يُجِلُّ حضرة المفتي المشار اليه غاية الاجلال، وفي غالب الطريق يجلسه في المحفة مكانه، وكان له عنده من زيادة التعظيم مكانة، على مقتضى ما جبله الله تعالى عليه من لطف الأخلاق، وسلامة الطبع التي والله ما أتصف بها (٢) أحد سواه على الإطلاق، وتهذيب نفس شريفة ولكن أي تهذيب، وإفراط تواضع وخلق عجيب: (الكامل)

زادوه تعظيماً فزاد (٣) تواضعاً الله أكبر هكذا البشر السوي (٤)
ولعمري هو المعنى بقول الشاعر: (الطويل)

إمام رست للعلم في أرض صذره جبال جبال الأرض في جنبها (٥) قف (٦)
تفكره علم ومنطقه حكم وباطنه دين وظاهره ظرف

وكان قائماً بلوازم المشار إليه ومحملة وكلفه، وخرجه في الذهاب والاياب وسائر مصرفه، حتى أرسل إليه عند إيباه إلى دمشق من العين قدراً جزيلاً، وكان له في هذه السفرة نعم الخليل وأكرم به خليلاً.
ثم لما كان خامس عشري (٧) الشهر المذكور وصلنا إلى المنزل المعروف (٨) بلوبية (٤) فصادفنا فخر الموالي معلول زاده أفندي (٥) دامت معاليه، وصل إلى المكان المذكور ونزل فيه، فاستقبل مولانا قاضي القضاة المشار إليه، ولما تلاقيا حيّا كل صاحبه بالسلام عرض قصة الشوق عليه. وكانت سوابق الركب تقدمت إلى المنزل المعروف بعيون التجار (٦) مع الأحمال والخيام المتعلقة بمولانا ذي القدر الأجل، واقتضى الحال النزول في هذا المكان وقلنا لأمر ما قال الشاعر: (الكامل)

(١) ك : غاية سائر

(٢) هنا حدث انقطاع في ر

(٣) ظ : وزاد

(٤) ثالث أبيات ثلاثة لزين الدين عمر بن الوردي (١٣٤٨/٧٤٩) في مدح علاء الدين بن اسماعيل القونوي، وردت في بغية الوعاة ٢ : ١٥٠ :

ان رمت تذكر في زمانك عالماً متواضعاً فابدأ بذكر القونوي
ولي القضاء وصار شيخ شيخوخهم والقاب منه على التصوف منطوي
زادوه تعظيماً فزاد تواضعاً الله أكبر هكذا البشر السوي

(٥) ظ : في حينها

(٦) القف : ما ارتفع من الأرض وغلفه ولم يبلغ ان يكون جبلاً

(٧) ل : خامس عشر

(٨) المعروف : سقطت من ظ

* عرف المحلّ فبات دون المنزل ^(١) *

وكان تأخر صحبة مولانا من قسم الخيام بيت التركمان الذي اصطنعه في دمشق لنفسه، فنزل تلك الليلة فيه وأتى ^(٢) المولى المشار إليه لاغتنام مصاحبته ولذيد أنسه، وكان ثالثهما حضرة المفتي حفظ الله تعالى جنابه الخطير، ورابعهم خادهم الحقير. ومضت تلك الليلة بلطيف ^(٣) المحادثة والمسامرة، وكان الغالب في المحلّ ذكر أحوال علماء الشام والقاهرة.

ثم أوصى مولانا المولى ^(٤) المشار إليه، في شأن أربعة أنفار من طلبة العلم بمصر ^(٥) وأكد في ذلك عليه، بحيث أمر العبد بكتابة أسمائهم لثلاثينسأهم، فعجبنا من تخصيصهم بالذكر دون مَنْ عداهم. وصار عندنا تلفّ إلى المذكورين لنعلم المزيّة التي استحقوا بها هذا ^(٦) التخصيص، واستوجبوا بسببها الافراد بالذكر والتخصيص، حتى طابقنا مسمياتهم على أسمائهم الأعلام، وعرفناهم بالكُنّه فاذا هم متساووا الأقدام.

ثم لما بدت غرة الفجر ولاح، وأسفر ضوء الصباح، تأهب كلّ لمقدمات الرحيل وتلافيها ^(٧) فقصّد السير إلى الجهة التي هو مُوليها، فسار مولانا قاضي القضاة أسبغ الله تعالى نعمه عليه، لتوديع ^(٨) ذلك المولى إلى المكان الذي استقبله إليه. فلما انقضى التوديع وعزما على الترحال، انطلقنا ذات اليمين وانطلق ذات الشمال. وفي آخر نهار السبت سلخ شهر ^(٩) شعبان بدت لنا لد ^(٧)، فلما قاربنا وصولها، ووافينا دخولها، ونحن سائرون في خدمة المشار إليه مشاهدون ^(١٠) وجهه الأغرّ، اذ شاهدنا ايضاً هلال شهر رمضان المعظم فصدق ما قيل : (المتقارب)

(١) بهامش ع ك

كانت بُلْهَرِيَّةُ الشَّيْبِيَّةِ سَكْرَةً فصَحَحْتُ رُتَّ واستأنفتُ سيرةً مُجْمِلَ
وقعدت ارتقبُ الفناء كـراكِب عـرف المحلّ فبات دون المنزل

وفي ك : شدة (والأصوب سكرة) وفي ع : وجلست

(٢) ك ل : ولّى

(٣) ل : بلطف

(٤) المولى : سقطت من ع

(٥) بمصر : سقطت من ل

(٦) هذا : سقطت من ر

(٧) ع : وتلاقيها

(٨) بهامش ع بخط مختلف : لعدد لتشييع

(٩) شهر : سقطت من ظ

(١٠) ع ل : شاهدين

* فكانا هلالين عند النظر^(١) *

فعند ذلك نوينا للرحمن صوماً^(٢)، وأقمنا بها يوماً ويوماً^(٣)، قضاءً لحق ما وجب، من مظنة المشقة والتعب.

ثم ان مولانا كان يعتني^(٤) في هذا الشهر الشريف^(٥) لمدّ الموائد، ويجريها على ما هو المعهود منه من أجل^(٦) العوائد، مشتملة من النفائس على ما تعجز عن وصفه اللسان، وفيها ما تشتهي النفس وتلذ الأعين^(٧): (الطويل)

لجودك يا قاضي القضاة مزيّة على السحب لا تحفى على من لله لبّ
فأول جود الغيث قطرٌ مبدّدٌ وغيثٌ نذاك الجمّ أولّهُ سكّب^(٨)
ومن حيثذ توارد طلبة العلم المصريون لاستقبال مولانا، وأتوا الى خدمته الشريفة رجالاً وركباناً، وصاروا من بعد ذلك يتعاقبون، وأقبلوا «من كلّ حدبٍ يُنسلون» (الانبياء : ٩٦).

ثم لما كان اليوم المسفر فجرّه، عن ثالث رمضان المعظم قدره، قصدنا مشهد سيدنا زكريا ويحيى^(٨) عليهما السلام بنية الزيارة، ومشهد معاذ^(٩) وبقية الأماكن المشهورة الانارة، ودعونا الله تعالى بأدعية مقبولة، وبالإجابة ان شاء الله تعالى موصولة. ثم وجهنا^(٩) الوجهة إلى القدس الشريف لاستباق الخيرات، وللقيام بحق ما يتعين في تلك الأماكن الشريفة من الزيارات. فلما أكدنا بلا استدراك أنّ المزار قريب^(١٠)، انفرد العبد مع حضرة مولانا المفتي من غير رقيب، وسرنا مصاحبى السرور والاستبشار، متمثلين بقول القائل : (الوافر)

(١) بهامش ك :

رأيت الهلال ووجه الحبيب فكانا هلالين عند النظر
فهذا يغيب وذا لا يغيب وهما من يغيب كما من حضر

(٢) اشار الى الآية : ٢٦ من سورة مريم

(٣) هو مأخوذ من قول أبي نواس :

اقمنا به يوماً ويوماً وثالثاً ويوماً له يوم الترحّل خامس
(٤) ل : يعتني

(٥) الشريف : زيادة من ع

(٦) ل : أشرف

(٧) ع : وتقر الأعين . والعبارة كلها مأخوذة من قوله تعالى في وصف الجنة «وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين (الزخرف : ٧١)
(٨) بهامش ك : أقول ذكرت هنا قول بعضهم وأجاد :

قالوا الهلال وعندي في منادمتي بدرٌ يوجو على بدرٍ السها زادا
هذا يزيد حياي كلما تنصت وذاك ينقص عمري كلما زادا

(٩) ل : توجهنا

(١٠) هنا بهامش ك : اشارة الى قوله : (والبيت للمعري)

فيا دارها بالحيف ان مزارها قريبت ولكن دون ذلك أهـ

وأبرح ما يكون الشوق يوماً إذا دنت السديار من السديار^(١)

فبينما نحن نتوارد طُرف الأخبار، ونتطارح مُلَح الأسفار، اذ^(٢) تطفل شخص من طلبة العلم المصريين راكب حماره^(٣) يلقَّب بالجمال، وأدخل نفسه في البين واعترض اعتراض الجعل^(٤)، قصد أن يدلي دلوه في هذه الحياض، ويفصل بين وصل ما نتطارحه بجمال الاعتراض، وكنا نستثقل ظلّه، ونستبرد ظلّه، لانه إذا أورد كلاماً غير مستقيم، ما نراه إلا في ليل الوهم يهيم^(٥) فمسنا من شكاسة مصاحبه ما أورث العناء، وكاد^(٦) لسان الحال بل لسان المقال أن^(٧) يقول له ارحل لا تقيمن عندنا^(٨). فاستطرد الكلام الى مدح دمشق الشام فأوردنا شيئاً من الشواهد على لطفها وتفضيلها على سائر الأمصار، وأدرنا في ذلك ما بيننا مدام رائق الأشعار. فأورد الفقير في أثناء المصاحبة، وأنشد في ذلك المقام بالمناسبة، الأبيات المشهورة في مدحها ومدح جامعها، والمقاطيع الواردة في معنى ذلك المطربة لسامعها، إلى أن انتهى إلى قول ابن نباته^(٩) (١٠) : (الطويل)

أرى الحسنَ مجموعاً بجامع جَلَّقٍ وفي صدره معنى الملاحسة مشروح
فإن يتغالى بالجوامع^(١٠) معشر فقل لهم باب الزيارة^(١١) مفتوح
فتعرض الرجلُ المصريُّ للاعتراض ونصب نفسه غرضاً للسهام، وقال يا مولانا ما جلق^(١١) الا بضم الجيم وفتح اللام. فقلت له : ليس الأمر كما وهمت، والصواب خلاف ما فهمت، لأن علماء اللغة قرروا، ونقلوا في كتبهم وحرروا، أن في مادة الجيم واللام والقاف تكون الجيم واللام مكسورتين بلا خلاف. فكان يتكلم بما لا يشفي الغليل، وطلب من الفقير بعد نقله كلام أهل اللغة الدليل، وقال : هذا خلاف المشهور^(١٢) في ألسنة الأنام، فقلت له : نعم هو من أغلاط^(١٣) مثلك من العوام. ثم إنه

(١) ع : اذا دنت الخيام من الخيام، والبيت بقافية الراء ورد في معجم الأدباء ٦ : ٣٢ (ط . دار المأمون، القاهرة) ونهاية الأرب للنويري ٣ : ٨٨ ونسبه الثعالبي في التمثيل والمحاضرة : ٩٠ لاسحاق الموصلي، وصدرة : وكل مسافر يزداد شوقاً . . .

(٢) اذ : سقطت من ع

(٣) راكب حماره : سقط من ط

(٤) ع : الجمل، والجعل دويبة سوداء تشبه الجعران أو هما شيء واحد، يطلق الجعل مجازاً على اللجوج

(٥) بهامش ك : مأخوذ من قوله

أتظن ليلى أنسي أبغسي بها بدلاً أراها في الضلال تهيم

(٦) ك : وكان

(٧) ان : سقطت من ل

(٨) بهامش ك : تمامه : والا فكن في السر والجهر مسلماً

(٩) ع : قول القائل، والبيتان في ديوان ابن نباته المصري : ١١٦

(١٠) الديوان : في الجوامع

(١١) الديوان : ونسخة ظ : الزيادة (وهي هت أصوب)

(١٢) ك : مشهور

(١٣) ل : أشبه

نزل عن حمارة وساقه أمامه ، وحاول أن يصحح بالغلط كلامه ، فقصد مولانا المفتي^(١) إلى الهزء به والتبكيك ، وأراد الزامه باللطف وحسن التنكيك ، وقال له يا شيخ ليس الأمر كذلك ، وإن أردت نظير غلطك فانظر إلى حمارك^(٢) ، فإن ما ذكره مولانا كلامٌ مُسَلَّم ليس عليه غبار ، وما مثل غلطك الا كمثل الحمار ، فإن العوام تَضُمُّ الحاء منه وهي مكسورة ، وأمثال ذلك كثير من الاغلاط^(٣) المشهورة ، فاستحسن الفقير منه هذا المثال ، وقال له^(٤) : لله درك يا مولاي من مفضال ، وفهم وألمح اليه من قصد الازدواج ، وطفح علينا السرور والابتهاج ، فلما لاحظنا تأثر^(٥) المذكور من ضرب مولانا له بهذا المثل ، وانحرف مزاجه من ايراده وانفعل ، طفقنا نخاطبه مخاطبة المثالا ، وقلنا له تسلياً : ان الله لا يستحي أن يضرب مثلاً^(٦) وكانت أخذت منا السرى^(٧) فلوينا^(٨) الأعنة لقصد الاستراحة ، وتلطفنا مع المذكور وعاملناه معاملة أهل السماحة ، وأوينا^(٩) إلى أشجار ذات ظل ظليل ، وتلونا عسى أن يهدينا ربنا إلى سواء السبيل^(١٠) ، واستمر بنا الحال مع المذكور برهة من الزمان قعوداً ، وشرعنا في التثام ما حصل من جراحات تلك السهام خشية أن يكون حقوداً ، وتبيننا الكلام عما كنا فيه من المصاحبة ، وقصدنا الى تلوين الخطاب ارادة للملاطفة معه والمداعبة ، إذ بمثل ذلك تُطوى شقة الأسفار ، وتزول موجبات الأتعاب والأكدار . ثم التفتنا الى صاحبنا الشيخ الفاضل مجموع الفضائل الشيخ علي المالكي (١٢) بلطف خطاب وتنبيه ، وقلنا له ان هذا الشيخ بلدك وصاحب البيت أدري بالذي فيه . فبين لنا البتة مناسبة وضع هذا القلب ، وقص علينا في وقتنا هذا ما نقضي منه بالعجب^(١١) ، فقال : يا موالينا لا تحكموا علي بالتزام^(١٢) ما لا يلزم ، ولا تكلفوني إلى أن أخبر بما لا أعلم ، على أن بعض الاعلام قد يغفل حال الوضع عن مناسباتها وينبغي أن تلحق

(١) المفتي : سقطت من ل

(٢) من الآية ﴿ وانظر الى حمارك ﴾ (البقرة : ٢٥٩)

(٣) ل : الأغاليط

(٤) له : سقطت من ك ل

(٥) ك ظ : تأثير

(٦) من الآية القرآنية ﴿ ان الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ﴾ (البقرة : ٢٦)

(٧) قوله أخذت من السرى اشارة الى بيت لأبي تمام ، ولهذا جاء البيتان التاليان بهامش ك :

من السرى وخطى المهـريرى القـود
فقلت كـــــــــــــــــلا ولكن مطلع الجود

يقول في قوس قوسي وقد أخذت
امطلع الشمس تبغي أن تـــــــــؤم بنا

(٨) ع وهامش ك : ولوينا

(٩) ل : وتولينا

(١٠) ناظر الى الآية القرآنية ﴿ ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ﴾ (القصص : ٢٢)

(١١) ل : العجب (وهو أدق)

(١٢) ظ : بلزوم

هذه القضية ^(١) بأخواتها، وما هذه بأول قارورة كُسِرَتْ في الإسلام، فان لهذا الاسم مسمًى أيضاً بدمشق الشام، فقلنا له: يا مولانا ان ما ذكرته كلام محقق، ولكن قد يفرق بينهما بأن ذاك مقيد وهذا مطلق. فلما رأينا في لفظ المقيد ^(٢) من حسن التوجيه، ما لا يخفى على الفاضل النبيه، كتب الفقير في معنى ذلك حسب ما اقتضاه الحال، ثلاثة أبيات فقال: (الكامل)

قسم على الجمل الذي في جَلَّتِي جملاً بمصرَ وفي الحقيقة يفرقُ
ان الذي في الشام ^(٣) جاء مقيداً بالطبل اذ يُدْعَى وهذا مطلق
واللفظ أقوى ^(٤) ما يكون اذا أتى فيه الخصوصُ لنكتة تتحققُ
ولعل هذا الحال، وقع في المحل حيث وجب له عدم الانتقال، وهذا هو الحال المقيد لصاحبه بلا إشكال، سبحانه الله، والشيء بالشيء يذكر ^(٥).

وقد ذكرتنا هذه الواقعة أن بعض المصريين المترددين الى القسطنطينية كان يجيء لمصاحبة الفقير في الديار المصرية ^(٦) فانجزَّ الكلام يوماً واستطرد القول الى المقيد المذكور، فذكر لنا ^(٧) أن بعض الظرفاء المصريين لقيه هناك فلقبه بأبي الهول. فتعجبت من مناسبة ^(٨) هذه النكتة ^(٩) غاية العجب، وقلت: ما أشبه مناسبتها له بمناسبة ذلك اللقب. ووجدت مطابقة ^(١٠) هذا اللفظ للموضوع له أوضح من الفلق، وموافقاً له موافقة الشنّ للطبق ^(١١)، فكتب الفقير في هذا المعنى مقطوعين في الحال، أحبَّ العبدُ أن يتصلاً بهذا المقال، وهما ^(١٢): (الوافر)

(١) ل: المسئلة

(٢) ل: لفظ المطلق المقيد

(٣) ل: بالشام

(٤) ع ل: أفيد

(٥) سبحانه الله . . . يذكر سقطت من ل. وازاء بهامش ك: هذا أيضاً قطعة من بيت:

يذكرني البدرَ النيرَ جبينُها فأذكره والشئُ بالشئِ يُذكرُ

(٦) ل: للديار المصرية

(٧) لنا: من ظ وحدها

(٨) ل: المناسبة

(٩) ل: الكنية

(١٠) مطابقة: سقطت من ل

(١١) من قول الشاعر:

واذا الجاهل لاقى جاهلاً فهناكم وافق الشنّ الطبقُ

وأصله المثل (وافق شن طبقة) انظر: مجمع الأمثال للميداني (تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٧٢) ص: ٤١٥،

وجمهرة الأمثال للعسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، ١٩٦٤) ٢: ٣٣٦

(١٢) وهما: سقطت من ظ

رآه البعض من ظرفاء مصر وهال القوم منظرة الغريب
وقالوا انه شكل مهول فكنتوه أبوه الهول العجيب

ثم اشرفنا على القدس الشريف آخر ذلك النهار، ودخلنا بعد غروب شمسهِ . واستقر^(١) منزل مولانا قاضي القضاة متع الله تعالى بوجوده^(٢) الشريف، وآسسه بالمدرسة المعمورة، وبالقايتبائية (13) مشهورة^(٣)، اسكن الله بانيها في الجنان أعلى القصور، وشكر سعيه وضاعف له الأجور. ولعمري لم تشهد العين أحسن من بنائها ولا أعلى، ولم يتمتع النظر بالطف من رونقها ولا أحلى، فكأنها من حسننها وبهائها بنيت قواعدا على الأفلاك، لا سيما اذا وافتها الشمس بحسن المقابلة من المشرق يكاد سنا يرقها يذهب بالأبصار^(٤) وفي الحقيقة من نظر حق النظر علم أن هذا الحسن انما اكتسبته من عطف الجوار.

ثم بيتنا ليلة الوصول مع حضرة المفتي في أرض الحرم الشريف ورحبته الفسيحة، لتتدارك أماكن للنزول^(٥) في الصبيحة، فعند ذلك كتب الفقير لمولانا شيخ الاسلام الشيخ عبد النبي بن جماعة (14)، بعض أبيات يلتمس منه منزلا في تلك الساعة، صورتها^(٦): (البيسط)

يا شيخ الإسلام من عمّت فضائله كل الأنعام وخصّتهم فواضله
من فاق في العلم أهل العصر قاطبة فليس يوجّد فيهم من يطاوله^(٧)
أتى المحب إلى عالي مقامكم السـ سامي المكان الذي ما خاب آمله
وليس يدري به يا سيدي سكناً كلا ولا مسكناً يؤويه داخله
وصار^(٨) كالحوت في اليبدا فهل سبب^(٩) لا في مسكن فخير البر عاجله
زال بابكم السامي محطّ رحا ل العلم بالسعد معموراً منازلـه

ثم ان الشيخ المشار اليه أعلى الله تعالى رفيع مقداره، هياً لمولانا المفتي داراً تجاه داره، وأنزل الفقير في مكان داخل منزله الرفيع المقام، وعاملنا بأنواع الكرم وصنوف الاحترام، واغتنمنا لذيذ مصاحبته مدة الإقامة، فجزاه الله تعالى خيراً وشكر إنعامه . وكان الشيخ المشار اليه كثير التردد إلى خدمة قاضي القضاة مولانا، ويكثر من مصاحبته والتحدث معه أحياناً، وكانت تتسع دائرة الكلام في حضرته العلية فينجرّ الكلام إلى المصاحبة العلمية، فكان مولانا الشيخ المشار إليه إذا سئل أو أجاب، يبيدي

(١) ل : واستتر

(٢) ل : نفع . . . بوده

(٣) وبالقايتبائية مشهورة : سقطت من ل

(٤) ناظر إلى قوله تعالى ﴿ يكاد سنا يرقه يذهب بالأبصار ﴾ (النور: ٤٣)

(٥) ل : النزول

(٦) صورتها : سقطت من ل، ومن نسخة ر

(٧) في حاشية ع : من يعادله

(٨) ظ : فصار

(٩) سبب : سقطت من س ع

العجب العجيب^(١) ، واذا تكلم بالأوليات من بعض الفنون يوردها على وجه التفهيم ، ويلقيها إلقاء معتقداً أن المخاطب خالي البال عنها بقلب سليم^(٢) وكان في وادٍ ونحن في وادٍ ، وشتان بين مُريدٍ ومرادٍ .

وكان اذا أنشد بيتاً من الشعر يخلع أوتاده ، ويورده كيف ما اتفق حسبما اقتضاه طبعه وأراده ، وما كان مولانا الأفندي يحمل ذلك منه الا على صفاء المزاج ، ويحصل لنا من ذلك غاية الحظ والابتهاج . فاتفق في غضون بعض المصاحبات ، وخلال جمل^(٣) من المخاطبات ، أن مولانا الأفندي أسبغ الله تعالى نعمه عليه ، تَلَطَّفَ بحسن التفات من مقام التكلم الى خطاب هذا العبد وأسرَّ اليه ، أنَّ مولانا الشيخ كان حَلَفَ يميناً ، لا ينشد^(٤) شعراً موزوناً ، ولا يتكلم كلاماً إلا ملحوناً ، ثم استشعر منه أنَّ^(٥) لمح أطراف الكلام ، فأحجمنا عنه احجام المرتاب ، ونقلنا الخطاب من باب الى باب . وكنا نقضي غالب الليالي مع مولانا الشيخ ومصاحبته ، ونحصل على كمال الانشراح من صفاء مزاجه وحسن ملاطفته^(٦) . وكان مولانا المفتي - عامله الله تعالى بلطفه السماوي - عرض عليه في بعض الليالي ما حرره على أماكن من تفسير البيضاوي (١٥) ، في محلِّ درسه العام ، الذي كان أقرأه في دمشق^(٧) الشام ، وحضر فيه علماءها الفخام لينظر تحريره وصنيعه ، ويطلع على ما أودعه^(٨) فيه من النكات البديعة . وكان المشار اليه يترقَّب أن ينتقل من تصور كلامه ، الى التصديق^(٩) ورفعته^(١٠) مقامه ، فيبدي ما يقتضيه الحال من الثناء اللائق بمثله ، ويمدحه بمدح هو من أهله ، وينعت فضائله الجسم ، بنعوتٍ تليقُ بالمقام ، فلم يمدحه بما يناسبه من جلالة القدر ورفعته الشان ،

(١) ل : أبدى العجائب

(٢) بقلب سليم ، انظر الصفات : ٨٤ والشعراء : ٨١

(٣) ل : جل

(٤) ك : أن لا ينشدن

(٥) ل : أنه

(٦) فاتفق في غضون . . . وحسن ملاطفته ، سقطت هذه الفقرة من ع

(٧) ظ ك ع : بدمشق

(٨) ل : على ما أورده

(٩) يشير الى قول المنطقة وغيرهم : الكلام تصور وتصديق

(١٠) ع : برفعه

بل كان ما أعرب عنه من أفعال المدح من باب كان، حيث لم يَزِدْ على أن قال له : والله^(١) ما كان في ظنّ الفقير، أنكم تحررون مثل هذا التحرير، وما هذا الا كلامٌ صحيح، وما ذلك منك يا مفتي إلا فهم^(٢) مليح، ثم تحوّل الكلام من مقام الى مقام. فجرى في المجلس ذكر شخص ينتسب الى العلم في دمشق الشام^(٣)، فبالغ مولانا الشيخ في الثناء عليه، وأسند اليه من الفضل ما يكثر على أمثاله إسنادُهُ إليه، فقلنا له^(٤) : والله يا مولانا لقد استسمنتَ ذا ورم ونفخت في غير ضَرَم^(٥)، فعند ذلك أنشدنا قصيدة قال ان المذكور بهذه القصيدة امتدحه، فألفيناها عن بلاغة زائدة مُفَصَّحة. فقلنا : والله يا مولانا لقد حملتم المذكور حملاً^(٦) فوق ما يطيق، وإن كنتم بنيتم فضلة على هذه القصيدة فهو بناء على خلاف التحقيق، فيميناً بالبراعة وما نصعت^(٧)، وبالبراعة وما صنعت، أنا فقط لم نعهد المذكور يدعي شعراً ولا يذكر، ولا نعرفه الا يُحَدِّثُ من فيه ولا يَشْعُرُ^(٨). فيا ضيعة الأدب، ومن أين هذا الإخاء والنسب؟ والحاصل يا مولانا أن سرقة هذه القصيدة ظاهرة، كالشمس في الشهرة والانارة^(٩). ومثل هذه القصيدة لا تُسَرَّقُ الا ان سُرِقَتِ المنارة. وليت شعري، أين هذا من قول الشاعر^(١٠) :

(البسيط)

وإنما الشعرُ لبُّ المرءِ يعرضه على المجالسِ ان كَيْساً وان حُفّاً
وان أَصْدَقَ بيتٍ^(١١) أنت قائلُهُ بيتٌ يقال اذا أنشدته صدقاً

على أن القرائن متوفرة على سرقتها : منها بلاغتها، وفصاحة أبياتها، ومنها أن المذكور لم يُعْهَدْ له قصيدة غيرها حتى تُشْفَعَ بأخواتها. وقد قضينا يا مولانا العجب ممن له هذه الفصاحة الزائدة، كيف لم يَتَفَقَّ له في عمره الا نظم هذه القصيدة الواحدة، وقد ذكرتنا هذه القضية^(١٢) قضية جَرَتْ بين ابن أبي حفصة وعلي بن الجهم (16) وهي قضية مشهورة، وعند أرباب الأدب غير منكرة،

(١) والله : لم ترد في ل

(٢) ل : إلا كلام

(٣) ع ل : بدمشق الشام

(٤) له : سقطت من ل

(٥) هذا مقتبس من رسالة ابن زيدون الهزلية، انظر : شرح العيون لابن نباتة المصري (تحقيق محمد ابراهيم الفضل ابراهيم (القاهرة، ١٩٦٤) : ٣٣٢ وذلك كله ينظر الى بيت المتنبي :

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم في من شحمه ورم

ديوانه، شرح العكبري، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (القاهرة ١٩٧١) ٣ : ٢٣٦.

(٦) حملاً : سقطت من ل

(٧) بهامش ك : نصع الأمر نصراً انضج (دمرس)

(٨) بهجوه هجاء مقذعاً، وذلك بتحميل اللفظة معنيين، مثل يُحَدِّثُ، ولا يشعر (لا يحس، ولا يعمل شعراً).

(٩) ع : والاستنارة

(١٠) الشعر لحسان بن ثابت، انظر ديوانه، تحقيق وليد عرفات، سلسلة جيب التذكارية (لندن ١٩٧١) ١ : ٤٣٠ والبكري سبط

اللال في شرح أسنى القائل، تحقيق عبد العزيز عيسى، (القاهرة ١٩٤٦) ٢ : ٢٥٢.

(١١) الديوان : وان أشعر

(١٢) ع : الواقعة، ل : القصيدة

وقول ابن أبي حفصة^(١) : (الطويل)

لعمرك ان الجهم ما كان شاعراً وهذا عليّ إنه يدعي الشعرا
ولكن أبي قد كان جاراً لأمه فلما ادعى في الشعر أوهمني أمرا

هذا ثم^(٢) ان مولانا الشيخ عرض ما عنده من الأسفار، على مولانا المفتي رفع الله تعالى له المقدار، فاختر من بينها كتاب الاتقان (17)، وطلبه ليطالعه برهة من الزمان، فوقع عنده الموقع وأعجبه، وأسرّ في نفسه أن يستوهبه، فعرض بذلك^(٣) لمولانا الشيخ في بعض المجالس (٤) فلم^(٥)، وعجبنا حيث كان ذلك^(٦) خلاف المعهود^(٧) عنه من الكرم، ثم ان مولانا المشار اليه شغف بهذا الكتاب، وقال: لا سبيل الى عَوْدِهِ بسبب من الأسباب، بِحُكْم : (البسيط)

أحبُّ شيءٍ الى الإنسان ما منعاً^(٨)

وقال لي : غاية القصد أن تسليّ خاطره عنه بوجه جميل ، وتكون في باب^(٩) هبته نعم الكفيل . فرتبت لذلك المقدمات حسب الاستطاعة ، فسمح خاطره الشريف به ووهبه هبة لا يملك بعدها^(١٠) استرجاعه ، فشكره على هذا الاحسان ، وعدّه له من جملة الامتنان ، ثم ان الفقير أرسل لمولانا المفتي بعد أيام^(١١) مكاتبة ، ولمح في أثنائها إلى هذه القضية بأدنى مناسبة ، حيث قال له في معرض عرض المحبة ، ووصف المودة والإخاء والصحبة^(١٢) . وبالجملة : فالعبد لم يحتج في اثبات عبوديته ومحبته الى حجة وبرهان ، كيف لا وهي مبنية على اتقان وأي اتقان .

(١) البيتان لمروان الأصغر ابن أبي الجنوب في الأغاني (ط . دار الثقافة ، بيروت) ١٢ : ٧٤ ، وانظر ديوان علي بن الجهم : ٣٩ ، ١٨٧ .

(٢) ثم : سقطت من ع .

(٣) ل : بتلك .

(٤) في بعض المجالس : سقط من ل

(٥) هنا حذف لوضوح المعنى ، والتقدير فلم يفعل أو فلم يهبه

(٦) ذلك : سقطت من ل

(٧) ع : المشهور

(٨) جاء في هامش ع ك :

أحببت شيئاً فأكثر الولوع به أحب شيء إلى الإنسان ما منعاً

وعند العسكري في جمهرة الأمثال (١ : ٣٨٣) أحب شيئاً إلى الإنسان ما منع ، يعني : ما أحب (على التعجب) ورواه بيت شعر لمصعب الزبيري :

وزادني كلفاً بالحب أن منعت وحب شيئاً إلى الإنسان ما منعاً

(٩) ظ : يباب : وسقطت الكلمة من ل

(١٠) ظ ل : بعد ، وسقطت من ع

(١١) بعد أيام : سقطت من ل

(١٢) هنا تمردر للمشاركة مع بقية النسخ

ثم لما كان سابع شهر رمضان المذكور قصد حضرة مولانا قاضي القضاة، بلغه الله تعالى في الدارين ما يتمناه، ما هو بصدده من التفتيش على الكنيسة المذكورة، وما أحدث فيها طائفة الكفار من الأوضاع المنكورة^(١)، فتوجه هو ومولانا المفتي المشار اليه، أسبغ الله تعالى نعمه عليه، وحضر العلماء ومشايخ الاسلام، وجمع كثير من الخاص والعام، وكشفوا على الكنيسة المذكورة، فاذا بقربها مسجد قديم هدم الكفار حيطانه، وحولوا وضعه القديم الى وضع آخر جددوا بنيانه فعند ذلك أمر سيدنا قاضي القضاة بهدم ما جدده طائفة الكفار من ذلك البنيان، وإعادة المسجد إلى وضعه^(٢) القديم كما كان^(٣)، فهدمه المسلمون في الوقت والساعة، وعامل طائفة الكفار بأنواع الخزي والنكال جزاء هذه الشناعة، وقابلهم - قاتلهم الله تعالى - أشد^(٤) المقابلة، وعزّهم بأنواع التعزير، وأعلن المسلمون عند ذلك بالتهليل والتكبير، فضربت^(٥) الذلّة على الكفار وتولّوا^(٦) صاغرين، وأقيمت فيه في الحال الصلوات وشعائر الدين، وكان دخل وقت العصر فتسور مولانا المحراب^(٧) وصلى بالناس إماماً، واقتدى به المسلمون وذكروا الله قياماً، وصار ذلك يوماً مشهوداً شهيراً ﴿وكان يوماً على الكافرين عسيراً﴾ (الفرقان : ٢٦) ثم لما أتممت زيارة تلك الأماكن الشريفة، ورفعنا أيدي الضراعة والابتهاال في تلك المواقع المنيفة، توجهنا لزيارة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام^(٨)، وختمنا ذلك بزيارة من تشرفت به تلك البقاع من الرسل الكرام . فعندما قضينا^(٩) الزيارات وتمّت، وحصل ان شاء الله تعالى ثوابها وبركاتها بالخيرات^(٩) وعمّت^(١٠)، حمدنا الله تعالى على هذه النعمة الشاملة، وتمت مدة الإقامة عشرة كاملة . وصلينا جمعة بالصخرة الشريفة وجمعة بالأقصى، وشاهدنا من الأنس والبركة ما لا يحصى، وأنشدنا : (الكامل)

شكراً لمن بالجود سرّ قلوبنا في منزل الإسرا وضاعف طَوْلُهُ^(١١)
مولي قطوف نواله أبدى لنا في المسجد الأقصى المبارك حَوْلُهُ

(١) ظ : المذكورة

(٢) الى وضعه : سقط من ظ

(٣) ظ : الى ما كان عليه

(٤) ظ : بأشد

(٥) ظ : وضربت

(٦) ر : وانقلبوا

(٧) تسور المحراب تعبير قرآني، من قوله تعالى ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب﴾ (ص : ٢١) وفي الاقتباس هـ تجوز

لأن الإمام «لا يتسور» المحراب

(٨) ع : قضيت

(٩) ظ : بالخير

(١٠) انفردت بهال

(١١) الطّول : التّفضيل

ثم في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان عزم مولانا المفتي - حفظ الله تعالى ذاته العلية - على العود إلى دمشق المحمية . فركبنا في خدمة قاضي القضاة^(١) لتوديعه ، والقلب من فراقه على شفا نار مشغول بتقطيعه ، ومدينا^(٢) الأكف لوداعه : (البسيط)

* ولوعة البين تأبى أن تمدَّ يدا*

ذكرنا عند ذلك قول القائل : (البسيط)

* من لم يمت يوم بين لم يمت أبدا^(٣) *

ثم انه أوصى الحقيير أن لا يقطع مكاتباته عن جنابه السعيد ، وأكد ذلك بأنواع التأكيد ، ووعد أن يكتب له جواباً عن كل مراسلة ويكون ذلك على سبيل الجبر والمقابلة^(٤) . فقلت له : والله يا مولانا إن هذا الصب لمغرم في رسائل اخوان الصفا (19) ، فقال : إذن^(٥) المؤمن اذا وعد وفي^(٦) ، ثم أنشدنا تيمناً هنالك ، ما ينسب إلى الإمام الغزالي في معنى ذلك : (مخلع البسيط)

يا من يريد الرحيل عنا كـ _____ ان لك الله في ارتحالك
كـ _____ ان لك الله خير واقٍ أمـنك الله في المسـ _____الك

ثم عزم مولانا المفتي على المسير ، وسألنا الله تعالى حسن الاجتماع ، ﴿ وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ﴾ (الشورى : ٢٩) وقضيناها سفرة لم يتفق مثلها في الأسفار ، وقطعنا الطريق معه^(٧) بالمواصلة بمقاطيع الأشعار ، وحصلنا من حسن مرافقته ، ولطف^(٨) مفاكحته على الحظ الوافر ، واجتينا من زهرات مصاحبته ما يغني عن الربيع الزاهر .

وفي اليوم الرابع عشر من شهر رمضان ، عزمنا على التوجه لقصد زيارة خليل الرحمن (20) ، فوافينا دخوله آخر ذلك النهار ، وشاهدنا ما تحير فيه العقول من باهر تلك الأنوار . وأتيننا إلى

(١) في . . . القضاة : سقط سن ر

(٢) ومدينا : كذا وهو جائز ، وفي ر : ومددنا (وهي أصح)

(٣) بهامش كل من ع ر ك : مأخوذ من قوله :

قالت ومددت يدا نحوري تودعني ولـ _____ عـ _____ البين تأبى أن تمد يدا
أمرت أنست أم حبي فقلت لها من لم يمت يوم بين لم يمت أبدا

(٤) الجبر والمقابلة : استعمل التورية في هاتين الكلمتين : فالجبر والمقابلة مصطلحان رياضيان . وفي الوقت نفسه فان الجبر هنا تعني جبر الحائط . والمقابلة أي المواجهة بالمش ، رسالة في مقابل رسالة

(٥) ل : ان

(٦) هناك أحاديث كثيرة تنص على وفاء المؤمن اذا وعد ، انظر مثلاً مسد أحمد (تصوير مکتب الاسلامي ودار صادر ، بيروت)

٥ : ٣٢٣ .

(٧) معه : سقطت من ل

(٨) ر : ونظ

زيارة ذلك المقام الشريف بقلب سليم، وتلونا دعاءه^(١) ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة : ١٢٧) وزرنا ما جاور مقامه الشريف من قبور أولاده الأنبياء الكرام، وجميع آلهم الصلاة والسلام، وأقمنا في جواره يومين وفي وسط صبيحة الثالث عزمنا نحو غزة (21) قاصدين وتلونا قوله تعالى ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران : ١٥٩) وودعنا من كان جاء في خدمة مولانا رفع الله تعالى مناره، وصحبه من علماء القدس الشريف للزيارة. وخرجنا في يوم مطر، وفتحت فيه أبواب السماء بهاء منهمر^(٢). ثم وافينا غزة المحمية في ثمان عشر شهر الصوم، وأقمنا بها يوماً بعد يوم، وتشرفنا بملاقاة عالمها فخر العلماء المدققين، شمس الملة والدنيا والدين. وكنا في^(٣) غاية التشوف إلى مشاهدة ذاته، والتشوق إلى الاجتماع به وملاقاته^(٤) فدعانا^(٥) إلى منزله ثاني ليلة الوصول ومدّ لنا الموائد، واغتنمنا تلك الليلة مصاحبته العلمية وحصلنا منها على كثير من الفوائد. وذكر لنا أن معرفة الفضائل صارت منكورة، وعفت معالمها من البلدة المذكورة، وشكّا لنا كثيراً من عدم فاضل في البلد^(٦) يباحثه وينظره، بل طالب يحادثه في العلم ويسامره : (البيسط)

ما في البلاد أخو وجدٍ نطارحُهُ حديثٌ نجدٍ ولا خلٌّ نجاريهِ^(٧)
وتألم أيضاً من عدم معرفة أهلها بقيمة العلم^(٨) والعلماء، وما يقاسيه بسبب ذلك من الشدة، وأنشدنا: (الطويل)

* كَفَى حَزناً أَنِي مَقِيمٌ ببلدة^(٩) *

فقلت^(١٠) له يا مولانا حيث كان الأمر كذلك فما الداعي لتحمل موجبات السامة، وأنشدناه^(١١) قول الطغرائي (22) :

(١) ك : دعاؤه

(٢) اشارة الى قوله تعالى ﴿ ففتحننا أبواب السماء بهاء منهمر ﴾ (القمر : ١١)

(٣) في : سقطت من ر ل، وفي ع : وكنا في (بدلا من : وكنا في)

(٤) ل : بملاقاته

(٥) ك : ودعانا

(٦) ظ : البلدة

(٧) ورد البيت في نزهة الجليس للعباس بن علي بن نور الدين المكي (ط . النجف ١٩٦٧) ١ : ٤٣٥ وروايته ما في الصحاح

(٨) ظ : بقيمة أهل العلم . العلم : سقطت من ر ل

(٩) بهامش ع ك :

كفَى حَزْناً أَنِي مَقِيمٌ ببلدة فضائل أهل العلم في نقص
فناقصهم من كثرة المال كصامل وعالمهم من قلّة المال ناقص

(١٠) ع : فقلنا

(١١) ر ظ وأنشدنا، ل : وشاهدنا

* فيم الإقامة^(١) *

وتلونا عليه آية المهاجرة وما فيها من وجدان المراغم الكثير^(٢) والسعة^(٣)، وموجبات الحبور والدعة، وقلنا : عجباً للقلب المصاحب للهموم، كيف يبدي الفضائل والفهوم، فان الشمس لا تبدو اذ يحول غيم، ولا يخفاكم :

* يقيم على ضيم^(٤) *

وبالجملة^(٥) : (الطويل)

إذا كنت في أرض يسوءك حالها^(٦) ولم تك محسوساً بها فتغرب
فإن رسول الله لم يستقم إليه بمكة حال واستقام^(٧) يثرب
فذكر لنا حديث حب الوطن، وتنفس الصعداء وأنشد من شدة الكمد والحزن : (الطويل)

بلاد ألقاها على كل حالة وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
وتستغذب الأرض التي لا هواؤها^(٨) ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

ثم اتسعت معه دائرة المخاطبة، واستطرد القول بطريق المناسبة، إلى ذكر رحلته إلى بلدتنا حماة المحمية المحروسة، وتغزل لنا^(٩) بوصف ما فيها من تلك الأماكن المأنوسة، فتحرك ما عندنا من السواكن، والاشواق إلى تلك المعاهد والأماكن، فعند ذلك تأوّه هذا الصب عند ذكر الحمى، وتذكر قول ابن خطيب داريا (23) : (الطويل)

تذكر بالأوطان عيشاً تصرّما ففاضت على خديّه أدعّيه دما
وحنّ إلى أحبابه فتصاعدت له زفارات لا تسأل عن جهنّا

كيف لا وهو كما قيل : (الطويل)

(١) هو من قول الطغرائي في لامية العجم :

فيم الإقامة في الزوراء لا سكني بها ولا ناقتي فيها ولا جملي وهو بهامش ر ك

(٢) ر : الكثيرة، وسقطت من ظ

(٣) آية المهاجرة ﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ﴾ (النساء : ١٠٠)

(٤) من قول الشاعر :

ولا يقيم على ضيم يــــراد بها الا الأذلان غير الحي والــــررتــــد
هكذا على الخسف مــــربوط بــــمرمنه وهذا يُشجُّ فلا يــــرثي لــــه أحد

وقد أشارت النسخ إلى ذلك : والبيتان للمتلمس الضبعي واسمه جرير بن عبد الميخ، انظر ديوانه، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية (القاهرة، ١٩٧٠) ص ٧-٤٢ والروايات المختلفة للبيتين، ص : ٢٠٨ - ٢١٢ .

(٥) وبالجملة : سقطت من ل

(٦) ل ر : أهلها .

(٧) ل : فاستقام .

(٨) ظ : لا هوا بها .

(٩) ر : وتغزلنا، ل : وتنزلنا .

بـلادُها نيطتْ عليّ ثنائي وأول أرض مرّ جلدي تـراها^(١)
ثم سألتني عمّن يعهده فيها من أفاضل الأصحاب^(٢) فكان سائل دمع^(٣) مقلتي الجواب،
وأنشدت^(٤): (الطويل)

إذا هَبَّتِ الأرواحُ من نحو جانبٍ به أهلٌ مَيّ هـاج قلبي هـوبها^(٥)
هـوى تـذرفُ العينانِ منه وأنا هـوى كلِّ نفسٍ أين حلَّ حبيبها

وقال^(٦): والله يا مولانا ان رونقها في الحقيقة يشرح الصدر ويهيج^(٧) النفوس، ويعجز عن
حصر محاسنها سطور الطروس. ولكن لله درك حيث وفيت حب^(٨) الوطن حقّه، وأديته واجبه
ومستحقّه، ولعمري لم تشهد^(٩) العين محبّا للأوطان مثلك ولا أشوق^(١٠)، ولم نعهد من قيّده الغرام
نحوك فيجري الدموع عند ذكر الربوع كالماء المطلق، ولا شاهدا
بأضيع من عينيك للدمع كلما تذكرت^(١١) ربعاً أو توهمت منزلاً^(١٢)

فقلت له: يا مولانا^(١٣) كيف لا أكون كذلك وهو: (الكامل)

بلدٌ صحبتُ له الشبيبة والصبا ولبست ثوب العز وهو جديد^(١٤)

(١) قبل هذا البيت قول الشاعر (هامش ع ك):

أحبّ بلاد الله ما بين منعج إليّ وسلمي أن يصرت سحابها

وهما البعض الأعراب في معجم البلدان لياقوت (مادة: منعج) ويترددان كثيراً في المصادر عند ذكر الحنين إلى الأوطان، انظر
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام، تحقيق احسان عباس، بيروت، (١٩٧٩) ١: ٣٤٣

(٢) ع: الأحاب

(٣) ر: سائل دمع، ل: فكان دمع الجواب

(٤) ل: ر: وأنشد

(٥) بهامش ع:

أهابك اجلال وما بك قدرة عليّ ولكن ملء عين حبيبها

ظناً أن البيتين من هذه القصيدة، وذلك وهم، فالبيتان لذي الرمة (ديوانه، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، دمشق،

١٩٧٣) ٢: ٦٩٤-٦٩٥ وفيه شاع شوقي، حيث حلّ

(٦) ع: مقال

(٧) ل: ويهيج

(٨) ل: حق

(٩) ع ر ل: لم نشهد (وسقطت لفظة: العين)

(١٠) ولا أشوق: سقطت من نسخة ظ

(١١) ل: ر: تذكر

(١٢) هذا البيت ينسب لذي الرمة وليس في ديوانه: وقبله مما يمهد له:

وما شئتُ خرقاء واهيتا الكلى سقى بهما ساقٍ ولما تبلّلا

انظر المختار من شعر بشار لأبي الطاهر التجيبي، تحقيق محمد بدر الدين العلوي، القاهرة، ص: ٣٢٤ وفيه تحيلت رسماً

أو تذكرت منزلاً

(١٣) ظ: يا مولاي

(١٤) البيتان لابن الرومي (٢٨٤/ ٨٩٧)، ديوانه، تحقيق حسين نصار، القاهرة، (١٩٧٣ - ١٩٧٩) ٢: ٧٦٦ ورواية الأول:

ولبت فيه العيش

فإذا تَمَثَّل في الضمير وجَدَّتْهُ^(١) وعليه أغصانُ الشَّبابِ تَمِيدُ
ثم حدثنا الشيخ المشار إليه بكثير من حسن المحاضرات، ولطيف المحاورات^(٢)، التي كانت تصدر
بينه وبين فاضلها المرحوم سيدي الشيخ^(٣) محمد بن ولي الله المرحوم^(٤) الشيخ علوان (24)، وكان
يتعجب من فصاحته وبلاغته التي حارت فيها العقول والأذهان، ويمدح فضائله وفواضله الغزار،
ويذكر صفاء العيش الذي قضاه صحبته في تلك الديار، ويشكر ما أسدى إليه^(٥) من الفضل
والانعام، وينشد في ذلك المقام : (الطويل)

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ (25) شَاتِيَاً غَرِيباً عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ الْمَحَلِ^(٦)
فَمَا زَالَ بِي إِحْسَانُهُمْ وَافْتَقَادُهُمْ وَبَرَّهْمُ حَتَّى حَسَبْتَهُمْ أَهْلِي^(٧)
فمن أجل ذلك طاب لي فيها المقيـل، وأويت لها إلى ظلي ظليل : (الطويل)

رَأَيْتُ بِهَا مَا يَمْلَأُ الْعَيْنَ قُرَّةً وَيُسْلِي عَنِ الْأَوْطَانِ كُلَّ غَرِيبٍ^(٨)
وقصّ علينا أحاديث ما شاهدته من لطفها ومياها وجناتها، ودهشتها الغناء وميدانها وبساتينها
ومتنزهاتها^(٩) وما يطرب من تغريد طيورها في السّحر، على أعالي الشجر، بفصيح لغاتها، فعند ذلك
أنشدته : (الكامل)

لَكَ أَنْ تَشْـوَقْنِي إِلَى الْأَوْطَانِ وَعَلَيَّ أَنْ أَبْكِي بِسَدْمِ قَانٍ^(١٠)
ثم^(١١) أوردنا شيئاً مما تغزل^(١٢) به في محاسنها أهل الأدب، وما أطرب من التشبيب فيها بأعين
القصب^(١٣)، إلى أن انتهينا إلى قول القائل : (البسيط)

(١) الديوان : رأيت

(٢) ر : المحاضرات

(٣) الشيخ : سقطت من ع ل

(٤) المرحوم : سقطت من ل

(٥) ظ : ما أهدها إليه

(٦) بعد هذا ينقطع النص في ر

(٧) البيتان لبكير بن الأخص الطائي، كما في حماسة المرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، (القاهرة، ١٩٥٣) الحماسية

رقم : ٩٤ وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة ١ : ٣٤١ ووفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق احسان عباس، (بيروت ١٩٦٨ -

١٩٧٢) ٣٥٧:٥

(٨) البيت ورد بهامش ك ولم يرد في ل

(٩) ودهشتها . . . وبساتينها : ورد في هامش ل

(١٠) سقط البيت من ل

(١١) ثم : سقطت من ع

(١٢) ع : تغازل

(١٣) أعين القصب : يريد الشباب، واستعمل لفظه : التشبيب بمعنيين

تنأى همومك عنه وهو مقترب^(١)
يكاد من رقة باللحظ ينتهب
قلمي^(٤) إذا كان للذات يغرب
والماء حيث أجال الطرف ينسكب
في لذة بلدها اللهو والطرب
فحبذا حبذا شهر التقى رجب
أعياد دمشق ولا تحظى به حلب
في كل وقت وهذا بعض ما يجب

ما بين صرح وصرح منظر عجب
عاص تتم به الطاعات حيث صفا^(٢)
أنسيت أهلي وكم قد أنسأت^(٣) رجلا
تشاجر الطير في أشجارها سحرا
يسلي الغريب عن الاوطان رونقه
وافى بنا رجب طيب المقام بها
فيها حماة حماك الله فزرت بها
فالحمد لله حمدا لا انتهاء له

ثم سألتني عن لطفها ولطف الأماكن^(٥) التي يعهد بها في الزمن الأول، كقصر ابن حجة⁽²⁶⁾ ومعا هذه التي يتمدح بها في اشعاره ويتغزل، فأنشدته : (الطويل)

* وهل عند رسم دارس من معول^(٦) *

وقلت له : يا مولانا ان تلك المنازل والأوطان قد تعرضت لها أيدي الحدثان، وأدخلتها في خبر كان، وغيرت منها ما تعهدونه من ذلك الوضع وكاد لسان الحال ينشد^(٧) عند اطلاقها :

* فدينك من ربع^(٨) *

ثم ان المشار اليه أطنب في مدح هذه البلدة الغنا، وترنم بلطائف الأشعار وتغنى .
وانتقلنا إلى مدح دمشق الشام، واتسعت دائرة بسيط^(٩) مدحها حيث اقتضاه المقام، فقلنا له :
يا مولانا^(١٠) رفقا أذبت حشاشة المشتاق، وأسلتها دمعاً من الآماق، وبالله^(١١) عليك الآ ما خففت
على هذا المغرم وسلّيت^(١٢) هذا المروّع عنها بالنوى والمقيم، فان عند هذا

(١) ظ : مغرب

(٢) ظ : وفا

(٣) ظ : أنسيت

(٤) ع : مثلي

(٥) ع ل : عن لطف الأماكن (لطفها : سقطت من ع ل)

(٦) عجز بيت لامريء القيس، وشطره :

وان شغائي عبرة ان سفحتها، وهو من معلقته، انظر ديوانه تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة (١٩٥٨) : ٩

(٧) ل : وكاد الحال ينشد

(٨) هو من قول المتنبي :

فدينك من ربع وان زدتنا كربا فانك كنت الشرق للشمس والغربا

وقد جاء تمامه في الحاشية في ع

(٩) ظ : لطيف

(١٠) ع : فقلنا يا مولانا

(١١) ظ : فبالله

(١٢) ل : وسلّيت على جاء

الصبّ حيننا الى الأوطان ليس يزول ، ويكفي في هذا المقام ناهيا قول من يقول : (الطويل)

ولا تذكريني الوادين ولا تري لعينيّ أطلالَ الربوع فتدمعا
فلولاك ما حنّ المشوقُ الى الحمى ولا شام برقَ الشام من سفح^(١) لعلعا
فلما شاهد شدة شوق هذا الصبّ الى أحبابه ، وأن جلده قد وهى ، قال راثياً له : (الكامل)
واهياً له ذكّر الحمى فتأوّهها ودعابه به داعي الصّبّ فتوّهها^(٢)
وأنشدنا عند ذلك : (الطويل)

سلامٌ على تلك المعاهد إنها شريعةٌ وردي أو مهبّ شمالي
ليالي لم نحذر حُزون^(٣) قطيعة ولم نمش إلا في سهولٍ وصّالٍ
فقد صرت أرضي من سوا^(٤) أرضها بخلبٍ برقٍ أو طُروقٍ^(٥) خيالٍ
وحصل لنا تلك الليلة من مسامرة ذلك الفاضل ما سرّينا وأبهجنا . وتوجهنا في الصبيحة الى المنزل
لننظر : (البسيط)

أقاطنُ قومٍ سلّمى أم نَوَوْا ظعننا إن يظعنوا فعجيبٌ أمرٌ من قطننا^(٦)
فألفيناهم عزموا على المسير من البلدة المذكورة^(٧) ، فتوجهنا لوداع مولانا الشيخ والتمسنا دعواته
المأثورة ، فدعا لنا متضرعاً بأدعية صادرة عن صميم الفؤاد ، وتبلاً متيمناً ﴿ إِنَّ الذي فَرَضَ عَلَيْكَ القرآنَ
لِرَأْدِكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ (القصص : ٨٥)

ثم لما كان بتاريخ العشرين من شهر^(٨) رمضان وصلنا الى المنزل المعروف بقطية (27) من عمل^(٩)
بليس الشرقية (28) فاستقبلنا^(١٠) قاضيها وصحبته جماعة من قضاة الديار المصرية^(١١) وهو مولانا
فخر القضاة والمدققين ، عمدة الأفاضل والمحققين^(١٢) ، تقي الدين ابن المرحوم من بالفضائل
والكلمات موصوف ، عمدة القضاة القاضي معروف^(١٣) ، فحصل لنا غاية السرور

(١) ل : من شيع

(٢) الشطر الثاني من البيت بهامش ع ك ، وسقط من ل

(٣) ل : حزونا

(٤) ل : سواكم

(٥) ل : بطيف

(٦) ورد عجز البيت بهامش ع ك ، وفي متن ل

(٧) ل : البلد المذكور

(٨) شهر : سقطت من ل

(٩) عمل : سقطت من ظ

(١٠) ل : واستقبلنا

(١١) ل : من قضاة مصر المحمية

(١٢) ل : الأفاضل المحققين

(١٣) لم أعثر له على ترجمة

بملاقاته، وكنا بفرط الأشواق الى مشاهدة ذاته . وكان مولانا قاضي القضاة عامله الله تعالى بألطافه الخفية، لما جاءه الخبر بتولية القاهرة المحمية، أرسل لحضرة الباشا بمصر يستخلف المشار اليه مكانه، لتمييزه بالفضائل التي فاق بها ^(١) أقرانه، فسأله عن بعض ما وقع في البين من الأحوال، واستخبر عنها بالتفصيل والاجمال، فأنهى اليه بعض الأمور بطريق العرض، وعرفه ببعضها ^(٢) وأعرض عن بعض . وبتنا بذلك ^(٣) المنزل ليلة واحدة، وعندنا الى مصر أشواق متزايدة . ثم في ثاني يوم قوَّضنا الخيام، ورحلنا عن ذلك المقام، فأتينا محمية الخانقاه (29) في خامس عشري رمضان، وخرج لاستقبال مولانا قاضيها فخر القضاة شهاب الملة والدين ^(٤) أحمد بن شعبان ^(٥)، وتواتر المستقبلون في ذلك اليوم أفواجا، وتواردوا ^(٦) للقاء مولانا فرادى وأزواجا . فلما كان نهار الأربعاء سادس عشري شهر رمضان أشرفنا على المحمية القاهرة، ولاحت لنا قصورها العالية العامرة، وخرج لاستقبال مولانا- ^(٧) أدام الله تعالى مدده وطوله - جميع القضاة والعلماء وأرباب الدولة، ودخل في أبهة عظيمة، ومهابة جسيمة، وكأن الله تعالى ألقى محبة مولانا في قلوب جميع الخليفة، فاستبشروا ^(٨) بمعدلته التي سار بها في دمشق ^(٩) على أحسن طريقة : (الكامل)

وجةً عليه من الحياءِ سَكِينَةً ^(١٠) ومحبَّةٌ تجري من الأنفـِـاس ^(١١)
واذا أحبَّ الله يوماً عبده القى عليه محبةً للناس
وخرج جميع أهل البلدة لاستقباله فرحاً ^(١٢)، ووافينا دخولها ذلك النهار ضحى، فدخلناها فرحين مستبشرين، وتلونا قوله تعالى ﴿ ادخلوا مصرَ ان شاء الله آمين ﴾ (يوسف : ٩٩)
ثم لما ^(١٣) كان السبب الأعظم في هذه الرحلة، مشاهدة من ذاته اُضحت للمعارف قبلة :

-
- (١) ل : بها على
(٢) ل : وعرف عن بعضها
(٣) ع ل : في ذلك
(٤) شهاب الدين والملة
(٥) لم أعثر له على ترجمة
(٦) ك : وتواردوا
(٧) ع : مولانا، قاضيها
(٨) ع : واستبشروا
(٩) في دمشق : سقطت من ل
(١٠) ل : مهابة
(١١) هذان البيتان لابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م)، انظر ديوانه، جمع محمد رضوان الداية (بيروت، ١٩٧٩) : ٩٣
(١٢) فرحا : سقطت من ظ
(١٣) ع : ولما (مع سقرط : ثم)

علامة الزمان، وواحد الدهر والأوان، أو الأعلّم الأفضل الأفخم، والحبر الذي من خصائصه أن تصغي الفصحاء إذا تكلم، والفصيح الذي إذا قال لم يترك مقالاً لقائل^(١)، والبليغ الذي إذا أنشأ أنسى سحبان وائل (30) (البسيط)

لو أدرك الفصحاء العُربَ أفخمها وقصّرت عن معانيه معانيها
ولو جرى عند أهل السبق في طلق من البلاغة جلي^(٢) عن مجليها
ما سئرت^(٣) حكمة في الناس مذ نشأت تجلو صدى القلب الا وهو مُنشيها^(٤)

أعني به سيدنا ومولانا شمس الملة والدنيا والدين، الأستاذ الأعظم والعارف الأفخم^(٥) سيدي محمد البكري (31) لا زال بيت البلاغة بدعائم بدائعهم معموراً، ولواء الأدب على ملوك براعته منشوراً. فان هذا العبد مذ أميظت عنه التمايم، ونيطت به العمايم، وتشرّف بالعلم الشريف وخدمة أهله أئمة الاقتداء، كان كلما لمع من سنا نجده بارق أنست من جانب طوره هدى^(٦)، وإذا نقلت الرواة أحاديث علومه المعننة المسلسلة، وتلت الأفاضل آيات فضله المرتلة، ينشق من تلك الروايات نفحات أنسية، ويجد نفس الرحمن من جهة يمانية. ولم يزل يأنس بتلك الأخبار آونة وأزمانا. والأذن تعشق قبل العين أحياناً^(٧). حتى^(٨) كلف بها الفؤاد، لكن بنار أوقد فيه جره، وعلق بالقلب علوق الهوى ببني عذرة (32) : (الطويل)

ألا أن أهـوائـي بـليلى قـديـمة وأقتل أهـواءـ الرـجال قـديـمها^(٩)
فقصدنا في آن الدخول الى القاهرة، التوجه للسلام عليه ومشاهدة أنوار طلعت الباهرة، وإذا بجنابه الشريف - أطال الله تعالى بقاءه وأدام فضله - جاء للسلام على مولانا قاضي القضاة على حين غفلة. فشاهدنا تلك الذات السامية المقام، ولزم مفاجآته ذلك الوقت بالسلام، وقلت

(١) من قول حسان (ديوانه ١ : ٣٣١) يمدح ابن عباس :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل بملقطات لا تترى بينها فصلا
وانظر عيون الأخبار ٢ : ١٦٩

(٢) ل : جلت

(٣) ظ : وما سرت

(٤) ل : ينشيها

(٥) الأستاذ . . . الأفخم : سقطت من ع، وفي ل : والملاذ الأفخم

(٦) ناظر الى قوله تعالى ﴿إني آنست ناراً لعلّي آتيكم منها بقبس أو أجِدُ على النار هدى﴾ (طه : ١٠)

(٧) عجز بيت لشار بن برد وصدرة : يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة . وقد أورده بهامش ع، وانظر ديوان بشار، تحقيق الشيخ

محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع والنشر (تونس، ١٩٧٦) ١ : ٢١٧

(٨) ل : حتى كلف الفؤاد بنار

(٩) البيت لمجنون ليلى في ديوانه، جمع عبد الستار أحمد فراج (القاهرة) : ٢٥١ وروايته فيه : الا أن أدوائي . . . وأقتل داء

العاشقين قديمها .

له : يا مولانا ان هذا سلام اتفاقي اضافي ، ويتلوه ان شاء الله تعالى السلام الحقيقي الشافي . وتوجهنا ثاني يوم للسلام عليه في منزله السعيد ، لا برحت ربوعه عالية الذرى ، فشاهدنا منه في سماء الفضل بدرا مسفرا . وشهدنا من وافر فضله ومزيد لطفه ، ما يعجز اللسان عن بعض وصفه . وكان ابتداء مخاطبته أن قال ملاطفاً ، ونطق عاطفاً : وهذا السلام الحقيقي ، تلميحاً الى قول أبي العلاء (33) (١) ومن (٢) بالعراق ، وأبدى لنا من معارفه ما يعجز عنه نطاق النطاق ، وكنا في السابق نظنّ الناس يطنبون في المسند اليه من المدح ، ويقولون : أن كلامه لا يكاد أن يكون من قوة البشر بل من قبيل الفتح . حتى شاهدنا ذلك رأي العين (٣) فوجدناه يعجز عن وصفه الكيف والأين . ورأينا اطنابهم في مدحه في غاية الإيجاز ، ومطول وصفهم مختصراً بالنسبة الى ما قامت عليه «دلائل الاعجاز» (٤) فعند ذلك تمثلنا بقول القائل : (الطويل)

لقد كنتُ في الأخبارِ أسمعُ عنكمُ حديثاً كنش المسك (٥) اذ يتضوُّعُ
فلما تلاقينا وجدت محاسنا من اللطف أضعافَ الذي كنتُ أسمعُ

وبالجملة فجميع من في القاهرة (وهي ام الدنيا) (٦) من العلماء اذا نسب (٧) اليه يكون هباءً منثوراً (٨) ، واذا قيس عليه لم يكن شيئاً مذكوراً (٩) . وفي الحقيقة فما علماء هذه الديار ، الا كالنجوم وهو كالشمس (١٠) في رابعة النهار ، مشى في كل فنٍ سويّاً على صراط مستقيم (١١) ، وتلا لسان الكون على من قصر عن رتبته ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ (يوسف : ٧٦) حاز قصبات السبق في علم التفسير ، وفاق الأوائل والأواخر بحسن التحرير فيه والتجوير (١٢) ، لا يهتدي أحدهم لسلوك طرائقه ، وغوامض دقائقه ، ولا يغوص على شيء مما يبرزه في تقرير من درر حقائقه : (الطويل)

(١) يقال أن احمد بن يوسف المنازي الشاعر دخل على المعري في جماعة من أهل الأدب ، وحين انشد المنازي قال له أبو العلاء أنت أشعر من بالشام . ثم رحل أبو العلاء الى بغداد وأنشده الشعراء وحين انتهى المنازي من إلقاء قصيدته قال له : «ومن بالعراق» عطفاً على قوله «من بالشام» . انظر ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي على هامش المستطرف لشهاب الدين محمد بن أحمد الأبيشي (٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م) ، تصوير دار الفكر ، بيروت (عن طبعة مكتبة الاستقامة ، القاهرة ١٣٧٩) ١ : ٤٦ - ٤٧

(٢) من : سقطت من ل

(٣) ل : رأي العين

(٤) فيه تلميح الى كتاب عبد الفاهر الجرجاني المسمى بهذا الاسم

(٥) كذا في ع ل ، وفي النسخ الأخرى : العلم

(٦) ما بين معقنين انفردت به ل

(٧) ل : نسيت

(٨) مقتبس من الآية القرآنية ﴿ وقدما الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ (الفرقان : ٢٣)

(٩) إشارة الى قوله تعالى ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾ (الإنسان : ١)

(١٠) وهو كالشمس : سقطت من ل

(١١) عبارة قرآنية وردت في عدة سور ، انظر مثلاً : (الحمل : ٦)

(١٢) يحذر أن نتذكر انه التحرير والتجوير هو احد كتب السبعاني

إذا عُدَّ أهل الفضل يوماً فكلهم على فضله لو ينشرون عيالاً
 ترى^(١) عنده ما عندهم من فضيلة وفيه خلال فوقها وخالل
 أجل معانيه البديعة ان يحصرها بياني، أو يطرها بنان قلبي وقلم^(٢) بناني : (الطوبل)
 وكيف أطيعُ البحث عن بعض فضله وقد كلَّ فيه السنُّ الفضلاء
 أقر بعجزي حين أحصي خصاله فما لي سوى ختم بخير دعاء
 أبقاه الله تعالى إماماً اصطفيت خلفه صفوفُ البلغاء، فأمهم بنوافل بره، فأوا شكر ذلك فرضاً مؤبداً،
 وأطنبوا في حمد أوصافه، ولا غرو ان أصبح بها محمداً. وقد حصل بين العبد وبين حضرته السعيدة،
 مودة خالصة ومحبة أكيدة، مؤسسة على قواعد الاخلاص، ومؤكدة من توابع الود بمزيد
 الاختصاص.

هذا ومما^(٣) كتبه لحضرته العلية، صحبة شيء من قلب الفستق أهدي لنا من الديار الحموية، ما
 صورته : (السيط)

لما تملك قلبي حبكم فغداً مجرداً منه قلباً رقيقاً واستعرا
 حررتنه فغدا طوعاً لخدمتكم محرراً خادماً^(٤) وافاك معتزلاً
 فقابلوه بجبر^(٥) حيث جاءكم مجرداً بمزيد الحب منكسراً^(٦)

يقبل اليد الشريفة، ويلثم الراحة اللطيفة، وينهي الى الحضرة العلية، عظم الله شأنها، وصانها عما
 شأنها، أنه أهدي اليه من تلك الديار ما يناسب اهداؤه لأرباب القلوب^(٧)، ويلائم إرساله
 لأصحاب الغيوب. فقدم العبد رجلاً وآخر أخرى، في ان يهدي الى جنابكم الشريف منه قدراً، علماً
 بأنه شيء حقير، لا يوازي مقامكم الخطير، وقد توارى بالحجاب حيث وافاكم وهو حسير^(٨) وما مثل
 من يهدي مثله الى ذلك الجنب، إلا كالبحر يمطره السحاب، ثم انه تهجم باهداء هذا القدر اليسير،
 فان وقع في حيز القبول انجبر القلب الكسير. ولا يعزب عن علم مولانا بلغه الله أملاً، النمل يُعذِرُ
 في مقدار ما حملاً، والسلام.

(١) ل : وترى، وذلك يكسر الوزن

(٢) ل : أو قلم

(٣) من هنا ورد في هذا الموضع ولكنه متأخر عن هذا في بقية النسخ، وتعدع من أدق النسخ، ولهذا اعتمدتها

(٤) محرراً خادماً، يوهم التضاد، بين الحرية والعبودية

(٥) مرة أخرى يستعمل المقابلة والجبر على الایهام

(٦) مجرداً : يعني الفستق الذي تجرد من غلافه، منكسراً : قد كسرت عنه قشرته، وللكلمتين معنيان آخران فمجرداً تعني وحيداً قد
 تجرد من كل العلائق، ومنكسراً تعني : منكسر الخاطر.

(٧) أرباب القلوب : أي المحبون ذوي القلوب الكبيرة ؛ وأرباب القلوب : المتصوفة، والقلوب أيضاً : قلوب الفستق

(٨) توارى بالحجاب، جاء خجلاً، مع انه حسر عنه حجابهِ الأصلي وهو قشره.

ثم اجتمعت بعد ذلك بجنابه الشريف، فكان من خطابه المثيف، أنه قال : ما يقول اللسانُ في هدية كلها قلب، وأنشدني بديها في معنى ذلك بيتاً جمع فيه المحاسن وهو مفرد، واشتمل من اللطف على مزيد وهو مجرد، وهو: (المتقارب)

بحرـــــــــــــاميمَ أقسمُ أني فتى صــــــــــــديقٌ حميم بقلبي محب
ثم صار مجلسه الشريف اذ ذاك غاصاً بأفاضل الأنام، واعترض في أثناء الخطاب مع حضرته جمل من الكلام، فقال معتذرا: ان هذا من نظم الوقت، وان لم يكن هذا وقت النظم.

هذا وقد شرف العبد من جنابه الشريف ببعض المكاتبات، قصد^(١) الفقير أن يكون لها في هذه الرحلة اثبات، فمن ذلك ما كتب لي حفظ الله تعالى جنابه، وكنت قاضياً^(٢) بتزمنت (34) (3)، مكتوباً يتضمن الشفاعة لشخص في النيابة، صورته: ان أنضر زهر فتحت يد النسيم كرائمه، وازهر ناضراً حب بأعطر من لطائف المسك نسائمه، وأورق عود أصدح الشوق على أفنانه حمامه، وأرقى منبر سجع عليه خطيب بلاغة فاستنزل من الأفق نعائمه، وأفصح منطق ترك سحبان في أرض البلاغة باقلا (35) أو ذاهلاً يتطلب تمامه، حمداً لله تعالى الذي جعل حُبّه مترياً مصاعداً المجد، وأيد به الدين فأصبح له كالأب رافلا في حلل الجد^(٤). هذا وان بسطة القول في بثّ الشوق، يضيق عنها الطوق، ولو استعان ذو البثّ بذوات الطوق^(٥)، وبعد بُعد المدى وان كان لا بعد، فالجنان بكم في أنضر من جنان الخلد، ثم إن ممن له الى هذا^(٦) الجنب انتساب، وعراقه في الاتصال بهذا الداعي لذلك الجنب، المائل^(٧) لديكم بهذه الصبابة، والناقل لخبر هاتيك الصبابة، الولد الأعز عبد الفتاح، فالمسئول أن لا يزال مريش الجناح، محفوفاً بيمين نظركم السعيد، محفوظاً بعنايتكم في الطريف والتليد، متشرفاً بخدمة^(٨) عتبتكم في تنفيذ الاحكام، مأموراً من جنابكم العالي برعاية أمر الله تعالى في النقض والإبرام، بعد الدعاء ثانياً والسلام على الدوام.

وكان أهالي ذلك الإقليم شكوا من ذلك النائب شكاية كلية، وتحقق العبد أن مولانا الشيخ حفظ الله تعالى حضرته العلية، لم يبلغه ما حدث^(٩) من المذكور من التعدي على أهل

(۱) ظ : فقصد، قصد... اثبات : سقط منزل

(۲) ل : وانا قاض، ك : قاضی

(٣) فراغ في ظ موضع هذه الكلمة

(٤) الجد في مقابلة الأب، والجد: أيضاً الحظ

(٥) ذوات الطوق : الحائض، وعانتهم للمحزون مألوف في الشعر العربي، ومنه قول أبي العلاء: «أسعدن أو عدن قليل الغرام بالاسعاد»

(٦) ظ : في هذا

(٧) ج : التأمل

(٨) ظ : في خدمة

(۹) ل : ما صدور

الإقليم، ولم يكتب له ذلك إلا بناء على طبعه السليم. فأحبَّ العبدُ أن يعرض على المولى المشار إليه، أحوال المذكور وما انطوى عليه، علماً بأن حضرته الشريفة حفظها الله تعالى ووقاها، إذا بلغها أحوال المذكور ينكرها ولا يرضاها، فسطر له هذا الجواب، وأرسله بضاعة مُزجاةً لذلك الجنب. صورته^(١) «يقبل الأرض بعد دعائه الذي ترصعت في تيجان الاجابة درره، وتضرعت في ديوان الاخلاص فقره، ويصف الحب الصحيح السالم، والثناء الذي هو للود جازم. وينهي ان السبب في تسطيرها، والباعث على تحريرها، محبة أضرم^(٢) نارها في الفؤاد، وأشواق لو تجسّمت لمئات ألف واد، وان تفضل المولى بالسؤال عن احوال العبد فهو باق على محبته القلبية القبلية، وملازم على مقام العبودية. وقد وصل المثال العديم المثال، مشتملاً على الدرر التي فاقت اللال، فقام له^(٣) المخلص تعظيماً وإجلالاً، وسجد سجدة صادٍ رأى من معانيه زلالاً. ورقى^(٤) على منبر الثناء معلماً بشكره، وأنشد^(٥):
(الكامل)

ولقد سما العبد الحقير إلى السهـ
لما تفوّهت الأسود بذكره
هذا والذي ينهيه العبد من خصوص عبد الفتاح، وما اشتمل عليه من الأمور القباح، فانه كثر في هذا الإقليم^(٦) شاكوه، وانعدم فيه شاكروه. وان من البدع المحدثّة على هذه البلاد مما يسمّى بالمشاق⁽³⁶⁾، وقد شكّا منه أهل الإقليم وذكروا أنه حملهم فيه غاية المشاق. وأما ما أثبتته في السجل بطريق التزوير، فذلك أمر ظاهر شهير، الى غير ذلك من ظلمات بزيادة، وجنایات جاوز فيها الحدّ وخرق العادة. وقد ذكر لي^(٧) جماعة من الصلحاء ليس لهم غرض دنياوي، منهم رجل من ذرية الشيخ الشعراوي⁽³⁷⁾، أن المذكور إن^(٨) تولّى سعى في الأرض بالفساد^(٩)، وتعدّى من ظلم نفسه القاصرة الى ظلم العباد، كلّ ذلك ما خلا أفعالا لو تمّت بالاخبار، لأضحت ناقصة عن درجة الاعتبار، في مقام الخطاب، وأحوالا مقررة ليست من أفعال الشكّ بل اليقين، لو بحث

(١) صورته : سقطت من ل جاء بدلها : وهو

(٢) ل : أضرم

(٣) له : سقطت من ل

(٤) ظ : وقى

(٥) وأنشد : سقطت من ظ

(٦) ل : في الإقليم

(٧) لي : من ع وحدها

(٨) ل : إذا

(٩) من قوله تعالى ﴿ويسعون في الأرض فساداً﴾ (المائدة : ٦٤)

عنها^(١) خرجت عن طريق الآداب . لكن من طرق البلاغة استعمال الأضمار في موضع الاظهار، كما نستفيده ، وصيغة المضارع للاستمرار، من بحر فيضكم المدرار . ولو فُصِّلَت لحضرتكم الشريفة أمور^(٢) لأوجبت له أن يطرد ويبعد ، ويتمثل له بقول القائل وينشد^(٣) : (الخفيف)

أيها المدعي سليمى سفاهاً لست منها ولا قلاماً ظفراً
إنما انت من سليمى كـواوٍ ألحقت في الهجاء ظلماً بعمرو

والحاصل أن المملوك ما يحيل^(٤) التفرس في عدم استقامة^(٥) المذكور الآ على سلامة مزاج مولانا وسرعة حدسه ، وحاشا لمقامه الشريف أن يرضى لعبده الحشر مع غير (أبناء) جنسه . وعلى كل حال فمن حمل أعباء القضاء شاهد أحوالاً تشيب النواصي ، وعاین أهوالاً تذيب الرواسي ، ولكن : (الطويل)

إلهي ظلمتُ النفس مذ صرتُ قاضياً وعوضتها بالضيق عن ذلك الفضا
وحملتُها ما لا تكادُ تطيقه فأسألك التوفيق واللفظ في القضا

ووالله إنَّ العبد ما سطر هذا الجواب ، إلا وهو من الخجالة قد توارى بالحجاب ، لاشتماله على هذه الألفاظ السقيمة ، وقبائح المذكور وأفعاله الذميمة . ولكن صحَّ كما في علمكم الكريم^(٦) العبد يناجي ربّه ، وشاع أنَّ الكلفة ترتفع اذا صحَّت المحبة . على أنه لا يغرب عن شريف علمكم أن بسط الكلام يحسن اذا كان الاصغاء مطلوباً ، والخطاب محبوباً ومرغوباً ، وما تلك قضية منكورة ، بل قصة معروفة مشهورة . بعد تكرير^(٧) الأدعية على الدوام ، والسلام الى قيام الساعة وساعة القيام .

(١) ظ : عنها

(٢) ظ ل : أموره

(٣) البيتان لأبي نواس في هجاء أشجع السلمي : انظر ديوان أبي نواس ، تحقيق بهجت الحديثي (بغداد ، ١٩٨٠) : ٦٢٦ وثمرات الأوراق (مهامشي المستطرف ، ١ : ٩)

(٤) ظ : يحيل

(٥) ل : الاستقامة

(٦) الكريم : سقطت من ع

(٧) ل : تكرر

فلما وصلت إلى جنبه الشريف تلقاها بحسن القبول، وأرسل جواباً عنها هذه المشرفة التي تكاد من رقة ألفاظها تسحر^(١) العقول، صورتها^(٢) : (البيسط)

يا نسمة البان بل يا نفحة الريح ان رحتي يرساً الى من عندهم روي
خذي لهم من ثنائي عنبراً عبقاً وأوقدي به نار من تباريحي
شيد الله تعالى معالم الحق التي دثرت، ورفع سمك السماء الدين التي انفطرت، وأتاح الذكر الجميل
الأعذب، وأفاح الثناء العاطر الأطيب، ببقاء من طن في مسمع العاقل^(٣) حديث فضله المحقق،
واستمسك الناس منه^(٤) بحبل استقامة طال مارت في ذلك الإقليم وتمزق، واقبل على الدين اقبال
محبي صادق، وقال عن الله تعالى وعن رسوله بأعذب لسان ناطق، وقال^(٥) في وارف الثقة بالله واليه
بالصدق انتمى، وقلا^(٦) أهل الباطل ولكن بجمري الى وجوههم به رمى، الحبيب الذي أجله القلب
فأحله خلال الشراسيف^(٧) والضلوع، بل سواء السويداء والشغاف وهاتيك الربوع، لا زال الله تعالى
يقذف به على الباطل فيدمغه^(٨)، ويصدع فود فؤاد الشيطان ويزل قدمه ويفدغه^(٩) ويؤيد به
الشرعية على أنها المنهل الفرات^(١٠) لكل وارد، ويروض^(١١) منازله منازلها (المريعة)^(١٢) على أنها رياض
المعارف والعوارف والفوائد، في نعمة ترف بنسائم^(١٣) العناية نضارة، ونعيم يتقاطر غضارة، آمين.
يحيط علمكم الكريم، بعد أشرف تحية وأعطر^(١٤) تسليم، أن الفقير ورد عليه مكتوب ولكن بقلم
هو^(١٥) أنبوبة بالفضائل راعفة، ولكن مثمر بكل عارفة، وطائر ولكن بأجنحة الأنامل إلى فضاء
بلاغة لم يزل لديكم منفسحاً، صادق ولكن أعرب فأغرب، فما الورقاء هاتفة بالضحي في طرس هو
من يياض نهار الأعياد، ومداد هو سواد ليل الاسراء، وكم وجنة ودت

(١) ل : تجد

(٢) صورتها : ساقطة من ع

(٣) ع : العدل

(٤) ظ ك : من منه

(٥) تحت هذه اللفظة في ع : من القيلولة، وشرح الوارف : الظل الواسع الطويل

(٦) قلا : يقلي ويقلو، أبغض

(٧) الشراسيف : رؤوس الأضلاع

(٨) إشارة إلى الآية القرآنية ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه﴾ (الأنبياء : ١٨)

(٩) في بعض النسخ ويفدغه - بالعين المهملة - والتزام السجع يعني أن اللفظة بالعين كما هي في ع، وفدغ : شرح وشق، وهي مستعملة في عامية بعض نواحي فلسطين بهذا المعنى

(١٠) الفرات : العذب

(١١) ظ : ويرفض

(١٢) المريعة : تنفرد بها ع

(١٣) بنسائم، رواية ع ل، وفي النسخ الأخرى : بنسيم

(١٤) ل : وأعظم

(١٥) هو : سقطت من ظ

نقطة من ذلك السواد، وإنشاء هو سحر العقول ولكن الحلال، وعذوبة ألفاظ يودها الخَصِرُ الزُّلال، ومعان ما ذلت لمعان، بل لمعان نشأت من لمعان فكر صقيل، ومبان تذكرنا ببناء الخليل لبيت الجليل (١). ثم ما أشرتم اليه (٢) من تلك القضية القصية، فلا والله لولا كتابكم الكريم ما أنا بالذي (٣) عالم لا خفية منها ولا جليلة، ولا أرضى إلا بما يرضي الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، وأنتم في فسيح العذر بل في أعلى محل طبقات الشكر على خلاص الفقير من عهدة الآثام. ثم إن سألتكم عن مولانا شيخ مشايخ الاسلام، نعمة الله تعالى التي أرسلها الغيدقة (٤) على الخاص والعام، فحال ثابتة المجد، منتقلة في معارج السعد، فما كل حال كاملة سواها إلا فضله، ومبتدأ خبره ثناء أملاك السماء وأقطاب (٥) الأرض على من أفاض الله تعالى عليه فضله. بلغ الله تعالى بدولته (٦) المتبغى، والجملة خبرية، وأقام بأحكامه الصغى واطرد القياس في القضية، عالم ولكنه عالم كمالات باهرة، ومرتب رتبة سماء سموه يخضع لها أبناء الدنيا ويدعو بمزيد تعاليها أبناء الآخرة. فعين الله تعالى على زمان أحياء الله تعالى بعد زمانه وبلا، وعالمة إن سئل معروفاً فالسئل فوق الربى، أفعم فعم، فجوابه نعم (٧)، وحاشاه أن يجيب بلا، وما رقم الفقير هذه الصبابة إلا ليزيدكم علماً بما للقلب به من صبابة. وأنتم في أمان الله تعالى وحفظه والسلام على الدوام (٨).

ثم إن العبد كان في تلك الغضون، كتب لمولانا قدوة الأعالي (٩) والمدققين، وخلاصة الأفاضل المتبحرين (المحققين) (١٠) الشيخ اسماعيل (١١) النابلسي (٣٨) - أسبغ الله تعالى عليه سوابغ الانعام - مكتوباً تضمن (١٢) نوعاً من ذم مصر ومدح دمشق الشام، فيه ما (١٣) عبارته : وإن سأل مولانا - أدام الله تعالى أيامه الزاهرة - عن احوال المحمية القاهرة، فقد وجد الفقير ما كانوا يصفونه من محاسنها إنما هو من طريق المبالغة بل من قبيل القول الكاذب، أو من قبيل : «وللناس فيما يعشقون

(١) يعني بناء ابراهيم الخليل للكعبة

(٢) ل : به

(٣) ر : « ما أنا بالذي لولا كتابكم الكريم »

(٤) الغيدقة : صفة للنعمة أي الغزيرة

(٥) ل : وأقطار

(٦) ل : دولته

(٧) فجوابه نعم : سقط من ل

(٨) بعد هذا ورد النص الذي تقدم في ع « وأوله وما كتبت خضرته العلية . . . وإن لم يكن هذا وقت النظم »

(٩) تقرأ في بعض النسخ الأعمالي، وفي بعضها الآخر : الأمالي

(١٠) ما بين معقنين من ل وحدها

(١١) في النسخ ما عدا اسماعيل بن

(١٢) ل : يتضمن

(١٣) ما : سقطت من ل

مذاهب»^(١) يعدّ من متنزهاتها^(٢) المكان المسمى ببولاق (39)، ولكن لطول الفصل بينه وبين مصر يعسر في كل آن اليه الذهاب والانطلاق، وربما يكون طريقه مخوفاً فيحجم الانسان عن السير ويحصل له الامتناع، ويستحضر قضية «سررت على وادي السباع»^(٣). على أنّ المكان المذكور وأن اشتمل على الماء الا أنّه عديم الخضرة، وليس به أنيس مكتس ملابس النضرة. ومع ذلك لا يوجد فيه غير السمك لكن ترى الفلّك فيه مواخر، وإذا افتخر فإنه مفتخر تقول له: «إذا ما تيممي أتاك يفاخر»^(٤). فقل لمن يقايس متنزهاتها^(٥) بدمشق: هذا قياس باطل، وأنى يلحق الناقص بالكامل. وأما حضرة الأفندي - حفظ الله تعالى طلعتة العليّة - مغرم بمدح دمشق المحمية، دائماً يتذاكر^(٦) ما مضى له فيها من الحضور في تلك الأيام الخالية، ويتأسف على ما مرّ له من حلاوة العيش في هاتيك^(٧) الأوقات الماضية، وينشد: (السريع)

لله أيام تقضت لنا ما كان أحلاها وأنهاها
مرّت فلم يبق لنا بعدها شيء سوى ان نتمناهاها
والفقير كثيراً ما يستحسن دمشق على مصر فيوافقني^(٨) على هذا الكلام ويقول^(٩) للمخالفة^(١٠):
(الوافر)

فكيف اذا مررت بدار قوم وجيران لنا كانوا كرام^(١١)

(١) شطريت شعر، وصدره: كلفت بها شمطاء شاب وليدها (وقد ورد في هامش ع)

(٢) ع ظ: متنزهاتها

(٣) من بيت شعر ورد بهامش ع ك (وهو في معجم البلدان - وادي السباع)

مررت على وادي السباع ولا أرى كوادي السباع حين يظلم واديا

(٤) اراد هنا قول الشاعر:

إذا ما تيممي أتاك مفاخرأ فقل عدّ عن ذا كيف أكلك للضبّ

(وقد ورد في هامش ع ك) وهو من شعر ابي نواس، ديوانه: ٥٧٧

(٥) في أكثر النسخ: متنزهاتها، والصواب تقديم التاء على النون

(٦) ل ع: تتذاكر، ظ، يتذكر

(٧) ل: تلك

(٨) فيوافقني: سقطت من ل

(٩) ع: ونقول

(١٠) للمخالفة: سقطت من ل

(١١) البيت للفرزدق، ويستشهد به النحويون على أن كان زائدة وفصلت بين الموصوف والصفة وذلك هو رأي سيويه في الكتاب

(ط. بولاق) ١: ٢٨٩ وعدّها آخرون غير زائدة، انظر المقتضب للمبرد، تحقيق عبدالحلّق عزيمة (القاهرة، ١٣٨٨ هـ):

٤: ١١٦ - ١١٧

وأما هذا العبد فطالما^(١) تحركه الى جهتها سواكنُ الأشواق ، وتكادُ تجذبه اذا تقاعس بالأطواق ، لا يصغي الى تفنيد في حبِّها ولا ملام ، واذا مزج دمعها بدم^(٢) يقال تذكر عهداً بالشَّام^(٣) . وبالجملة فان شطّ بنا الدار^(٤) وكان بيننا وبينها^(٥) «كما حكم البين المشتُّ فراسخ» ولكن : (الطويل)

✽ وأما الذي في القلب منها فراسخ ✽

(إذ تذكر)^(٦) تلك المعاهد يفيض دمعها من العيون ، وان ذهب عنها كلُّ^(٧) مذهبٍ ففي قلبه من قاسيون^(٨) ، نار شوق الى الالمام بتلك الأماكن لا يملك القلب دفءه ، «ولو لم يكن الا معرّج ساعة»^(٩) ، وعلى كلِّ حال فان أتهم القلب أو أنجد ، وحشما كان من الأرض^(١٠) قرب^(١١) أو أبعد ، فلست عن حبكم أبداً ساليا ، وإن ملت الى جهة الجنوب «ينازعني الهوى عن شماليا»^(١٢) فالسلو (عن عبوديتكم)^(١٣) ومحبتكم من قبيل المحال ، كيف لا «والقلب من جهة الشمال»^(١٤) . فنسأل الله تعالى ان يقرب أيام التلاق ، بطي شقّة البين والفراق ، لنكون تحت نظركم السعيد ، وظلكم

(١) ل : فلطالما

(٢) من قول البوصيري : مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

(٣) منتزع من بيت شعر ورد في هامش ع ك ومتن ل وهو :

تذكر عهداً بالشَّام ومربعا وملهى لأيام الصبا ومرتعا

(٤) ل : الديار

(٥) وبينها : سقطت من ل

(٦) ل : تذكرت

(٧) ل : واذا ذهب كل

(٨) اشارة الى بيت شعر ورد في هامش ع ل وبعضه في متن ل :

وفي كبدي من قاسيون حرارة تزول رواسيه وليس تزول

(٩) من قول الشاعر (ورد البيت في هامش ع والثاني بهامش ك ، وبعض الثاني في متن ل) :

ألمأ على الدار التي لو وجدتها بها أهلها ما كان وحشاً مقلها

ولم لم يكن الا معرّج ساعة قليلاً فاني نافع لي قليلها

والبيت الثاني لذي الرمة (ديوانه ٩١٣ / ٢) أما الأول فقد ورد بدله عند ذي الرمة :

ألمأ بمي قبل أن تطرح النوى بنا مطرحاً أو قبل بين يزيلها

(١٠) ل : الأمر

(١١) ع : أقرب

(١٢) من قول المجنون :

يمية إذا كانت يميناً وان تكن شماليا ينازعني الهوى عن شماليا

(١٣) ما بين معقفين انفردت به ع

(١٤) من قول الشاعر (بهامش ع ك) (من الرافق) :

أيا أرض الشمال فدتك نفسي وأصغر أن أقول فدتك مالي

وقالوا مل الى جهة سواها فقلت القلب في جهة الشمال

المديد، لا «برح في الأقطار مخيماً»، وقد يجمع الله الشيتين بعدما^(١) والسلام الى ساعة القيام . فاتفق أن مولانا الشيخ المشار اليه ، وقف على ما تضمنه المکتوب واشتمل عليه ، وحصل مع حضرته حالتئذ مباسطة في الكلام ، وذكرنا طرفاً مما قاله ظرفاء الشعراء في مدح مصر والشام . وبعد ذلك بتنا عنده ليلة^(٢) في بيته الذي على بركة القرع (40) ، وكانت ليلة مقمرة ، وبوجوده الشريف مزهرة ، اختلسناها من بين الليالي بأيدي الفرص ، فقص علينا من نفائس أشعاره البليغة^(٣) أحسن القصص ، وجلا علينا من أبكار معارفه عرائس أفكار حيرت الشعراء ، ونثر علينا من لآليء معانيه البديعة دررا . ثم قال للبعد في أثناء المصاحبة : وهل يوجد في دمشق مثل هذا المكان؟ فقلت - وقد عرفت مراده^(٤) : لا والله يا مولانا من حيث تشريفه بطلعتكم الرفيعة الشأن . وقلت مخاطباً لحضرته الشريفة رفع الله تعالى محلها (الطويل) :

✽ وتستعذب الأرض التي أنت حلّها^(٥) ✽

فقال : مع قطع النظر عن الحشيات والأغيار فأنشدته : «وما حبّ الديار»^(٦) . ثم إنه أورد شيئاً يتضمن مدح^(٧) مصر بالمناسبة ، وقصد الملاطفة والمصاحبة^(٨) فانجرّ الكلام الى ابن سناء الملك (41) وجلالة^(٩) قدره ، وأورد في المجلس شيء^(١٠) من شعره ، فقال مولانا الشيخ حفظ الله تعالى حضرته العلية ، وما أحسن قوله كذا ، وذكر شعراً يتضمن نوعاً من ذم دمشق المحمية^(١١) . فقلت له يا مولانا :

(١) هو صدر بيت ، وعجزه : يظنان كل الظن أن لا تلاقيا ، وهو للمجنون في ديوانه : ٣١٥ ، وقد ورد البيت كاملاً بهامش ع ، وفي متن ل ، وورد صدره في متن جميع النسخ ما عدا ظ

(٢) عنده ليلة : سقط من ل

(٣) البليغة : سقطت من ل

(٤) ع : قصده

(٥) بهامش ع ك بيتان ، والثاني منهما بهامش ر ، وعجز الثاني في ل

لعمري لقد سُدَّتْ الأنام فأصبحت اليك بنو الأمال تسعى وترغب

وتستعذب الأرض التي أنت حلها وكل مكان ينبث العز طيب

(٦) بهامش ع بيتان والثاني منهما في متن ر ظ وهامش ك (من الوافر) :

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حبّ الديار شغفن قلبي ولكن حبّ من سكن الديارا

(٧) مدح : سقطت من ر ل

(٨) ع : في المخاطبة ، ر : في المصاحبة

(٩) ع ر ل : ونباهة

(١٠) ع ل ر : الشيء

(١١) يشير الى قول ابن سناء الملك (ديوانه : ٥٨٣) :

دمشق قبر الدين كم منكبر فيها ولكن ما عليه نكير

ولو كان شعراً واحداً لاتقيته ولكنّه شعر وثان وثالث^(١)

ثم ضحك كثيراً والتفت الى الشيخ نور الدين العسيلي (42) (٢) وقال له : يا مولانا وفاضل عصرنا ، ان الشيخ محب الدين من أكبر المتعصبين على مصرنا ، وارى رأيتم المكترب الذي كتبه سابقاً الى دمشق يتشوق الى اخوانه ، ويتشوّف الى أوطانه ، ومدحته^(٣) لدمشق المدحة الوافرة ، وتفضيله لها على المحمية القاهرة ، لرأيتم العجب العجاب ، الى غير ذلك من الملاطفة في الخطاب . والتقطنا تلك الليلة من فوائده الشريفة ما يفوق الدرر، وشاهدنا من حسن محاضرتة لطفاً أرق من نسيم السحر، وقضيناها ليلة كاد يسبق آخرها أولها وأولها آخرها ، ولم يكن عيبها الا تقاصرها^(٤) . ثم إن عوامل^(٥) المودة بيننا تأكدت بحيث صار الفؤاد مشغولاً بمحبته ، وكان العبد دائماً يعطّر مجالس قاضي القضاة بمدحته . فاتفق أنه جاء^(٦) في بعض الليالي لزيارة^(٧) مولانا قاضي القضاة فأبدى من نكته ولطائفه العجب العُجاب ، وأملى^(٨) من فوائده وفرائده ما حير العقول والألباب . فعرض عليه مولانا قاضي القضاة هذا الفقير^(٩) وقال له : هذا الشيخ محب الدين ما هو الا عبد جنابكم الخطير، فوالله لقد وقع هذا الكلام عند العبد ألطف موقع ، وحل من قلبه أحسن موضع ، وأنشدت^(١٠) عند ذلك : (الكامل)

مذ صحّ عندي أنني عبدٌ لكم صَغُرَ الوجودُ بعينه في همتي
ولقد أتته على الوجود تعزراً لما نُسِبْتُ لكم وصحّتْ نسبتي

ثم تشرفت بعد ذلك المجلس بمشاهدة ذاته المحمية ، وعرضت عليه^(١١) قصة المحبة والعبودية ، وقلت له : يا مولانا ان عبودية هذا المخلص لكم مبينة^(١٢) لا تحتاج في اثباتها الى

(١) محوّل عن قول الشاعر :

فلو كان سهماً واحداً لاتقيته ولكنه سهم وثان وثالث

(٢) زاد في ل : وكان مختصاً بالشيخ ، وكانت له يد

(٣) ل : ومدحه

(٤) بهامش ع ، ازاء هذا الموضع ، مثله :

يــــا رب ليلٍ سرورٍ خلّته قصراً كعارض البرق في أفق الدجى برقاً
قد كاد يعثرُ أولاه بآخره وكاد يسبق منه فجره الشفقاً
ويوم سرورٍ قد تكامل حسنة سوى قصرٍ لا عيب فيه سواء
وعهدي به كالرمح طولا فعندما (. . .) والتقى طرْفاه

(٥) ل : عوائد

(٦) ر ك : جاء مولانا

(٧) في . . . لزيارة : سقط من ظ

(٨) ر : وأبدى

(٩) ظ ك : العبد الفقير ، ساقطة في نسختي ط ع

(١٠) ع ل ر : وأنشد

(١١) عليه : سقطت من ر

(١٢) ل : سنية

بيّنة، كيف لا وقد حكم بموجبها قاضي المحبّة، وشافهكم بذلك مرة في أثناء الصحبة. والله درّه قاضياً أحسن في أداء هذه الشهادة الحسنة الحسبة، فاني^(١) والله لم أزل أثني على مقاصده المستجادة، وأشكره ولا كشكري على هذه الشهادة. هذا ولو ذكرنا بعض^(٢) فضائل مولانا ومحاسنه، لعجز عن حصرها القلم وكلّ لسانه، وضاق صدر الطرس وان كان متسعاً ميدانه: (الطويل)

وليس يـزید المرءَ قدراً ورفعةً إطالةً وصّافٍ واكثاراً مادح^(٣)
وقد^(٤) تعين أن نذكر حينئذ شيئاً من تراجم المشهورين من علماء الديار المصرية بطريق الإيجاز والاختصار، وأما ترجمتهم^(٥) بالاطناب فذاك شيء لا تحويه الأسفار.

١ - محمد الرملي، فأما الامام^(٦) العالم العلامة، والخبير البحر^(٧) الفهامة، شمس الملة والدين، الشيخ محمد الرملي الشافعي (43) - فسح الله تعالى في أجله، ونفع المسلمين بعلمه وعمله - فانه هذب المذهب وحرره، وتكاد^(٨) غالب مسائل^(٩) الفقه في حفظه مصوّرة. انتهت اليه معرفة الفقه في هذه الديار، واشتهر بذلك غاية الاشتهار، بحيث لا يختلف في ذلك اثنان، ولا يحتاج فيه الى إثبات حُجّة واقامة برهان^(١٠)، وانه بلغ فيه الى^(١١) الدرجة القصوى، وصار المعول عليه في^(١٢) هذا العصر في الفتوى. وصل في ذلك الى أسنى^(١٣) محل وأرفع مقام، حتى يقال عندما يتكلم «إذا قالت حذام»^(١٤).

3

(١) ع : واني

(٢) بعض : سقطت من ر

(٣) بهامش ع : أصله

وليس يـزید الشمس نوراً ورفعة

(٤) ل : هذا وقد

(٥) ل : تراجمهم

(٦) الامام : سقطت من ر

(٧) البحر : سقطت من ل

(٨) ع : ويكاد

(٩) ر ل : مسائل

(١٠) ل : حجة ولا برهان

(١١) الى : سقطت من ل

(١٢) في : انفردت بهار

(١٣) ل : أرفع

(١٤) من قول الشاعر :

فإن القول ما قالت حذام

إذا قالت حذام فصدقوها

ورد البيت في ل ر ع ل

٢ - نجم الدين الغيطي ، وأما حافظ الوقت وحيد^(١) دهره ، ومحدث عصره ، الرحلة الامام والعمدة الهمام ، الشيخ نجم الدين الغيطي (44) فانه محدث هذه الديار على الاطلاق ، جامع للكمالات الجمّة ومحاسن الاخلاق ، حاز أنواع الفضائل والعلوم ، واحتوى على بدائع المنشور والمنظوم . إذا تكلم في الحديث بلفظه الجاري ، أقرّ كل مسلم بأنه البخاري . أجمعت على صدارته في علم الحديث^(٢) علماء البلاد ، واتفقت على ترجيحه بعلو الاسناد .

٣ - الطبلاوي ، وأما الفاضل العلامة ، والمدقق الفهامة ، الشيخ أبو النصر ابن^(٣) الطبلاوي (45) المدقق الكامل ، فانه مشتمل على أنواع من الفضائل ، فاق بعدة فنون على أقرانه ، وتميّز بذلك على أبناء زمانه . أقرّت^(٤) له الفضلاء بالاعتراف ، واتفقت على أنه فاضل وقته بلا خلاف .

٤ - يوسف الشامي ، وأما جمال الملة والدين الشيخ يوسف الشامي (46) ، ذو التحقيق والفضل السامي^(٥) فهو في العلوم الغربية والفنون الدقيقة ، أفضل من في مصر على الحقيقة . مشغول^(٦) دائماً باقراء التفسير والمطول والعضد والرضي^(٧) والمواقف والمطالع^(٨) . وان عزّ مشكل أو غريب فإليه يشار بالأصابع . وأما تواضعه وخفض جناحه فلا يتأتى من صاحب نفس بشرية ، والعجب أنه مع اشتغاله على هذه الفضائل والكمالات ليس له من الجهات في مصر إلا نحو أربعة عثمانية . وقد عجبت حيث كان نصيب هذا الفاضل نصيباً محقراً ، وفي الحقيقة لا عجب فان من عادة الدهر أن يمشي بمثله^(٩) القهقري^(١٠) : (الكامل)

والاحمق المرزوق أعجب من أرى في دهرنا والعاقل المحروم

وبالجملة^(١١) : (الطويل)

(١) ل : جيد

(٢) في علم الحديث : سقطت من ر

(٣) ابن : سقطت من ط

(٤) ل ر : أقرّت

(٥) هنا ينقطع النص في ر

(٦) ل : مشغولاً

(٧) الرضى : سقطت من ع

(٨) عدّ هنا كتباً بأعيانها : فالمطول على التلخيص للتفتازاني ، والعضد (أو العضدي) هو الايضاح في النحو ألفه أبو علي الفارسي لعضد الدولة . والرضي يشير الى الشافية أو الكافية بالمواقف لعضد الدين الأبيجي ، والمطالع عدة كتب يبدأ اسم الواحد منها بهذه اللفظة مثل المطالع السعيدة للسيوطي والمطالع المشرقة للسبكي .

(٩) بمثله : سقطت من ل

(١٠) بعده : في النسخ لفظة شعر وفي ل : وبالجملة

(١١) ل : آخر

ولو كانت الأرزاق تجري على الحجي اذن هلكت من جهلهن البهائم^(١)

ثم ان المذكور قليل التردد الى القضاة ولكن الزمه العبد مرة بالاجتماع بمولانا قاضي القضاة - أدام الله تعالى أيامه - وقلت له ، ان من المتعين في أيام سعادتكم اكرام الفاضل واحترامه . فوعده بأن^(٢) يكرم مثواه ويبلغه مناه ، فاتفق في تلك الأيام انحلال شيء من الجوالي ، فأنعم عليه بذلك اغتناماً لدعائه المتوالي .

٥ - أحمد بن قاسم ، وأما الفاضل المحقق ، والعلامة المدقق ، الشيخ شهاب الدين أحمد بن قاسم (47) الفاضل^(٣) المشهور ، فانه في أنواع الفضائل مساو للشيخ يوسف المذكور ، وهما في الفضل فرسا رهان^(٤) ، ورضيعا لبان ، وممارسا فصاحة وبيان ، بل هما في التساوي والتشابه ، والتشاكل والتشارك ، كما قال البحري : (الكامل)

كالفرقدين اذا تأمل ناظر لم يعمل موضع فرقدين عن فرقدين^(٥)
وقد تفضل مولانا قاضي القضاة - أحسن الله تعالى اليه - ورتب للفاضل المذكور شيئاً من الجوالي أيضاً وأنعم عليه .

٦ - علي المقدسي : وأما مولانا المحقق العلامة ، والامام الكامل المدقق الفهامة ، الشيخ علي المقدسي الحنفي (48) - عامله الله تعالى بلطفه الخفي - فالمعول في الفتوى الآن عليه في الديار المصرية ، والمرجع اليه من بين السادة الحنفية . وهو في الحقيقة جامع لكمالات^(٦) عديدة ، ومالك لفنون^(٧) غريبة مفيدة ، وله اطلاع على علوم كثيرة ، ووقوف على معارف^(٨) غزيرة ، فاق بها على فضلاء هذا^(٩) الزمان ، وتتميز بها على علماء هذا الأوان ، مع ما جبل عليه من دماثة الاخلاق ، وسلامة طبع فاق بها على الاطلاق .

٧ - الذيب ، وأما الشيخ الملقب بالذيب (49) فكنا لما^(١٠) نسمع باسمه نتصور من مفهومه

(١) البيت لأبي تمام

(٢) ل : فوعده بأنه

(٣) الفاضل : سقطت من ظ

(٤) ل : كفرسي رهان

(٥) بل هما . . . عن فرقد : سقطت من ع وجاء في هامش ك ومتن ظ

(٦) ع : جامع كمالات

(٧) ظ : وله اطلاع على علوم كثيرة ومالك لفنون

(٨) ل : علوم

(٩) هذا : سقطت من ل

(١٠) لما : سقطت من ل

اغتيال النفوس كتصور الشاة معنى في الذيب ، وحسبك ما يقال لكل مسمى من اسمه نصيب . حتى برز هذا التصور الى التصديق ، ووقع له واقعة يوم دخول قاضي القضاة بالتحقيق . وذلك من عجيب ما اتفق في ذلك النهار^(١) . ومن غريب ما حدث فيه حسبما سبقت به الاقدار . وما ذاك الا ان رجلاً مُسنّاً عمره نحو تسعين سنة أتى ليطالبه بأربعة أنصاف كانت له في ذمته ، فتشاجر معه ، قيل ان الشيخ وكزه فقضى عليه من ساعته ، وذلك ليلة القدر في المدرسة التي هي بالأشرفية مشهورة (50) ، وسئل عن خصوصية المكان فقيل ان الشيخ مع كونه مدرس الشيخونية (51) بخمسين عثمانياً ، بواب هذه المدرسة المذكورة . وكان ذلك أمراً قضى^(٢) الناس منه العجب^(٣) وحصل على المذكور غاية الانكار بهذا السبب .

٨ - بدر الدين القرافي : وأما مولانا العلامة ، والعمدة الفهامة ، المتصف بالفضائل والفواضل في جميع المسالك ، الحائز لرق الآداب فهو للفتوة متمم وللفتاوي مالك ، بدر الملة والدنيا والدين ، القاضي بدر الدين القرافي المالكي (52) فإنه أتقن مذهبه غاية الاتقان ، واحتوى على أنواع الفضائل ونباهة الشأن ، وله جامكية حسنة ، وحسن انشاء واشعار مستحسنة . دائماً يواصلنا بمكاتباته ، ولا يقطع عنا حيث كنا ترسلاته^(٤) ، وكان عرض له بترقى في مدرسة السلطان حسن (53) الفقهية المالكية ، وأرسلنا العرض مع مندوبنا الذي وجهناه في مصالحنا الى الأبواب العلية ، فأتانا منه^(٥) مكتوب يتضمن أنه تم للمشار اليه الترقى المذكور ، فكتبنا له أبياتاً نعلمه بما تضمنه المكتوب^(٦) المسطور ، صورتها : (الخفيف)

_____ فضل العلم والفنون الشهيره
سان^(٧) والمجد والهبات الغزيره
ب وأنباء عن واقعات كثيره
لكم تم خمسة مسطوره
وكمال وطلعه مستنيره

اسعد الله طلعة البدر قاضي الـ
بصنوف من السعادات والا حـ
جاءنا من دار العدالة مكتو
فيه أن المراد وهو الترقى
لا بـرحتم في رفعة وتـرق

فكتب لي جواباً عن ذلك ، صورته^(٨) : (الخفيف)

وهاماً حوى^(٩) من العلم خيره

دمت للفضل والفواضل كنزاً

(١) وذلك من عجيب . . . النهار : سقطت من ل

(٢) ط : كان قضى

(٣) ل : قضى منه الناس بالعجب

(٤) ل : توصلاته

(٥) منه : سقطت من ط

(٦) ل : الكتاب

(٧) الاحسان : سقطت من ط

(٨) صورته : سقطت من ل

(٩) ل : يحوي

من حديث كذا تفسير آي
وفروع كذا حسن بيان
وقريض يفوق درأً بديعاً
قد أتاني المديح بيدي سروراً
صحب المجند والبشارة فضلاً
هكذا الفضل من أمام محب
اسأل الله ذا^(٣) الجلال ارتقاء
ليرى ببارعٍ نفاذاً قضاء
وصلاة لأفضل الخلق جمعاً

آية الله للأنام شهيره
وكلام تراه حقاً أميره^(١)
واليه الآداب أضحت مشيره^(٢)
استوى فيه ظاهراً وسريه
يألفها منة بأحسن سيره
قد رعى عبده فكان بشيره
لمقام به الأمان الأثيره
ويرى الخضم حكمه بالبصيره
مظهر الحق جهرة ونصيره

٩ - محمد الفارضي : وأما شاعر مصر في هذا الأوان ، من فاق برائق شعره بلغاء الزمان ، الفاضل الأديب ، والبليغ الأريب ، الشيخ محمد الفارضي (54) فهو مع فصاحة شعره وبلاغة نظمه ونثره ، حاز قصب السبق بالعربية ، وتميز على أهل العصر بنكته الأدبية . كتب لي وأنا قاض فوة (55) مكاتبة لطيفة مختصرة ، ستقف عليها ان شاء الله تعالى في محلها مسطرة . سأله يوماً بعض طلبة العلم أن ينظم له ترتيب التوابع فنظمها في بيت جامع وهو : (الطويل)

إذا اجتمعت فالنعت قدّم به اعتلق بياناً وتوكيداً وجيلاً بَدَلُ نَسَقٍ
ونظمها^(٤) الفقير في ذلك الحال ، في بيتين فقال : (الطويل)

إذا اجتمعت يوماً لديك توابع ورمّت لها الترتيب في ذكرٍ اتسق
فنعتُ بيانٍ ثم توكيد بعده إلى بدل ثم اختتم الكلّ بالنسق

١٠ - سري الدين ابن الصائغ : وأما الرئيس الفاضل ، والمحقق الكامل ، الشيخ سري الدين ابن الصائغ (56) ، والشهاب الذي في سماء الفضل بازغ ، فقد انتهت اليه الرئاسة^(٥) الطبية في الديار المصرية . ومع ذلك فكم له من انشاء رقّ وراق ، وبراعة تميّز بها على البلغاء وفاق . وكان حصل للفقير دُمْلٌ توَعَّكَ منه المزاج ، واحتاج في بنائه على الفتح الى نوع علاج . فأرسلت الى ذلك الفاضل الهمام ، وكتبت اليه بعد فواتح السلام : أيها الرئيس البارِع ، والبدر الذي في أفق البلاغة طالع ، ذو^(٦) الحكمة التي أعياها جالينوس ، والحدّاقة التي حار فيها بقراط وبطليموس ، أشكو اليك دُملاً أبطأ فجره ، وألم ضرّه ، وأضمّر عامله لا على شريطة التفسير ،

(١) وكلام . . . أمير : سقطت من ل

(٢) ل : شهيرة

(٣) ك ظ : ذو

(٤) ل : فنظمها

(٥) الرئاسة : سقطت من ظ

(٦) ك ظ : ذا ، ل والحكمة

حصل منه ألم كثير، فتفضلوا بها يبرز ما استكنَّ (١) فيه على عجل، وبما ركب علاجاً (٢) لتنازع (٣) ما فيه من العمل، بحيث يصير هذا المضمّر مبنياً على الفتح، لتنطق الألسنة بالدعاء، ونعرب عن أفعال المدح، والسلام على الدوام.

فأرسل المشار إليه (٤) شيئاً يلائم ذلك، وكتب عن ذلك جواباً صورته: هل لك أيها الممتزج بالروح امتزاج الماء بالراح، المهدي الى النواظر التنزه (٥) والى النفوس الارتياح، الداعي برسالته المعجزة الألفاظ الى جنّة ناضرة، المبرز بدلالاته وجوه المعاني الناضرة، إلى عيون البيان الناضرة (٦)، لا زالت أزمة الرغباء (٧) منقاداً منا اليك، ونواصي البلغاء معقودة أعنتها بيديك، والفصاحة لا تمّد سرادقاتها ولا تقصر مقصوراتها إلا عليك: (الطويل)

ودمت الى كلّ القلوب محبباً وفي كلّ عين شاهدتك حبيبها
في بناء ذلك الدمل العاصي عن الاندمال على الفتح، ونصب ثناء العامل من الأدوية على المدح، والدخول على جمع مادته بصورة التكسير، وتصريفها بالتحويل الى وضعيات التغير، وارشاء الشدّ كي لا يكفّ الدواء ولا يلغى عامله، وتقوية المعمول بالتجلّد على التأثير الذي ارتفع فاعله، فبذلك ان شاء الله تعالى تفتّر غوره، وينبسط على جلد الجلد غوره (٨). والله تعالى يديم معاهد (٩) الفضل بك أهلة، والفضلاء من مناهلك ناهلة، والنبلاء في ظلال ظلك قائمة، لتكون السنتهم بأحمد المحامد فيك قائمة، آمين (١٠).

وأما بقية الأفاضل بمصر فإنهم لثرائه حالهم ليسوا بمشتهرين، واذا مشى أحدهم بين الناس لا يكاد يبين، مطروحون في زوايا الخمول، ولا يترفل (١١) في المناصب إلا الجهول: (الطويل)

أرى الدهر من سوء التصرف مائلاً الى كلّ ذي جهل كأنّ به جهلاً (١٢)

(١) ظك: اسكن

(٢) ظك ل: عاجلاً

(٣) ل: ينازع

(٤) زيادة من ع

(٥) ع: التنزه

(٦) ل: إلى عيون أينا ناظرة

(٧) ل: الرعاية

(٨) ل: غورة (اقرأ: غوره)

(٩) ظ: معالم

(١٠) لتكون... آمين: سقطت من ل

(١١) ل: يترفل

(١٢) البيت في شرح مقامات السيوطي، مقامات السيوطي، (تحقيق سمير الدروبي، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩):

فتذكرت عند ذلك قول القائل : (الطويل)

عتبتُ على الدنيا لتقدم جاهلي وتأخير ذي فضل فأبدت ^(١) لي العذرا
بنو الجهل أبناءً لئلا أكحبهم وأهل النهى أبناءُ ضَرَقِي الأخرى ^(٢)
ثم ذكرت حال هؤلاء الفضلاء ، لمولانا قاضي القضاة أسبغ الله تعالى عليه مواهب الافضال ، وبلغته ما
اشتمل المذكورون عليه من الفضل والكمال . فوعد - أدام الله تعالى أيامه وزاد علاه - أن يبلغ كلاً
منهم مناه .

هذا ثم قصد مولانا قاضي القضاة ثاني يوم دخوله للاقتداء بوالده المرحوم شيخ الاسلام ، وتوجه الى
زيارة مَنْ في القاهرة من الصحابة والأئمة والأولياء الكرام ، فزرنا تلك الاماكن الشريفة ومن فيها من
الصحابة ، كقبر عقبة (57) وشهدنا ما حواه مقامه الشريف من الجلالة والمهابة ، ومقام امام الأئمة
محمد بن ادريس الشافعي (58) رضي الله عنه ، وما جاوره من قبر علي بن الحسن ^(٣) بن
زين العابدين (59) . وقبور العلماء العاملين : كالقاضي زكريا (60) وملاً مغوش (61) المترجم بعالم
الربع المعمور ، وحصلنا على كمال البركة والأجور . وتمثلنا عند قبر هذا الفاضل ، بما قاله فيه رثاء ^(٤)
ذلك القائل ^(٥) : (الوافر)

ألا يا مالكَ العلماءِ يا مَنْ به في الأرضِ أثمر كلُّ مغرِسٍ
لئن أوحشت تونسَ بعد بُعْدٍ فأنت لمصرَ ملكَ الحُسْنِ تُؤنِسُ

ثم انعطفنا الى مقام الليث بن سعد (62) ، ومقام السيدة نفيسة (63) ، وما اكتنف تلك البقاع من
الاماكن الأنيسة . ثم زرنا مقام سيدي عمر بن الفارض (64) ، وشاهدنا في مقامه الأنس اللائح
والنور الفائض . ثم بعد ذلك توجهنا للجيز (65) لزيارة كعب الأخبار (66) ، وما في تلك البقاع من
قبور الصالحين الأخيار . ولم يكن دأب مولانا إلا قصد الزيارات واستباق الخيرات .

ثم لما قضى تلك الزيارات تصدى لفصل الأحكام الشرعية ^(٦) بين الأنام ، متمسكاً من تقوى الله
تعالى بالسبب الأقوى ، محافظاً على العمل بالأوامر الشرعية في السر والنجوى ، فسار - أدام الله تعالى
أيامه - في الناس سيرة حسنة ، ونطقت بالدعاء له من الخواص والعوام جميع الألسنة . وسلك - أسبغ
الله تعالى نعمه عليه - مسلكاً لم يسبقه أحد من القضاة اليه ^(٧) .

(١) ل : فقالت

(٢) جاء البيت بهامش ل ع وفي متن ظ ، ولم يرد في ل

(٣) ل : الحسين

(٤) فيه رثاء : رواية ع ، وفي سائر النسخ : رثاء فيه

(٥) القائل : رواية ع ، وفي غيرها : الفاضل

(٦) الشرعية : سقطت من ع

(٧) ل : عليه

وكان يُجِلُّ العلماء غاية الاجلال والاعظام ، ويعاملهم بأنواع التبجيل والاحترام . وتابع حَذُو والده المرحوم في جميع مقاصده ، ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده . وأحاط بأحوال مصر علماً حتى بلغ أقصاها ، ولم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها^(١) . ووجهه إلى إزالة المنكرات همّة عالية عظيمة ، حتى قطع أصل أم الخبائث من مصر فكانت عقيمة ، ولم يدع بيت خمر إلا كسر دنانه ، وخلع أوتاده وقطع أسبابه وهدم أركانه . ولم يبق حاناً في مصر العتيقة وبولاق إلا جعلها «خاوية على عروشها»^(٢) ولخمرها أراق ، حتى سلا الناس عن^(٣) ارتضاع كأس المدام : (الطويل)

❖ سُلُو رضيع قد علاه فطام^(٤) ❖

ولقد شاهدنا كسر دنان خمر في مصر العتيقة على طرف النيل ، فخالطته بحيث غيّرت لونه الأول ، وذكرنا ذلك^(٥) قول القائل : (الطويل)

فما زالت القتلى تمسج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل^(٦)

وأما المساجد والأوقاف فقد عمّر كثيراً منها بعد أن آل أمرها إلى الاضمحلال ، وصارت بحيث يذكر فيها اسم الله^(٧) ويسبح له فيها بالغدو والآصال رجال^(٨) . ومن جملة ما أزاله^(٩) من المنكرات ، وقطع أصله من البدع المحدثات : استيلاء طائفة الكفار على الإماء المسلمات . فصرف إلى ذلك عزمه الشريف وسعى فيه سعياً جليلاً ، وأجبر الكفار على بيعهن للمسلمين عملاً بقوله تعالى : ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾ (النساء : ١٤١)

وكان يبذل الجهد في نصره الحق ويجادل عنه ويباحث ، ولعمري ليس له في القضاء ثان بل لعمري انه الثالث . وبالجملة فصفات هذا المولى الجليل تجلّ عن أن تحصر ، أو تكتب في الدفاتر وتسطر : (الطويل)

فوا عجباً مني أحاول نعتَه	وقد فنيّت فيه القراطيس والصُحفُ
أقاضينا هذا الذي أنت أهلُه	غلطتُ ولا الثلثان منه ولا النصفُ
ولا الضعفُ حتى يتبع الضعفُ ضعفَه	ولا ضعفُ ضعفِ الضعفِ بل مثله ضعفُ

(١) مقتبس من قوله تعالى ﴿ ما لهذا الكتاب لا يُغادرُ صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ (الكهف : ٤٩)

(٢) مقتبس من قوله تعالى : ﴿ أو كالذي مرَّ على قريةٍ وهي خاوية على عروشها ﴾ (البقرة : ٢٥٩) ، أو من قوله تعالى :

﴿ فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ﴾ (الكهف : ٤٢)

(٣) عن : سقطت من ل

(٤) عجز بيت شعر وسدده : سلا النفس عنها واضمأنت بنأيها . والبيت ثابت بهامش كل من نسختيه كـ

(٥) ذلك : سقطت من ل

(٦) البيت في كتاب الكشف للزنجشري ١ : ٥٠ (دار المعرفة ، بيروت) دون نسبة

(٧) ظ : اسمه .

(٨) من قوله تعالى : ﴿ يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ (النور : ٣٦)

(٩) ل : ما أزال

ثم ان مولانا - ادام الله تعالى رفيع جنابه - وجه همته في منصب القضاء لعبد بابيه ، وكان يعرفه كثيراً عند حضرة اسكندر باشا (67) بكمال التعريف ، ويذكره عنده بما يليق بوصفه الشريف . فكان العبد يتردد الى حضرته العلية ، وهو يميل الى المباحثة مع أهل الفضل ويحبهم محبة كلية^(١) . وكنت أقابل له بعض كتب التفسير ، وأصححها غاية التصحيح والتحرير . فاتفق في ذلك الاثناء وفاة قاضي التزميتية^(٢) ، ففوض قضاءها للعبد وعرض الأمر الى السدة السنية^(٣) العلية . وتوجه الفقير الى القضاء المذكور لتنفيذ الأحكام ، وأرسل العرض مع مندوبه فسبقه خبر وفاة قاضيها ببعض أيام ، فأعطي القضاء المذكور لقاض من القضاة ، وكانت عدد أيام^(٤) اقامتي بها كعدد أيام الميقات .

ثم توجهت بعد ذلك الى المحمية القاهرة ، فألفت الخبر جاء من دمشق بوفاة المرحوم فوري أفندي المفتي^(٥) المشار اليه^(٦) أعلاه^(٧) وانتقاله الى الدار الآخرة . فكان خبراً^(٨) أظلم الوجود لوصوله ، وحلّ لهم المبرح بحلوله ، وأجرى الدمع من العيون ، وأوجع القلوب وقرّح الجفون . (فاعين العبد)^(٩) من هذا الخبر أنّ سماء قلبه انفطرت ، ونجومها انكدرت ، وتفتت منه الأحشاء وتقطع الفؤاد ، وذكره فقده ، وما كان ناسيا ، أن الموت نقاد ، فياله مولى أظلمت الدنيا لفقده ، وخلت ربوع الفضائل من بعده : (الكامل)

فلكلّ معـدوم سـواه مشبـهٌ^١ ولكلّ مفقـود سـواه نظيرٌ
وبالجملة : (الطويل)

ولو كان غير الموت شيء أصابهم عتبت ولكن ما على الموت معتبٌ
على أنه اذا جاء الأجل المحتوم فلا حيلة في رده ، ولكل شيء حد فإذا تم وقف عند حده .

وعلى كل حال^(١٠) فان الموت كاس لا بد أن يردها الخاص والعام ، ولا يبقى الا ﴿ وجه ربك ذو الجلال والاكرام ﴾ (الرحمن : ٢٧) فالمتحتم حينئذ تلقي أمر الله تعالى بالقبول والرضى ، ﴿ فإننا لله وإننا إليه راجعون ﴾^(١١) فيما قدر وقضى . ولعمري إنّ هذا المولى حقيق بأن

(١) ل : المحبة الكلية

(٢) نسبة الى بلدة تزميت ، أنظر رقم : 34 في التعليقات

(٣) السنية : سقطت من نسخة ع ل

(٤) انفردت بها نسخة ع

(٥) المفتي : سقطت من ل

(٦) انظر التعليقات رقم : 3

(٧) أعلاه : سقطت من نسخة ع ل

(٨) ل : خبر

(٩) ما بين معقفين سقط من ع ل

(١٠) حال : سقطت من ظ

(١١) انظر سورة البقرة : ١٥٦

تَشَقَّ عَلَيْهِ الْغُلُوبُ قَبْلَ الْجُيُوبِ ، وَأَنْ تَجْرِيَ عَلَيْهِ أَعْيُنُ دِمَاءٍ فَضْلاً عَنِ الدَّمْعِ^(١) الْمَسْكُوبِ . غَيْرَ أَنَّ
 الْوَاجِبَ اطَاعَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ ، وَالتَّأْسِيَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي
 رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَتْ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۖ (الْأَحْزَابُ : ٢١) وَلَكِن : (الطَّوِيلُ)
 سَأَبْكِيهِ مَا فَاضَتْ دَمْعِي . وَإِنْ تَغْضُ فَيَكْفِيهِ مِنْي مَا تَجُنُّ الْجَوَانِحُ^(٢)
 لَئِنْ حَسُنْتَ فِيهِ الْمَرَاثِي وَذَكَرَهَا فَقَدْ حَسُنْتَ مِنْ قَبْلُ فِيهِ الْمَدَائِحُ
 فَرَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً وَاسِعَةً ، وَبَرَّدَ بِمِيَاهِ الرَّحْمَةِ وَالْغَفَرَانِ مَضَاجِعَهُ ، آمِينَ .
 هَذَا ، ثُمَّ فِي^(٣) تِلْكَ الْغَضُوفِ عَزَلَ اسْكَندَرُ بَاشَا وَقَدِمَ حَضْرَةُ الْوَزِيرُ الْأَكْرَمُ سَنَانُ بَاشَا (٦٨) مَتَوَالِيًا
 إِلَى الْمَمْلَكَةِ الْمِصْرِيَّةِ . وَاتَّفَقَ فِي تِلْكَ الْيَامِ خَلَوْ مَدِينَةِ فُؤَّة^(٤) مِنْ قَاضٍ يَنْظُرُ فِي الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ ،
 فَاقْتَضَى الْحَالُ بِمَشَاوَرَةِ مَوْلَانَا حَفْظَ اللَّهِ تَعَالَى جَنَابَهُ الْخَطِيرَ ، تَقْلِيدَ الْعَبْدِ قَضَاءَ الْبَلَدَةِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ
 حَضْرَةِ الْوَزِيرِ . وَأَمَرَهُ شَفَاها بِالنَّظَرِ فِي الْأَحْكَامِ ، وَفَصَلَ الْقَضَايَا الشَّرْعِيَّةَ بَيْنَ الْأَنَامِ . فَتَعَيَّنَ حَالَتُنَا
 التَّوْجُّهُ إِلَى الْبَلَدَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَصَحِبَتْ مَعِيَ صَاحِبُنَا الْفَاضِلُ الشَّيْخُ عَلِيُّ الْمَالِكِيِّ^(٥) ذَا الْفَضَائِلِ
 الْمَأْثُورَةِ ، وَوَدَعْتَ حَضْرَةَ^(٦) مَوْلَانَا قَاضِي الْقَضَاةِ حَفْظَ اللَّهِ تَعَالَى ذَاتَهُ الشَّرِيفَةَ وَرَعَاهَا ، وَرَكَبْنَا فِي
 السَّفِينَةِ قَائِلِينَ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمَرْسَاهَا ﴾ (هُود : ٤١) فَوَافِينَا دُخُولَ الْبَلَدِ عَشِيَّةَ نَهَارِ الْأَحَدِ سَابِعِ
 عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ^(٧) جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَاقِبَتَهَا إِلَى خَيْرٍ . وَكَانَ مِنْ
 لَطِيفِ^(٨) الْإِتِّفَاقِ أَنْ رَسُولُنَا قَدِمَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ^(٩) إِلَى مِصْرَ بِتَوَلُّيتِنَا^(١٠) قَضَاءَ قَنَا (٦٩)
 وَالْقَصِيرِ (٧٠) ، فَحَصَلَ لِمَوْلَانَا قَاضِي الْقَضَاةِ غَايَةُ الْبُشْرِ وَالسُّرُورِ ، وَجَهَّزَ صَحْبَتَهُ مَرَّاسِيمَ شَرِيفَةً^(١١)
 لِنُضْبِطَ لِقَائِنَا الْمَذْكُورَ . وَكَانَ صَحْبُ الرِّسُولِ عَرُوضٌ تَتَضَمَّنُ الرِّقَى لِصَاحِبِنَا الشَّيْخِ عَلِيِّ الْمَذْكُورِ فِي

(١) ظ : عَنِ الْمَاءِ

(٢) جَاءَ هَذَا الْبَيْتُ وَالَّذِي يَلِيهِ مُحَرَّرَيْنِ فِي بَعْضِ النُّسخِ ؛ وَالْبَيْتَانِ فِي دِيْوَانِ الْحِمَاسَةِ : ٢٤٠ لِأَشْجَعِ السَّلْمِيِّ عَلَى النَّحْوِ التَّالِيِ :
 (الطَّوِيلُ)

سَأَبْكِيكَ مَا فَاضَتْ دَمْعِي فَإِنْ تَغْضُ فَحَسْبُكَ مِنْي مَا تَجُنُّ الْجَوَانِحُ
 لَئِنْ حَسُنْتَ فِيكَ الْمَرَاثِي وَذَكَرَهَا لَقَدْ حَسُنْتَ مِنْ قَبْلُ فِيكَ الْمَدَائِحُ

دِيْوَانِ الْحِمَاسَةِ ، ص ٢٤٠

(٣) النُّسخُ مَا عَدَا : ثُمَّ إِنْ فِي

(٤) انْظُرِ التَّعْلِيْقَ رَقْمَ : ٥٥

(٥) انْظُرِ التَّعْلِيْقَ رَقْمَ : ١٢

(٦) حَضْرَةُ : سَقَطَتْ مِنْ ر

(٧) ل : سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ

(٨) ل : لَطِيفٌ

(٩) الْوَقْتُ سَقَطَتْ مِنْ ل

(١٠) ل : بِتَوَلُّيتِنَا (وَسَقَطَتْ لَفْظَةُ قَضَاءٍ بَعْدَهَا)

(١١) ل : وَجَهَّزَ مَرَّاسِمَهُ الشَّرِيفَةَ

المدرسة السرياقوسية^(١) وأخبرنا بحصول ذلك الترفي وإمام تلك^(٢) القضية ، فسررنا باتمام ذلك المرام ، وتوجه بعد ذلك صاحبنا المذكور الى القاهرة^(٣) بعد أن أقام عندنا بعض أيام . ووجدنا لفراق أنسه^(٤) وحشة كلية ، وافتقدنا لطف مصاحبته العلمية .

ثم في خلال الأيام ورد من حضرة الباشا - عامله الله تعالى بخفي الألفاف - للتفتيش في بعض الأمور مراسيم شريفة للفقير ولبعض قضاة تلك الأطراف . فلما اجتمعنا للتفتيش وقع للفقير مع بعض أولئك القضاة مباحثة في خصوص ، وألزمته وبيّنت له خطأه بموجب النقول والنصوص . ثم اتسعت بيننا دائرة البحث والكلام ، وانتقلنا من مقام الى مقام . وقد كتبت القصة برمتها ، وأودعت هذه القضية بجملتها ، ضمن مكتوب أرسلته أذ ذاك لحضرة قاضي^(٥) القضية - أدام الله تعالى فضله وزاد علاه - ، فانه كان يؤكد في إرسال المكاتبات المطولة المفصلة ، الى خدمته الكريمة المفصلة ، بحيث تكون مشتملة على مزيد الإطناب ، حسبما يقتضيه مقام مخاطبة الأحياب . فقصدت إثبات المكتوب برمته في هذا المقام ، لتضمنه تلك الماَجَرِيَّات^(٦) بالتمام . صورته : شَيدَ الله تعالى صدر الشريعة ، بمشارك أنوار تلك الطلعة البديعة ، ولا^(٧) زال ثناؤها منصوباً على المدح ، وأكفّ الداعين ببقائها مبنية على الفتح . وبعد إهداء سلام فُضِّ الاخلاص ختامه ، ونصبَ القبول في خَفُضِ العيش^(٨) خيامه^(٩) ، فان تفضّل المولى بالسؤال عن حال^(١٠) عبد بابه ، اللائد بشريف أعتابه^(١١) ، فهو ملازم على أدعيته ، ومواظب على أثنيته . ونسأل^(١٢) الله تعالى أن تهبّ على هذه الدعوات نَسَمَاتُ القبول ، وأن يبلغكم في الدارين كلّ سول^(١٣) مما يعرضه المملوك على خدمتكم العلية ، وينهيه الى سدتكم السنية : أنه لما أتى الى مدينة فوّة وجد فيها نائبين في غاية الفضل والاستقامة ، وآخرين في غاية الجهل أظهر الرعية منهما غاية الظلم والسّامة ، وأن القاضي السابق كان وليّ احدهما بمصر والثاني برشيد ، وكلّ منهما توليته غير صحيحة ، ورأى العبد شكاية أهل البلد من ظلمهما

(١) انظر التعليق رقم : 29

(٢) تلك : سقطت من ع

(٣) في هامش ل : المعزية

(٤) أنسه : سقطت من ل

(٥) ظ : اذ ذاك لقاضي

(٦) ل : المباحثة

(٧) ل : لا

(٨) ل ك : العيس

(٩) ل : خيامهم

(١٠) حال : سقطت من نسخة ظ

(١١) ل : جنانه

(١٢) ل : وأسأل

(١٣) ل : كل مأمول

وأفعالها القبيحة ، واطلع على عدم استقامتهما ورأى ذلك رأي العين ، عرض أمرهما الى حضرة الوزير فبرز أمره الكريم برفعهما وإبقاء النائبين المستقيمين ، وكان أحدهما منسوباً الى قاضي رشيد ، فأرسل يشفع عند الفقير في عوده ويسأل عن سبب عزله . فكتبت له في الجواب ما يُعْرَضُ على المولى أسبغ الله تعالى على العلماء مديد ظلّه ، صورته : بعد فواتح السلام ، يحيط علمكم الكريم أن السبب في عزل النائب المذكور هو ^(١) الصفة التي لو قدّم منها ما آخر لذاق طعم ^(٢) مرّها الوخيم ، ولو أبصر بهذا المقدم عاقبة أمرها لكان ذا ^(٣) نظر سليم ، ولو أبدل فاء فعله بقاف وعينه بنون ، ولو لم تكن يده مبنية على الفتح لم يركن الى السكون . والظاهر أن سيرة الفقير بفؤة بلغت الخاصّ والعام ^(٤) ، ومشيه بالاستقامة على أحسن نظام . ومن المعهود ^(٥) أن التابع بإعراب متبوعه ، ولكن بعض الأفعال لا يتم ^(٦) بمرفوعه . والفقير ما لام أفعاله إلا بعد أن ظهرت لديه وهي عين ، ولم يعول فيها على أخبار مخبر حتى ينسب لمن ^(٧) ، ومع هذا فقد أظهرت الرعية منه ومن قرينه غاية الظلم ، وإن أعددناه دونه يلزمنا قضية التحكم ، والسلام ^(٨) . ثم أرسلتها له ^(٩) وما أخاله لمعانيها يفهم ، ولكن « وما عليّ اذا لم » ^(١٠) . وما أحراه بقول القائل : (الكامل)

ولقد ذكرت لك المراد فان تكن فطناً عرفت وما إخالك تعرف
ثم اتفق في تلك الغضون أن ورد أمر شريف للكشف على بلد في أوقاف الدشيثة ^(١١) من قضاء فؤه المذكور ، بالخطاب لقاضي فؤة وقاضي اسكندرية وقاضي رشيد ^(١٢) وقاضي دمنهور . فصار بيننا وبينهم مباحثة عظيمة ^(١٣) عجيبة ، وأمور غريبة ، ومذاكرة علمية ، وشاهدنا من بعضهم قضايا بالقافية ، عنّ للبعد أن يعرضها ^(١٤) على مولاه لابرّح مرفوع

(١) ظ : هي

(٢) طعم : سقطت من ع ل

(٣) ظ ك : اذا

(٤) ظ ك : الخاصة والعامة

(٥) ظ : المعهودات

(٦) ظ ك : لا تتم

(٧) ل : للمين

(٨) والسلام : سقطت من ظ

(٩) ع : اليه

(١٠) إشارة الى قول البحري (وهو بهامش ع) :

عليّ نحت القوافي من معادنها وما عليّ اذا لم تفهم البقر

(١١) الدشيثة : سقطت من ظ وأصل الكلمة جشيثة من جش الحب أي دقه فهو جشيش ، فأذا طبخ فهو جشيثة . راجع

مادة «دشش» في تكملة المعاجم العربية لدوزي ؛ وقد يكون المراد هنا اسم موضع

(١٢) وقاضي رشيد : سقطت من ل

(١٣) عظيمة : سقطت من ع

(١٤) ل : أن يعرض بعضها

الجناب ، ليقضي منها العجب^(١) العجاب . أما قاضي رشيد فلاستعمله كيف بلا متى ولا أين ، لا يرى دائماً الا وهو مفتوح الفم مضموم العين . فكان ابتداء مصاحبته معنا أن قال : لأي شيء عزلتم^(٢) النائبين المذكورين فقلت له : هما^(٣) أولاً ليسا بنائين شرعاً ، وثانياً انهما مؤذيان طبعاً ، وثالثاً ان بلغ أرباب^(٤) الدولة أننا نستخدم أربعة نواب ، ربما ينسبوننا^(٥) إلى السَّفَهِ وعَدَمِ الصواب . على أن محكمة مصر المحمية ليس فيها أربعة نواب شافعية . ثم طال الكلام بيننا الى أن اقتضى الحال في ذلك الوقت كتابة هذه الرسالة ، المعروض بعضها على جناب مولانا مد^(٦) الله تعالى ظلاله ، صورتها - بعد البسملة : حمداً لك يا من نصب القضاة للعدالة ، ورفع مناصبهم حيث خفض أرباب الجهالة ، والصلاة^(٧) على سيدنا محمد المسدد في اقواله والمؤيد ، وعلى اصحابه والآل ، والتابعين لهم بأحسن منوال ، ما سطع نور الحق وظهر برهانه ، واضمحلت شبه الباطل وخمدت نيرانه . وبعد ، فهذه مباحثة^(٨) صدرت بين الفقير وبين قاضي رشيد - وفقه الله تعالى لكل أمر سديد - وذلك أن القاضي بفؤه لما ذهب لأهلها مغاضباً ، ولوظيفة القضاء مجانباً ، وقيل بل تولى هرباً^(٩) ، أو ليلجأ في الأرض سبياً^(١٠) ، وقلد حضرة الوزير الاكرم ، والمشير الأفخم حضرة سنان باشا - أعز الله تعالى انصاره - اذ هو وكيل^(١١) الخليفة - أيد الله تعالى سلطنته وضاعف اقتداره - قضاء البلدة المذكورة^(١٢) لهذا العبد الفقير ، الراجي رحمة ربه القدير . وأذن له شفاهاً بالنظر في الأحكام الشرعية ، وأحكام الأمور الدينية ، وجد فيها^(١٣) نائبين تكررت شكايته^(١٤) الرعية من أحوالهما ، وعدم استقامتهما في أقوالهما وأفعالهما ، وكان نصبهما القاضي^(١٥) في غير محلّ قضائهما ، ومكان توليته وامضائهما ، عرض الفقير^(١٦) أمهما حضرة الوزير ، فبرز الأمر بربعهما من

(١) ع : بالعجب

(٢) ظ : ان عزلتم

(٣) هما : سقطت من ل

(٤) أرباب : سقطت من ل

(٥) ل : ينسبوننا

(٦) ل : أيد

(٧) ل : وصلاة ؛ ظ : والصلاة والسلام

(٨) ك : مباحث

(٩) ل : هارباً

(١٠) أو سبياً : سقطت من ل

(١١) ل : اذ هو من أنه

(١٢) ل : قضاء البلدة المذكورة

(١٣) ع : بها

(١٤) ل : شكية

(١٥) ل : القاضي السابق

(١٦) ع : العبد

جنابه الخطير، لأشتملها على طلمات صريحة، ولكون^(١) تولية القاضي وهو في غير محل ولايته نائباً غير صحيحة، لما قاله في بعض كتب^(٢) الفتاوى: المولى لا يكون قاضياً قبل الوصول الى محل ولايته، فمقتضاه جواز^(٣) قبول الهدية قبل الوصول وعدم جواز استنابته. فقال قاضي رشيد - أرشده الله تعالى للصواب - بل توليته صحيحة لأن عادتنا معاشرة القضاة إرسال المكاتب بنصب النواب. فقلت له: قد أخطأت يا مولانا^(٤) في الحكم والعلّة، ولم تصب في التفصيل ولا في الجملة، وكلامك هذا في معرض الردّ والاندفاع، وإن ما استدلت به استدلالاً بمحلّ النزاع^(٥). ثم بحث قاضي رشيد - ألهمه الله تعالى رشده - وزعم أن تولية الفقير من حضرة^(٦) الباشا غير صحيحة. فغلطه في كلامه وردّه وقال له: ليس الأمر كما تزعم وتقول، وقد نطقت بخلاف قولك النقول، وليس هذا الكلام منك الا محض الغلط، ولو وقفت على ما^(٧) ذكره في «الملتقط»^(٨) حيث قال: يجوز قضاء الأمير الذي يولي القضاة، وكذا كتابه الى القاضي الآ أن يكون القاضي من جهة الخليفة - لأحجمت عن مثل هذا الزعم والأقوال السخيفة. وقد أفتى بعض المحققين من المتأخرين بأن^(٩) تولية باشا مصر قاضياً ليحكم في قضية بمصر مع وجود قاضيه المولى من السلطان باطلة، لأنه لم يفوض له ذلك. ومفهوم هذا لا يخفى على من له أدنى عرفان، فلا يشك حينئذ من له في الفضل نوع قوّة، في صحة تولية الباشا لهذا^(١٠) الفقير قضاء قوّه، لعدم قاضيه كما يؤخذ من عبارة ما أفتاه هذا المفتي بطريق المفهوم، وكون الوزير وكيل الخليفة في مثل هذا الخصوص أمر معلوم. بل نقول على سبيل الترقّي لو نصّب العبد قاضياً نيابة عن السلطان، جاز قضاء القاضي كما صرح به أئمة الاتقان فما بالك بوزيره، ومعتمده وظهيره؟! هذا ما نقله أكابر العلماء المدققين، ولا ينكر ذلك الآ جاهل أو معاند^(١١)، نعوذ بالله تعالى أن نكون من الجاهلين، والحمد لله وحده. ثم أرسلتها اليه وقلت له: لا بدّ من إرسال هذه الرسالة مع عرض إلى حضرة الوزير ليطلع على ما أبديته من الجهل الشهير. ثم إنه في ثاني يوم أفاق بعض إفاقة، وأتى إلى منزل الفقير وأبدى الاعتذار بحسب الطاقة. وسألنا في عدم العرض فطوينا عنه

(١) ظ : ولكن

(٢) كتب : سقطت من ع

(٣) تعود ر فتشارك بقية النسخ ابتداء من لفظة «جواز»

(٤) ل : يا مولانا قد أخطأت

(٥) في احدى النسخ : استدلالاً محلّ النزاع

(٦) حضرة : سقطت من ل

(٧) ما : سقطت من ظ

(٨) الملتقط في الفتاوى الحنفية للإمام ناصر الدين أبي القاسم محمد بن يوسف الحسني السمرقندي (ت ٥٥٦هـ / ١١٦٠م)

(٩) ر : أن

(١٠) لهذا : سقطت من ل ر

(١١) أو معاند : سقطت من ل ر

صفحاً، وطلب الصلح فتلونا ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ (النساء : ١٢٨)؛
والحّ علينا هو وقاضي اسكندرية لتوجه الى ضيافته في بلدته رشيد، وأكد ذلك بأنواع التأكيد. وأما
قاضي دمنهور فإنه جاهل لم يدر مقامه، ولما تمّ الكشف والتحري، تقدم على الفقير، وكتب أمامه،
فصبرت عليه حتى أتمّ، ثم تأملت ما رقم، فكان الذي كتبه ^(١) ما قرأته : من الداعي الى الملك
القفور، محمد القاضي بدمنهور. فقلت له : ما هذا إلا جهل شهير، بل والعياذ بالله تعالى خطأ كبير،
فان الغفور بالغين لا بالقاف، ولو رأى ذلك حضرة الباشا لعلم ما هناك ^(٢) بلا خلاف. ثم لما رقم
على الحكم والمثال، علامة القبول والامثال، كتب ما صورته : امثلت الى أمر ^(٣) الشريف محمد المولى
بدمنهور. فقلت له ^(٤) : وقد أخطأت أيضاً في هذا الإمضاء من ثلاثة أوجه وتجاوزت حداً، الأول :
جعلك الفعل متعدياً بالي وهو بنفسه يتعدى، والثاني اضافتك الأمر الى الشريف، ولا يخفى على
عقل أن الواجب التوصيف، والثالث بقاء اسمك مفلتا بلا سبب ولا رابط، ولا علاقة ولا ضابط،
الى غير ذلك من العجائب والنوادر والغرائب ^(٥)، سبحان الله تعالى. وعلى قولهم ^(٦) الشيء بالشيء
يذكر فقد ذكرنا عبارات قاضي دمنهور ما وقفنا عليه هذه الأيام لقاض في مدينة الفيوم من كتابته
امثال على مثل ^(٧) الحكم المذكور، صورته : « لما ورد الأمر ^(٨) الشريف من الباب العلية، والعتبة
العالية الهنية، قد نظرت ووقفت وامثلت بالسمع والطاعة، الفقير أحمد ^(٩) بن مولانا علي العربية ^(١٠)،
القاضي بمحروسة فيوم المحمية، عفى عنهما الكافي الصمدية». فلما تأملت هذه العبارات طفح علي
الطرب ^(١١) وطاف ^(١٢)، وأذكرتني، وما كنت ناسياً، قضايا بالقاف. وعجبت من هذه السجعات
المطربة، وحكمت بأن هذه ليست إلا من تلك متشعبة، وقضيت من ذلك غاية ^(١٣)
العجب، وتأسفت على نقص حظ أبناء العرب.

(١) ل : فكان ما كتبه

(٢) ل : ما هناك

(٣) ل : الى الأمر

(٤) له : سقطت من ظ

(٥) ل : والغرائب

(٦) وعلى قولهم : سقطت من ع

(٧) مثل : سقطت من ظ

(٨) رع : الحكم

(٩) أحمد : سقطت من ظ

(١٠) هكذا وردت في جميع النسخ المخطوطة

(١١) ظ : السرور

(١٢) ظ : وماح

(١٣) ع : بغاية

وأما قاضي اسكندرية، فانه في غاية ما يكون من الأوصاف المرضية، وقد أطلعني على مكتوب بخط فخر الموالى المعتبرين^(١) عبد الرحمن جلبى أفندي (٧١) يتضمن وصوله الى القسطنطينية، وأن جميع الموالى أتوا للسلام على حضرته العلية، وأنه توجه حين وصوله للسلام على حضرة مولانا^(٢) المفتي أدام الله تعالى أيامه، وأطال بقاءه وخلد أعوامه. وتوجه ثاني يوم دخوله الى حضرة الوزير الأكرم وذكر عنده من أوصافكم الكريمة ما شهدته وسمعه من أفواه العالم فزاد اعتقاده في حضرتكم^(٣)، وسره ما سمع من حسن سيرتكم، وان برويز أفندي (٧٢) اجتمع بعد ذلك بيوم بحضرة الوزير - خلد الله تعالى أيام سعادته وحفظ جنابه الخطير - فذكر له ما شكره عبد الرحمن أفندي منكم، وما بلغه من الأوصاف الجميلة^(٤) عنكم، فزاده ذلك ميلا الى مولانا واعتقاداً فيه، وقال : سبحان الله تعالى، الولد سر أبية. ثم ان مولانا حامد أفندي (٧٣) وبرويز أفندي توجهوا الى بيت عبد الرحمن جلبى بعد مجلس السلام، وشكراه على مدحه لجنابكم - حرسه الله تعالى بعينه التي لا تنام - بعد تقبيل اليد الشريفة ثانياً والسلام في المبدأ والختام^(٥).

هذا آخر المكتوب الذي أرسلته الى جناب مولانا أدام الله تعالى فضله المتضمن لتلك القضايا بالتفصيل والجملة^(٦). هذا ثم ان أهالي فوه كانوا اذ ذاك شكوا من رئيس المحضرين (٧٤) بها المدعو بحسام، وذكروا أنه يتعدى عليهم بالغرض ويفوق اليهم السهام، فرفعه الفقير لما بلغه من أفعاله، وسمعه من سيرته وأحواله، فجاء بمكتوب من حضرة من بالفضل مشهور والتحقيق موصوف، مولانا فخر القضاة منشى أفندي^(٧) القاضي بمنوف، وهو على الاطلاق أفضل قضاة هذه الديار، وإليه من بينهم بزيادة الفضل^(٨) يشار، يتضمن مكتوبه الشفاعة عند الفقير بالمذكور وأن يكون نظره عليه، وذكر أنه قد تاب الى الله تعالى ورجع عما نُسب اليه، فقبل الفقير ما أشارت به حضرته^(٩)، وكتب له عن ذلك جواباً صورته : إن أحلى ما تنطق به الألسنة^(١٠)، في جميع الآونة والأزمنة، حمد منشى أنشأ الموجودات بقدرته على أحسن نظام، وشكر معيد أبدع الكائنات ببديع حكمته على مقتضى المقام، اختار من خلقه خالصة هداهم بهدايته الى التوفيق، وأرشدهم بنور عنايته الى أقوم

(١) ر : المدققين

(٢) مولانا : لم ترد في ع

(٣) ظ : بحضرتكم

(٤) ظ ل : الحميدة

(٥) ع : والسلام على الدرام

(٦) هذا آخر . . . والجملة : سقط كله من ر

(٧) لم أعثر له على ترجمة في المصادر المتوفرة لدي

(٨) بزيادة الفضل : سقط من ر

(٩) فقبل . . . حضرته : سقط من ر ظ

(١٠) استهلال شبيه باستهلال الرحلة نفسها

طريق، وصلاة على أفصح منطق نطق بالاضاد، صلاة يزوي بها يوم الفصل كل صا، وعلى آله وأصحابه، وتابعيه وأحبابه، ما أطرى منشىء في مدح أوصافه العلية فأطرب، وشتف المسامع بلطائف نعوته الشريفة فأطنب، آمين. وبعد رفع دعاء اذا قصد باب القبول قيل له^(١): ﴿ادخلوها بسلام﴾ (الحجر: ٤٦)، وسلام أعطر من حديث النسيم بأخباره زهر الكمام^(٢)، ووصف اخلاص مؤكدا بتوابع المدح والثناء، واعراب عن محبة مشيدة البناء، ونعت الاشواق، التي عجزت عن حصرها الأوراق، فقد وصل المثال الكريم من حضرة من فاق أهل العصر بفضائله الحسان، والمنشئ البليغ الذي اذا أنشأ أنسى سحبان، فقابله المخلص بالاجلال والاعظام، وضرب صفحا عن شاكي حامله حسام^(٣)، فإنه كان^(٤) شكاه منه بعض الناس وتظلم، وذكر أنه ينشب الرعية بأظفار لم تقلم، ولكن نرجو له المجاز عن ذلك الطريق حيث كان مرسلًا من جنابكم الشريف، واذا كان مضافًا الى جنابكم وموصولًا بأعتابكم يكتسي كمال التعريف. على أنه كان السبب في فتح باب المصاحبة، والباعث على المراسلة والمخاطبة^(٥)، وطالما تشنتف الأسماع بأوصافكم التي سارت بها الركبان، وفضائلكم اللاتي يشهد بها أعيان الأفاضل وأفاضل الأعيان، وأنتم في أمان الله تعالى وحفظه على الدوام، والسلام.

هذا، وقد ورد عليّ وأنا قاض بقوة مكاتبات من أحبابنا أهالي المحمية القاهرة، أدام الله تعالى عليهم نعمه الوافرة، من ذلك مكاتبة من مولانا فخر المدققين، القاضي بدر الدين القرافي المالكي (٧٥) صدرها: (الوافر)

أيا بحر المعالي والمعاني	ومن للمكرمات يجيّد عزمًا
لتنهال ^(٦) بالولاء بحسن مجد	ونرجو أن يزيد نداءك حتما
لفوة قوة أبدت سريعاً	قضاء قنا بقصد ثم جزمًا
فقد جاء الرسول بكُتب مولى	وقاضي عسكر قد زاد حكماً ^(٧)
بتولية القصير كذا قناء	قنا يا رب همّا ثم غمّا

(١) له: سقطت من ع

(٢) ع: أكمام

(٣) شاكي فيه تورية بمعنى شاكي السلاح، وشاكي الحسام، والشاكي: من شكك يشكو، وحسام هو رئيس المحضرين. وأورد بهامش ع ك، قول زهير:

لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم

وفي ايراد البيت قولهم بالمشابهة، والمشابهة الصحيحة ستأتي في قوله بعد ذلك: ينشب الرعية بأظفار لم تقلم

(٤) كان: سقطت من ر

(٥) ر: والمصاحبة

(٦) جزمًا في ع ر، وجاءت الجيم مهملة في بقية النسخ

(٧) هنا ينقطع النص في ر

فكان مجيئه في (١) يوم الاثنين
فاجلنا بحكم من وزير
مخافة أن يطول الأمر يوماً
وتدريس الفقير أنى جليلاً
بقيتم في علو وارتفاع

وفيه مسافراً قد رام مرمى
ومكتوب نقاضي مصر رسماً
ونخشى أن يضيع الحال حشماً
على وجهه يزيد الحال غماً (٢)
ودتم تمنحون الخلق علماً

فكتبت له في صدر مكتوب جواباً عن ذلك، صورته (٣) : (الوافر)

أتاني منك مكتوب كريم
فشوقني لأحبائي بمصر
فاني لم أفارقهم بقلب
وقد سر الفقير بما ذكرتم
فمصر ليس لي فيها صديق
فان تك شافعي حكماً حديثاً
وفعلك للجميل اذا تعدى
فكم أوليتنا فعلاً جميلاً
فلا زالت عوارفكم غزيراً
وبدرك مشرقاً في أفق سعيد

حوى البشرى ولكن فاق نظماً
وجدد عهداً أشتواقي ونمى
اذا فارقتهم بالسرغم جسماً
لله من شفع مكتوب وحكماً
سواكم أرتجيه لما أهما
فانك مالكي بالجوهر قدماً
وخص ندادك إخواناً وعماً
وكم لك مثل هذا الفعل اسماً
ومجدك شامخاً ببدءاً وختماً

ومن ذلك مكاتبة من فخر الأفاضل والأدباء، وعمدة البلغاء والنجباء، الشيخ محمد
الفارضي (٤) باسمه واسم فخر الاهالي والأعيان، سيدي محمد الظاهر (٥) الموقع بالديار
المصرية، توصية لأناس من أهالي قوة المحمية، صورتها: مولانا حرسه الله تعالى وحماه،
وأكسبه قوة بقوة كما شرف به حمص وحماة (٦)، معروض الفقير أن أيتام السعد لهم خبر مطول،
وليس إلا على فضل مولانا فيه (٧) المعول، ملخصه أو مختصرة وقفية ادعى شخص بيعها، وأنه
أصبح يملك ريعها، والمسألة متعلقة بأيتام، ومولانا حسنة هذه الأيام، فمولانا لا يخليهم من
العناية، أدام الله تعالى له الرعاية، ولا يخفى الحث على إكرام اليتيم،

(١) في : سقطت من ظ (ومع سقرطها في وزن السطر لا يضبط)

(٢) في ما عدا جاء النص : الحال عما

(٣) ظ : فكتبت له صورته

(٤) انظر التعليق رقم : 54

(٥) لم أجده ترجمه

(٦) وأكسبه . . . وحماة : سقط من ظ

(٧) فيه : مزيدة من ع

وقد جاء ذلك في الذكر الحكيم ، وبقيتم في عافية ، ونعمة كافية وشافية .
ومن ذلك مكاتبة من صاحبنا الفاضل الشيخ علي المالكي^(١) صورتها^(٢) : (الطويل)

سَلامٌ كَعَرِفِ الْمَسْكِ فَاحِ بِعَطْرِهِ
عَلَى مَنْ غَدَا يَعْلُو السَّمَاكِينَ رَفْعَةً
إِمَامٌ لَهُ دُرُّ الْمَعَالِي قَلَائِدُ
وَبَعْدَ فَيَا رَبَّ الْفَضَائِلِ وَالْحَجَى
إِلَيْكَ اشْتِيَاقِي لَا يُحْدِثُ فَنَاءً
وَأَنْ عَلَيَا - مَذْ تَنَاءِي مُحِبُّهُ^(٣)
يَحْنُ إِلَيْكُمْ^(٤) كُلَّ وَقْتٍ كَأَنَّهُ
بَعِيدٌ قَرِيبٌ مِنْكُمْ بِضَمِيرِهِ
إِذَا مَا خَلَّتْ مِنْكُمْ مَجَالِسُ وَدِهِ
وَلَوْلَا رَجَاؤُهُ أَنَّ وَقْتَ فِرَاقِكُمْ
سَقَى اللَّهُ أَيَّامًا تَقْضَتْ بِقُرْبِكُمْ
لَكُمْ أَبَدًا مَنِّي سَلامٌ مُضَاعَفٌ

وَوَرِدَ كَنْشَرُ الْـرَوْضِ زَانَ بَزْهِرِهِ
وَيَسْفُلُ عَنْهُ الْفَرْقِدَانُ لِقَدْرِهِ
وَقَدْ فُتِّقَ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ وَثَرِهِ
وَمَنْ قَدْ غَدَا يَسْمُو بِثَاقِبِ فِكْرِهِ
تَنَزَّاهُ عَنْ ضَبْطٍ وَحَدٍّ وَحَصْرِهِ
تَدَانِي لَهُ صَرْفُ الزَّمَانِ بِغَدْرِهِ
مَحَبٌّ جَفَاهُ حُبُّهُ طَوْلَ عَمْرِهِ
وَفَرَّاقِكُمْ فِي جَهْدِهِ دُونَ سَرِهِ
فَقَدْ عَمَرْتَ فِيكُمْ مَجَالِسُ شُكْرِهِ
سَحَابَاتُ صَيْفٍ مَاتَ غَمًّا بِقَهْرِهِ
هَوَاطِلُ مَنْ طَلَّ الْغَمَامُ قَطْرِهِ
وَأَزْكَى تَحِيَّاتٍ إِلَى يَوْمِ حَشْرِهِ

هذا ثم أقمنا في قوة المذكورة مدة في غاية الحضور لا نخشى ضراراً ولا بوسى ، وكثانت اقامتنا بها
كضعف ميقات موسى . وبعد ذلك فوض قضاؤها لقاض ، وفارق الفقير أهاليها وهم راضون عنه
وهو عنهم راض ، وكتبوا لنا محضراً ذكروا فيه ما شاهدوه من سيرة الفقير ومشيه على أولى سنن وأقوم
طريقة ، وأنه لم يتولَّ عليهم قاضٍ مثله في الحقيقة ، ورقم عليه الفاضل من أهاليها ، والمعول عليه من
أهل العلم فيها ، وكان خروجنا منها ثامن عشر شهر^(٥) شعبان سنة تسع وسبعين وتسعمائة من
الأعوام ، ووافق ذلك اليوم يوم^(٦) خروجنا في^(٧) سنة ثمان من دمشق الشام . وقد امتدحني أفاضلها
بقصائد فصيحة ، محتوية على مقاصد لطيفة ومعان رجيحة ؛ فمن ذلك قصيدة كتبها الشيخ الفاضل
العلامة ، والمدقق الكامل الفهامة ، القاضي محمد الفزاري^(٨) ، صورتها : (الطويل)

(١) انظر التعليق رقم : 12

(٢) ع : صدرها

(٣) محبة : رواية ع ؛ وفي النسخ الأخرى : محبته

(٤) ظ : إليك

(٥) شهر : سقطت من ظ

(٦) يوم : سقطت من ظ

(٧) في : سقطت من ظ

(٨) لم أعثر له على ترجمة ، وفي ظ : الفزاري

أَلْطُنُكَ أَمْ سَحَرُّ أَجْوَدُكَ أَمْ بَخْرُ
أَمَجْدُكَ أَمْ فَخْرُ الثَّرِيَا عَلَى الثَّرَى
تَنَاهَى ثُبُوتُ الشُّكْرِ فَيْكَ فَلَا يَرَى
إِلَيْكَ مَحَبَّ السُّدَيْنِ وَجَّهْتُ مَقْصِدِي
بِذِكْرِكَ قَدْ عَطَرْتُ أَنْفَاسَ سَرَّهَا
إِلَى كَهْفِ عِلْمٍ يَسْبِقُ الطَّرْفَ فَهْمُهُ
وَكَلَّا فَإِنَّ السُّحْبَ بِالْقَطْرِ جَوْدَهَا
كَثِيرُ سَهْلٍ سَادَ الْعَيْنِ فِي الْعِلْمِ لِلْعَلَى
وَقَدْ قَلَّدَ الْأَعْنَاقَ مَتْنَهُ فَمَا
إِلَّا يَا مَحَبَّ السُّدَيْنِ فَخْرُكَ قَائِمٌ
فَالْكَ هُمْ أَهْلُ الْمَكَارِمِ مَا لَهُمْ
وَمِمَّا فَخْرُهُمْ إِلَّا لَأَنَّكَ مِنْهُمْ
وَقَدْ ضَلَّ كَفٌّ^(٢) يَمْتَمُتُ غَيْرَ سَوْحِكَ الـ
وَادٌّ^(٤) قَدْ وَزَنَتِ النَّاسَ عَقْلًا وَهَمَّةً
فَعَنِكَ رَضِي السُّرْحَنُ عَمَّا نَشَرْتَهُ
وَجِئْتُ^(٦) وَكَانَ النَّاسُ فِي الْإِصْرِ^(٧) وَالْعِنَا
وَأَرْسَلْتُ أَمْنًا فِي قَنَا وَقَصِيرَهَا
يُرِيكَ ذِكَاةَ الْفَكْرِ مَا بَعْدَ يَوْمِكَ الـ
إِذَا اشْتَبَهَ الْأَمْرَانِ عَزَّ بِرَأْيِكَ الـ
وَأَنْتَ سَوَاءٌ^(٨) الْحَالَتَيْنِ عَلَى الْمَدَى
فَمِمَّا شَأْنُ مَنْ لَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ
وَمِمَّا هِيَ إِلَّا فَكْرَةٌ حَمُوءِيَّةٌ
وَمَنْ ذَا يَضَاهِي ذَا الْمَحَبِّ فَنَانَهُ
إِذَا مَا قَضَى أَمْضَى فَيَرْضَى^(٩) بِحُكْمِهِ

أَوْجَهَكَ أَمْ شَمْسٌ وَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ
أَحَدُكَ بَيْنَ النَّاسِ يُتْلَى أَمْ الذِّكْرُ
لِرَأْيِكَ لَمْ يَلْحَقْ بِيَابِكُمْ عَذْرُ
عَلَى ذَاتِ عَزْمٍ زَانِهَا النِّظْمُ وَالسُّدْرُ
فَسَارَتْ وَطُفُولُ الْأَرْضِ فِي عَيْنِهَا فِتْرُ
سَحَابٍ نَدَى فِي النَّاسِ نَائِلُهُ غَمْرُ
وَذَا جَوْدِهِ فِي قَطْرِهِ يَغْرُقُ الْبَحْرُ
وَيَرْضِيهِ مِنْ اغْفَاءِ أَعْيُنِهِ النَّزْرُ
نَرَى سَيِّدًا إِلَّا وَمِنْهُ لَهُ شُكْرُ
وَمِمَّا لَامَرِيءٍ لَمْ يَمَسْ مِنْ حِمَاةٍ^(١) فَخْرُ
مِنْ الْعَيْبِ إِلَّا أَنْ بِهِمْ حُسْنُ الذِّكْرِ
وَأَنْ بِلَادًا مَا نَزَلَتْ بِهَا قَفَرُ
فَسِيحَ فَرَدَّتْ^(٣) وَهِيَ مِنْ قَصْدِهَا صِفْرُ
وَفَضْلًا^(٥) وَوَصْلًا كَانَ مِنْكَ لَهُمْ جَبْرُ
بِفَوْةٍ مِنْ عَدْلٍ وَبِذَلٍ بِهِ الْأَجْرُ
فَجَاءَ الْغَنَى، وَالْبَأْسُ يَطْرُدُهُ الْيَسْرُ
فَقَصَّرَ عَنْهَا السُّوءُ وَانْفَصَلَ الشَّرُّ
جَدِيدٌ فَأَنْتَ الْحَاقِقُ الذَّهْنُ النُّصْرُ
سَدِيدٌ شَدِيدُ الْحَقِّ يَمْتَازُهُ الذِّكْرُ
عَلَى سَنَنِ التَّقْوَى هُمَا السُّرُّ وَالْجَهْرُ
وَذَاكَ هُوَ الْجُودُ الْمُؤَسَّسُ وَالْفَخْرُ
إِذَا اتَّصَلَتْ بِالْمَعْتَنَى رَحْلُ الْفَكْرِ
سَلِيلُ الْمَعَالِي وَصَفْهُ النَّصْرُ وَالصَّبْرُ
جَمِيعُ بَرَائِيَا الْخَلْقِ وَالْخَالِقُ الْبَرُّ

(١) لا بد من التصريف بلفظة «حماة» على نحو ما، كأن تلفظ «حماة» أو «حامة» حتى يصح وزن البيت

(٢) ظ : ركب

(٣) ظ : رَدَّ (ولا ينضبط بها الوزن)

(٤) ش : وان

(٥) وفضلا : رواية ع، وفي غيرها وفضلا

(٦) ظ : وحيث

(٧) ع : في الضيق

(٨) ظ : سوي

(٩) فيرضى : رواية ع

وَأَنَّ الرِّعَايَا حَيْثَمَا قَدْ أَتَاهُمْ
بِعَيْشِكَ حَالِي هَلْ أَقَايِسُ بِالَّذِي
فَمَا أَنَا مِمَّنْ يَبْرَتُضِي عَلَّ أَوْ عَسَى
شَهِيدَايَ فِي حَبِيكَ عَدْلَانِ عِنْدَكُمْ
سَلُّوا عَنْ مَوَدَّاتِ الرِّجَالِ قُلُوبَكُمْ

بشرك بعهد الحزن عن قـدم سـرّوا
له ظاهر الدعوى وأنت لي الظهر
لحظ^(١) عـدو حظه عندك البتر
قـبـولـها حتمّ هما القلب والفكر
وتلك شهودٌ مثلها قد حكى الشعر

ثم قدمت الى المحمية القاهرة في أواخر شعبان، وأنا بفرط الأشواق الى مشاهدة ذات^(٢) مولانا قاضي
القضاة لا برحت عالية الشأن، وعرضت عليه المحضر فسرّ به - أدام الله تعالى سروره واستبشاره -
وصحبني في خدمته إلى حضرة الباشا أعزّ الله تعالى أنصاره، وعرض المحضر المذكور على حضرته
العلية، وأكد ذلك بمؤكدات ومحسنات بديعية، فأنتجت تلك المؤكدات والمحسنات، أن عاد عليّ
من حضرته الكريمة بعض الصلات. وكم لهذا المولى على عبده مثل هذه الصلات عوائد^(٣)، وطالما
أهدى اليه من نعمه ما يعجز^(٤) عن بعض شكره الزائد : (الطويل)

وَلَوْ أَنَّنِي أُوتِيتُ كُلَّ بِلَاغِيَةٍ
لَمَا كُنْتُ بَعْدَ الْكُلِّ إِلَّا مَقْصَرًا
وَأَفْنَيْتُ بِحَرِّ النُّطْقِ فِي النِّظْمِ وَالتَّشْرِ
وَمَعْتَرَفًا بِالْعَجْزِ عَنْ وَاجِبِ الشُّكْرِ

هذا وكان العبد في تلك الأثناء يتشوق الى أفاضل إخوانه بدمشق المحروسة، ويتشوّف الى اخبار تـردّ
عليه من حضراتهم المأنوسة، وينشد من شدة أشواقه التي أورثته الفكر: (البيسط)
* يا جيرة الشام هل من نحوكم خبر *

فبينما هو من الأشواق على شفا، اذ وردت عليه منهم رسائل ولا رسائل اخوان الصفا، فقبّلتها^(٥)
وفضضت منها الختام، فألفيتها مشتملة من عرائس المعاني على حور مقصورات في
الخيام^(٦): (الطويل)

وَقَبَّلْتُهَا أَلْفًا وَأَلْفًا فَتَقَالَ لِي
غَرَامِي زَدَهَا وَاضْرِبِ أَلْفَ فِي أَلْفٍ
فَمِنْ ذَلِكَ مَكَاتِبَةٌ مِنْ صَاحِبِنَا فَخْرِ الْأَفْضَلِ الْمُتَبَحِّرِينَ، وَزَبْدَةِ الْأَمْثَلِ^(٧) المدققين، مولانا الشيخ
عماد الدين (76) أدام الله تعالى أفاضله، وبلغه أمانيه وآماله، صدرها : (الطويل)

(١) ظ : لحظ

(٢) ع : حضرة

(٣) الصلة والعائد : مصطلحان نحويان أيضاً

(٤) بهامش ع : لو قال ما ينقص، لكان أولى (وهو تعليق لأحد القراء)

(٥) فقبّلتها : سقطت من ظ

(٦) في سورة الرحمن : ٧٢ ﴿حور مقصورات في الخيام﴾

(٧) الأمثال : رواية ع، وفي النسخ الأخرى : العلماء

سَلَامٌ كَعَرَفِ الْمَسْكِ بَلْ هُوَ أَعْطَرُ
عَلَى الْحَضْرَةِ الْعَلِيَاءِ وَالسَّاحَةِ الَّتِي
عَلَى سَاحَةِ فِيهَا السَّاحَةُ وَاللَّيْ
سَلَامٌ مَحَبٍّ لَمْ يَحُلْ عَنْ وَدَادِهِ
أَمْلَوَايَ إِنْ الشُّوقُ مُرٌّ مِذَاقُهُ
وَإِنِّي لَمُشْتَقٌّ بِبَدِيعِ جَمَالِكُمْ
لَا نَكُمُ إِنْسَانٌ عَيْنِي وَنُورُهُمَا
فَجُودُوا وَرَقُوا وَاعْظِفُوا وَتَفَضَّلُوا
بَقِيَّتُمْ وَقِيَّتُمْ دَمْتُمْ لَا غَدٍ مَتُّمُوا

فكتبت له عن ذلك جواباً، صورته : (الحنيف)

غَبَّ تَقِيلُنَا لَتَلِكِ الْإِيَادِي
وَتَنَاءٍ يَفْرِقُ نَشْرَ خِزَامِي
وَسَلَامٌ مَوْكِدٍ مِنْ مَحَبٍّ
إِنْ عَيْنِي لَمَّا تَبَاعَدَ عَنْهَا
قَدْ جَفَاهَا الْمَنَامُ مَذْفَارَقَتَكُمْ
يَا أَهْلَ الْوُدَادِ إِنِّي مَحَبٌّ
كَيْفَ أَسْأَلُو وَحَبَّكُمُ حُلٌّ مِنْ قَلْبِ
مَا قَصَصْتُ الْقَلْبَ وَإِنْ كُنْتُ فِي نَا
حَاشَ لِلَّهِ مَا الْجَفَا بِمَرَامِي
وَلَنْ غَبْتُ عَنْكُمْ فَبِوَدَادِي
صَحَّ مِنْ عَلِيٍّ وَحَاشَاهُ مِنْ شَوْ
لَسْتُ مِمَّنْ تَكْلَفُ الْوَدَّ حَاشَا
وَعَلَى كُلِّ حَالَةٍ حَيْثُ مَا كُنْتُ
أَنْبِي مِنْ أَقْلٍ أَعْبَدَكُمْ إِذْ
قَسَمًا بِالْوُدَادِ يَا جِيرَةَ الْحَيِّ
لَمْ أَحُلْ عَنْ وَدَادِكُمْ أَبَدَ الدَّهْرِ
كُلَّ حِينَ يَحْرُكُ الْوُجُودُ مِنْ

وَأَزْكَى تَحِيَّاتٍ تَضُوعٌ وَتُسْرُ
بِهَا الْفَضْلُ ثَابِتٌ وَالْأَفْضَالُ تَفْخَرُ
وَسَاكِنُهَا مَا زَالَ بِالْخَيْرِ يَذْكُرُ
وَأَنْ صَحِيحَ الْوُدِّ لَا يَتَغَيَّرُ
وَأَنْ فِرَاقَ الْإِلَافِ (١) لَا شَكَّ يَعْسُرُ
وَلَسْتُ عَلَى حَرِّ الْقَطِيعَةِ أَصْبِرُ
وَكَيْفَ بَغِيرِ الضُّعْفِ عَيْنِي تَبْصُرُ
وَمَنْوَا بِقَرَبٍ وَارْحَمُوا الصَّبَّ وَاعْزُرُوا
وَلَا زَالَ رَاجِيَكُمْ مَدَى الدَّهْرِ يَجْبُرُ

وَوَلَاءٍ مِنْ مَخْلِصٍ فِي الْوُدَادِ
وَعَلَى الْمَسْكِ إِذَا ذَكَرْنَا وَالزَّبَادِ
سَالِكٍ فِي الْوُورِ (٢) طَرِيقِ الرِّشَادِ
شَخْصَكُمْ مَسْهَبًا أَلِيمُ السَّهَادِ
وَقَالَاهَا مِنْ بَعْدِ طَيْبِ الرِّقَادِ
أَنْتُمْ مَقْصُودِي وَأَنْتُمْ عِمَادِي
بِي وَمَنْ يَهْجَتِي سَوَادُ (٣) السَّوَادِ
رِاشْتِيَاقِي قَدْ أَحْرَقْتُ أَكْبَادِي
لَا وَلَا الْهَجْرُ وَالصَّدُودُ مَرَادِي
مِثْلُ مَا تَعْبُدُونَ بَلْ فِي إِزْدِيَادِ
بِاخْتِلَالِ (٤) يَشِينُهُ أَوْ فَسَادِ
لِحَبِّ تَكْلُفٍ فِي وَدَادِ
تُتَمَنَّى الْأَرْضُ قُرْبَهَا وَالْبَعَادِ
أَنْتُمْ مِنْ بَيْنِ ذَا الْوُورِ أَسِيَادِي
يَمِينًا بِاللَّهِ رَبِّ الْعِبَادِ
رِوَانٍ طَالٍ عَنْ حَاكِمٍ بَعَادِي
شَجْنًا سَاكِنًا لِذَاكَ النَّادِي

(١) ل : الود

(٢) ع : الولا (أي الولاء)

(٣) ع : سواء

(٤) اختلال : رواية ، وفي غيرها : اختيال

فعلى أهله الكرام سلامي
لا بـرحتم في نعمة وسرور
ما تغنت قمريّة فوق غُصنٍ

ابدأ دائماً مـدى الآبـاد
قـدام دائماً وفي إسمـاد
ورقى بلبـل على أعـواد

ومن ذلك ما كتبه فخر الأهالي والمدرسين ، وزبدة الأكامل المدققين ، مولانا^(١) الشيخ شمس الدين ابن المنقار (٦٦٧) دامت فضائله ، صورتها : (الكامل)

من يوم بينك كل طرفٍ دامي
لما رحلت^(٢) ممتعاً بسلامة
خلفت بعدك كل خلٍ هائماً
سكراناً من كأس الفراق معذباً
يشدو بذكرك من نواك إذا رأى الـ
مولاي بَعْدَكَ قد تفرّق جمعنا
فالبعض منا في الحجاز وبعضنا
قد كنت واسطة لعقد نظامنا
وكذاك كنت البدر تطلع في الدجى
وضياء وجهك في النهار إذا بدا
هذا وعبدك مات بعدك صَبْرُهُ
فعلى حماك من المحب تحيية
وسقى الاله ديار مصر وأهلها
لما حللت بها تضاحك زهرها
والنيل زاد على القياس فأصبحت
لا غـرو ان شَرُفَتْ مصر وأهلها
أكـرم بنفـس لـلإمام^(٥) كريمية
جُمِعَتْ لـه طُرُقُ السيادة اذ غدا
لا زال يـرفل في ثياب سعادة

لم تكتحل أجفائهُ بمنام
ومصاحباً للـسَّـعد والإكـرام
يُجـري الـدمـوع حليف كل سقام
يا صاح بالهجران والآلام
عشـاق في ركبٍ بكل مقام
وضياء نادينا امتحى بظلام
في الروم والباقي بأرض الشام^(٣)
حتى انفردت^(٤) فحلّ عقْد نظامي
فتزِيلُ عنا وصمة الاظلام
فـالشمس تـسـرّ وجهها بغمام
فاسلم ودُم في السعد والانعـام
لا تنتهي وعليك ألف سلام
أنواء سُحب من يديك عظام
فرحاً وبُـدَلْ نقصها بتمام
راحائهُ مخضوبة بينام
فلطالما شَرَفْتنا بالشـام
وشريفية أزرّت بنفـس عصـام^(٦)
يهتم بالإقـدام لا الاحجام
ويجـرّ ذيل^(٧) العـز فوق الهام

(١) مولانا : سقطت من ع

(٢) ع : حللت وبها مشها الصواب : لما ظعنت

(٣) هنا بهامش ع : كما قيل

وكانا في اجتماع كالثريا وصيرنا الزمان بنات نعش

(٤) ظ : انفرد (وهو خطأ لا يصح به الوزن)

(٥) ظ : للانام

(٦) إشارة إلى قول الشاعر : " نفس عصام سُرِدَتْ مـمـاماً "

(٧) ظ : ثوب

مَا نَمَقَ الْمُشْتَاقُ طِرْسَ رِسَالَةٍ
فَكَتَبْتُ لَهُ جَوَاباً عَنْ ذَلِكَ صَوْرَتَهُ^(١): (الكامل)
وَرَدْتُ^(٢) عَلَيَّ مِنَ الْجَنَابِ السَّامِي
قَدْ أَنْبَأْتُ يَا سَيِّدِي عَنْ بَعْضِ مَا
وَشَرَحْتُ فِيهَا بَعْضَ بَعْضِ صِبَابَتِي
فَكَأَنِّهَا^(٣) صَوْتُ الصَّادِي أَنْ صَحْتُ نَا
حَاشَا لِمِثْلِي أَنْ يَكُونَ لَدَيْكَ يَا
لَكْنَهَا مِنْ بَحْرِ كَامِلِكَ الَّذِي
بِاللَّهِ قُلُوبُ لِي مِنْ لَأَلِيٍّ صَغَتْ هـ
أَمْ ذَلِكَ السَّحَرُ الْحَلَالُ نَقَشَتْهُ
أَحْسَنْتُ فِيهِ الْجَمْعَ وَالتَّقْسِيمَ إِذْ
فَعَلِيهِمْ وَعَلَيْكَ أَلْفُ تَحْيِيَّةٍ
يَا سَادَتِي رَفَقاً بِصَبِّ هَائِمٍ
قَدْ طَلَّقْتُ أَجْفَانَهُ طَيْبَ الْكَرَى
فَالْيَوْمُ أَحْسِبُهُ بِشَهْرٍ كَامِلٍ
وَلِئِنْ غَدَا فِي مِصْرَ عِبْدُ جَنَابِكُمْ
مَا يَذْكُرُ الْمَمْلُوكُ أَيَّاماً مَضَتْ
فَعَلَى دِمَشْقَ تَحْيِيَّةٌ مِنْ مَغْرَمٍ
وَسَقَى الْحِمَى وَالسَّائِكِينَ عَلَى الْمَدَى
لَا زَالَ رَبُّكَ بِالْفَضَائِلِ أَهْلًا
مَا دَمْتُ تَنْظِمَ^(٤) مِنْ رِسَائِلِكَ الَّتِي
دُرّاً عَلَى كُلِّ الْقَصَائِدِ فَخَرَهَا
وَمِنْ ذَلِكَ مَكَاتِبَةٌ مِنْ فَخْرِ الْأَفَاضِلِ ، وَخِلَاصَةُ الْمَدَقِّينِ الْأُمَثَلِ ، مَلَأَ أَسَدُ الدِّينِ (٧٨) دَامَ فَضْلُهُ ،
صَدَرَهَا^(٥) : (الطويل)

بِحَدِيثِ أَشْوَاقٍ وَفَرَطٍ غَرَامٍ

وَرَقَاءُ تَسْفُرُ عَنْ فَمٍ بَسَامٍ
عَنْدِي مِنَ الْأَشْوَاقِ وَالْآلَامِ
وَعَزِيزَ أَشْوَاقِي وَفَرَطَ غَرَامِي
دَانِي وَجْهًا وَبَنِي بِمِثْلِ كَلَامِي
قَسَّ الْفَصَاحَةَ مَفْصَحاً بِكَلَامِ
عَزَبْتُ مَوَارِدَهُ لِكُلِّ هِمَامِ
ذَا اللَّفْظِ أَمْ رَضَعْتُ عَقْدَ نَظَامِ
حَتَّى أَخَذْتُ مَجَامِعَ الْأَفْهَامِ
أَدْمَجْتُ فِيهَا ذِكْرَ أَهْلِ ذِمَامِ
فِي كُلِّ إِصْبَاحٍ وَأَلْفُ سَلَامِ
أَضْحَى حَلِيفَ صِبَابَةٍ وَغَرَامِ
وَعَدَمْتُ رُوحِي أَنْ وَجَدْتُ مَنَامِي
وَالشَّهْرُ أَحْسِبُهُ بِأَلْفِي عَامِ
فَالرُّوحُ عِنْدَكُمْ بِأَرْضِ الشَّامِ
أَلَا وَيَكِيهَهَا بِدَمْعِ هَامِي
مَا شَامَ بِرَقاً فِي دَجَى وَظَلَامِ
هَتَّانَةَ تَهْمِي بِصُوبِ غَمَامِ
وَالسَّعْدِ وَالْأَقْبَالِ وَالْإِنْعَامِ
فِي حُسْنِهَا فَاقَتْ عَلَى النِّظَامِ
فِي حُسْنِ مَطْلَعِهَا وَحُسْنِ خَتَامِ
وَمِنْ ذَلِكَ مَكَاتِبَةٌ مِنْ فَخْرِ الْأَفَاضِلِ ، وَخِلَاصَةُ الْمَدَقِّينِ الْأُمَثَلِ ، مَلَأَ أَسَدُ الدِّينِ (٧٨) دَامَ فَضْلُهُ ،
صَدَرَهَا^(٥) : (الطويل)

(١) صورته : انفردت بهاع

(٢) ظ : ورد

(٣) ظ : فكأنها

(٤) ع : تملي

(٥) ع : الملاء أسد صدرها

أَحْنُ إِلَى مِصْرٍ وَطِيبٍ مَقَامِهَا
وَلَا سِوَا ذُو الْجُودِ وَالْفَضْلِ وَالتَّقَى
وَإِنِّي وَإِنْ شَطَّ الْمَزَارُ لَقَدْ أَنَا
فَكَتَبْتُ لَهُ جَوَاباً عَنْهَا : (الطويل)

أَتَانِي كِتَابٌ طَيِّبٌ الطَّبِيعِ وَالنَّشْرِ
وَفِيهِ سَلَامٌ رَائِقٌ رَقٌّ لَفْظُهُ
فَهَيَّجَ أَشْوَاقِي إِلَى سَاكِنِي الْحَمَى
فَانِي بِرُوحِي عَنْدَهُمْ كُلِّ سَاعَةٍ
أَحْنُ إِلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ كُلِّهَا
فَأَهَا عَلَى تِلْكَ اللَّيَالِي وَطِيهَا
فِيَا لَيْتَ شَعْرِي يَسْمُحُ الدَّهْرُ بِالَّذِي
سَلَامٌ عَلَى جَمْعِ الصَّحَابِ الَّذِي بِهَا
مَدَى الدَّهْرُ مَا نَاحَتْ مَطْوِقَةٌ^(١) وَمَا

وَحَبُّ الْأُولَى حُلُّوا بِهَا مِنْ أُولَى الْفَدْرِ
وَأَوْصَافُ الْحُسْنَى تَجَلُّ عَنْ الْحَصْرِ
عَلَيْكُمْ سَلَامٌ اللَّهُ يَا سَاكِنِي مِصْرَ

مِنْ الْفَاضِلِ الْمَشْهُورِ بِالْعِلْمِ وَالْفَخْرِ
وَمَعْنَاهُ حَتَّى فُتِّقَ فِي النِّظْمِ وَالنَّشْرِ
وَلَمْ أَنْسَهُمْ فَازْدَدْتُ ذِكْرًا عَلَى ذِكْرٍ
وَإِنْ كُنْتُ قَدْ حَلَّيْتُ بِالْجِسْمِ فِي مِصْرٍ
تَذَكَّرْتُ أَيَّامًا مَضَتْ سَالِفَ الدَّهْرِ
لَقَدْ أَشْبَهْتُ فِي حُسْنِهَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ
مَضَى لِي مَعَ أَحِبَّائِنَا الْأَنْجَمِ الزُّهَرِ
وَلَكِنَّكَ الْمَخْصُوصُ مَوْلَايَ بِالذِّكْرِ
تَرَنَّمُ فَوْقَ الْأَيْكِ فِي غُصْنِهِ الْقُمْرِي

وَمَا كَتَبْتَهُ لِمَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا صَدْرَ الْعُلَمَاءِ الْمَدَقِّقِينَ ، وَزِيْدَةَ الْفَضْلَاءِ الْمَحْقُقِينَ ، مَوْلَانَا الشَّيْخِ اسْمَاعِيلِ
النَّابِلِيِّ - أَسْبَغَ اللَّهُ تَعَالَى ظِلَالَهُ ، وَزَادَ عِلْمَهُ وَأَدَامَ أَفْضَالَهُ - مَا صَوَّرْتَهُ : (الطويل)

لِسَوَاءٍ التَّهَانِي بِالسَّرَّةِ يَخْفُقُ
وَسَعْدٌ وَاقِبٌ أَلٌ وَمَجْدٌ مَخِيْمٌ
فِيَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي جَلَّ قَدْرُهُ
أَرَى الشَّامَ مَذْفَارَقَتَهَا زَالَ نُورُهَا
إِذَا غَبَتْ عَنْهَا غَابَ عَنْهَا جَمَاهَا
وَإِنْ عَدَّتْ فِيهَا عَادَ فِيهَا جَمَاهَا
فِيَا سَاكِنِي وَادِي دِمَشْقَ مَزَارِكُمُ
وَلَيْسَ عَلَى هَذَا النَّوَى لِي طَاقَةٌ
وَإِنِّي إِلَى أَخْبَارِكُمُ مَتَشَوِّفٌ
أَوْدٌ إِذَا هَبَّ النَّسِيمُ لَنَحْنُ وَوَكُمُ
وَأَصْبُو لَذِكْرِكُمْ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا
وَلِي أَنَّةٌ أَوْدَتْ بِجِسْمٍ وَلَوْعَةٌ

وَشَمْسُ الْمَعَالِي فِي سَمَا الْفَضْلِ تُشْرِقُ
وَأَيَّامُ عَزٍّ بِالْوُفَا تَتَخَلَّقُ
وَيَا أَيُّهَا الْحَبْرُ اللَّيِّبُ الْمَدَقُّ
وَتُثُوبٌ بِهَا هَا وَالنُّضَارَةُ يَخْلُقُ
وَنَفْسٌ بِدُونِ السُّرُوحِ لَا تَتَحَقَّقُ
وَصَارَ عَلَيْهَا مِنْ بَهَائِكَ رَوْنَقُ
بَعِيدٌ وَبَابُ الْوُصْلِ دُونِي مَغْلَقُ
فَهَلْ مِنْ قِيَمِ الْبَيْنِ وَالْبَعْدِ أَطْلَقُ
وَإِنِّي إِلَى لَقِيَاكُمْ مَتَشَوِّفٌ
بَأَنِّي فِي أَذْيَالِ الْبَيْتِ أَتَعَلَّقُ
لَعَلِّي عَنْ أَخْبَارِكُمْ أَتَنَشَّقُ
وَنَارُ جُودِي مِنْ حَرِّهَا أَتَقَلَّقُ^(٢)

(١) مطروقة : جاءت في رموقة

(٢) هذا البيت سقط من ظ

فحنّوا على المضيّ الذي ثوب صبره
غريباً بأقصى مصر أضحت دياره
وقد نسخ التبريحُ جسمي فهل الى
وياليت شعري هل أفوزُ بروضة
وأنظر واديها وآوي لربوة^(٢)
ويحلو لي العيشُ الذي مرَّ صفوه
وأنظر ذاك الجامعَ الفردَ مرةً
وأصحابنا فيه نجومٌ زواهرُ
فلا برحوا في نعمةٍ وسعادةٍ
ولا زال يا مولاي حجاً مباركاً
ولا زلت في كلِّ المقاصدِ سيدي
مدى الدهر ما حنَّ الغريبُ إلى الحمى
وما صاح شحورٌ على غصنٍ أيكةٍ

إذا مسَّه ذيلُ الهوى يتمزقُ
ولكنَّ قلبي بالشَّام معلقُ
غبارِ ثرى الأعتابِ وصلِّ محقق^(١)
وفيهما عيونُ النرجسِ الغضُّ تُحْدقُ
وماءٍ معين^(٣) حولنا يتدفقُ
وهل عائدُ ذاك النعيمِ المروقِ
وفي صحنه تلك الحلاوة تشرق
ونورٌ محيّا وجههم يتألق
وعزٌّ ومجدٌ شأوه ليس يُلْحَقُ
عليه من الله الثوابُ المحقق
من الله في سَعْدٍ وأنت الموفق
وأرسل دمعاً بل دماً يتدفق
وغردَ قمريٌّ وناح المطوقُ

هذا، ثم أقمت في مصر المحمية الى أواسط شهر رمضان المعظم قدره، وبرزت الأوامر الشريفة بعمارة قلعة في القصير^(٤). فأمرني حضرة الباشا بسرعة التوجّه الى القضاء، فلزم أن يطاع أمره، فودّعنا قاضي القضاة - لا زال وابل انعامه صيباً - وتيممنا عند ذلك « صعيداً طيباً »^(٥)، ووصلنا الى محمية قنا في سادس عشري الشهر المذكور، وهو نظير اليوم الذي وصلنا فيه الى مصر في سنة ثمان، فيكون ما بين دخولنا الى مصر^(٦) وقنا عاماً كاملاً بلا زيادة ولا نقصان. فلما كان أواسط شهر ذي القعدة الحرام ورد الخبر بأن مولانا قاضي القضاة تولى قضاء محمية بروسة^(٧) وكان في تلك الأيام ورد على العبد حكم بتحرير الرزق في بلاد الصعيد فلم يبلغه الخبر إلا بعد توجّه ذاته المأنوسة، ولم يمكنه المجيء لوداع حضرته الكريمة لا برحاً عالية المنار، وشقّ علينا بعد جنابه الشريف عن هذه الديار. وكان^(٨) اذ ذاك صاحبنا فخر القضاة^(٩) المدققين، مولانا القاضي تقي الدين، عين من جانب^(٩) الباشا الى قضاء دجرجا (80) لجمع الغلال، وبينها وبين قضائنا يوم أو بعض يوم لمبتغي الترحال،

(١) هذا البيت سقط من ظ

(٢) ع : بربرة

(٣) ناظر الى قوله تعالى : ﴿ وآويناها الى ربوة ذاتٍ قرارٍ ومعين ﴾ (المؤمنون : ٥٠)

(٤) انظر التعليق رقم : 70

(٥) اشارة الى الآية القرآنية : ﴿ فتبموا صعيداً طيباً ﴾ (النساء : ٤٣)

(٦) ظ : لمصر

(٧) من هنا تعود نسخة ر الى مشاركة النسخ الأخرى .

(٨) القضاة : سقطت من نسخة ظ

(٩) ظ : جناب

فأرسل لنا ^(١) مكاتبة شريفة، ومراسلة بديعة لطيفة، ذكر فيها ما عبارته : وأما قُطْبُ فُنْكِ الوجود،
ونير ذرى معاقِدِ السعود، مولانا أفندي قاضي بروسا لا زال عالي المقام ^(٢). فان الفقير فارقه وهو يتلو
عليكم رسائل التحيات المعطرة، ووسائلاً التسليمات المعنبرة، بلغه الله تعالى أقصى الآمال، وخلد أيام
سعادته ما دامت الليالي والأيام. انتهى.

ثم إن هذا العبد بُعد ^(٣) جناب مولانا ^(٤) قاضي القضاة «ضاقت عليه الأرض بما رحبت» ^(٥) وعان
أن روحه من جسده سُلِبَتْ، وشرب ^(٦) بعد بينه كأس فراقٍ ذهب بلبّه كلّ مذهب، وسقاه النوى
«سوط عذاب» ^(٧) طعم الصبرِ أطيب منه وأعذب : (الطويل)

ولو لم يكن في مصر ما سِرْتُ نحوها بقلب المشقوق المستهـامِ المتيم
لا سيما اذا تذكر ^(٩) تلك الأوقات التي مضت في التمتع بمشاهدة ذاته العلية الشان، وما مرّ له من
حلاوة العيش في غضون تلك الليالي التي خطفناها ^(١٠) من أيدي الزمان : (السوافر)
وكانت بالعراق لنا ليالٍ خطفناها من أيدي الزمان
جعلناها تـاريخَ الليالي وعنـوانَ المسرة والأمان
ولعمري إن هذه الليالي هي المعنية بقول الشاعر : (البسيط)

واهاً لها من ليالٍ لو ^(١١) تعودُ كما كانت وأي ليالٍ عاد ماضيها
لم أنسها مذ نأت عني ببهجتها وأي أنس من الأيام ينسيها
وبينما العبد ^(١٢) يتجرّع غُصَصَ الفراق بعد بُعد جنابه، ويتمنى القرب إلى الأوطان وينشد تشوقاً إلى
أحبابه : (البسيط)

يا جيرة الشام هل من نحوكم خبرٌ فان قلبي بنار الشوق يستعرُ
بعدتُ عنكم فلا والله بعدكم مالد للعين لا نوم ولا سهر
اذا تذكرت أوقاتاً نأت ومضت بقربكم كادت الأحشاء تنفطر

(١) ر : وأرسل له

(٢) ظ : المقدار

(٣) بعد : انفردت بهاع

(٤) مولانا : سقطت من ر

(٥) من الآية ﴿ وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ﴾ (سورة التوبة : ٢٥)

(٦) ل ظ ك : وشربت

(٧) سوط عذاب : من الآية ﴿ فصب عليهم ربك سوط عذاب ﴾ (الشجر : ١٣)

(٨) البيت للمتنبي، في ديوانه بشرح العكبري ٤ : ١٧٩

(٩) ظ : تذكرت

(١٠) ع ظ : خطفناها

(١١) لو : رواية ر ع وفي غيرها : هل

(١٢) العبد : سقطت من ر

كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ بِالنَّيْرِ (81) ضَحَى
وَالْوَرَقُ تَشْدُ وَالْأَغْصَانُ رَاقِصَةٌ
وَالسَّفْحُ أَيْنَ عَشِيَّتِي الَّتِي ذَهَبَتْ
سَقَاكَ يَا سَفْحُ^(١) سَفْحُ الْعَيْنِ^(٢) مِنْهُمَا
إِذْ أَلْقَى إِلَيْهِ مِنْ حَضْرَةِ قَاضِي الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ كِتَابَ كَرِيمٍ^(٣) بِتَبْدِيلِ قَضَاءِ أَسْنَا (82) وَابْرِيْم (83)
فَأَنْشَدَتْ^(٤) عِنْدَ ذَلِكَ : (الْخَفِيفُ)

رَبِّ يَوْمٍ بَكَيْتُ مِنْهُ فَلَمَّا صُرْتُ فِي غَيْرِهِ بَكَيْتُ عَلَيْهِ^(٥)
وَاشْتَدَّ بِهِ حِينَئِذٍ التَّذْكَارُ وَالْحَنِينُ^(٦) إِلَى الْأَوْطَانِ ، وَتَضَاعَفَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الشُّوقِ إِلَى الْأَحْبَابِ وَالْأَخْوَانِ ،
وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْقَائِلِ : (الْبَسِيطُ)

مِنَ السَّعَادَةِ أَنْ لَا تَبْعَدَ الدَّارُ وَأَنْ يَبُلَّ غَلِيلَ الشُّوقِ تَذْكَارُ
لَيْتَ الْمَنَازِلَ بِالْجُرْعَاءِ دَانِيَةً مَنَا وَذَاكَ الَّذِي نَهَى لَنَا جَارُ
ثُمَّ أَرْسَلَ الْعَبْدَ إِلَى مَوْلَانَا قَاضِي الْقَضَاةِ لَا بَرِّحَ مَرْفُوعَ الْجَنَابِ ، لِيَرْتَبَ الْمَقْدِمَاتِ فِي تَبْدِيلِ مَنْصِبِهِ
بِمَنْصَبٍ قَرِيبٍ مِنَ الْأَحْبَابِ ، لَا زَالَتْ سَوَاكُنُ الْأَمَالِ مَتَحَرِّكَةً بِعَوَائِدِ صَلَاتِهِ ، جَازِمَةٌ بِحَصُولِ رَوَائِعِ
إِحْسَانِهِ وَهَبَاتِهِ ، وَكُتِبَتْ رِسَائِلُ الْأَشْوَاقِ إِلَى حَضْرَتِهِ السَّعِيدَةِ ، وَأُودِعَتْ فِي صَدْرِهَا هَذِهِ الْقَصِيدَةُ ،
صَوَرَتِهَا : (الْكَامِلُ)

مَا مَصْرُ بَعْدَكَ مَنْزِلًا يُسْتَطَيَّبُ يَا مَطْلِبًا مَالِي سَوَاهُ مَطْلَبُ
أَضْحَى لَهَا مِنْ بَعْدِ أَنْسِكَ وَحَشَّةُ وَلَقَدْ عَلَاهَا مِنْ فِرَاقِكَ غَيْهَبُ
وَرِيَاضُهَا حَلَفَتْ يَمِينًا أَنَّهَا مَذْفَاتٌ فَيُضُّ نَدَاكُمُ لَا تُعْشِبُ
قَدْ زَالَتْ رَوْنَقُهَا وَكَادَتْ أَرْضُهَا مِنْ بَعْدِ هَاتِيكَ الْغَضَارَةَ تَجْدُبُ
وَالنَّيْلُ قَدْ عَدِمَ الْوَفَاءَ وَبَعْدَكُمْ قَدْ غَاضَ مِنْهُ الْمَاءُ وَلَمْ يَكُ يَعْزُبُ
يَا فَاضِلًّا فَاقِ الْمَوَالِي عِلْمُهُ وَكَمَا أَلَّهُ فَهُوَ الطَّرَازُ الْمَذْهَبُ
مَاذَا يَقُولُ الْفَاضِلُونَ وَإِنْ هُمْ فِي مَدْحِ ذَاتِكُمُ الشَّرِيفَةِ أَطْبَعُوا

(١) يَا سَفْحُ : رَوَايَةٌ ر ، وَفِي غَيْرِهَا : بِالسَّفْحِ

(٢) سَفْحُ الْعَيْنِ : رَوَايَةٌ ع ، وَفِي غَيْرِهَا : سَفْحُ الدَّمْعِ

(٣) نَظَرَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنِّي أَلْقَيْتُ إِلَيْكِ كِتَابَ كَرِيمٍ﴾ (النمل : ٢٩)

(٤) فَأَنْشَدَتْ : رَوَايَةٌ ع ، وَفِي النُّسخِ الْآخَرَى : فَأَنْشَدَ

(٥) الْبَيْتُ لِيُونُسَ بْنِ مَسْرَةَ الدَّمَشَقِيِّ مِنْ عِبَادِ أَهْلِ الشَّامِ ، أَدْرَكَ مَعَاوِيَةَ وَقُتِلَ سَنَةَ ١٣٢ هـ عِنْدَ دُخُولِ الْعَبَّاسِيِّينَ دِمَشْقَ ، انْظُرْ :

ابْنُ سَعْدٍ ، كِتَابُ الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى (لَيْدَن) ١٧٠ : ٢ / ٧ وَحُلِيَّةُ الْأَوَّلِيَّةِ ، ٥ : ٢٥٠-٢٥٣ وَأَيْضًا حَجَرٌ ، تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ

(حَيْدَرُ آبَادِ الدُّكْنِ) ١١ : ٤٤٨ - ٤٤٩ وَوَرَدَ الْبَيْتُ فِي رَبِيعِ الْأَبْرَارِ لِلزُّنْخَشَرِيِّ ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدٍ سَلِيمِ النُّعَيْمِيِّ

(بَغْدَادُ ، ١٩٧٩-١٩٨٠) ١ : ٥٥٨

(٦) ر : حِينَئِذٍ الْحَنِينُ

تتنافسُ الأمصارُ فيك فأنت كالـ
سعدت بروسة فيكم فلذا غدت
كنت النظام لمصرَ أما بعدكم
فلكمُ عمرت جوامعاً ومساجداً
رسلكت فيها مسلكاً بالعدل لم
وأزلت فيها المنكراتِ بهممة
لا تختشي في الله لوممة لائم
لم أنس في مصرَ العتيفة كسر ذا
لولا الزيادة في الغلو لقلتُ كما
قد شبّه المملوكُ حالة جريه
ما زالت القتلى تمجّ دماءها (٢)
وأصابعُ المقياس كم قد عاينتُ
لم أنس فيه لذة العيش الذي
حيث الصفا وافٍ ومجلسُ أنسنا
والفلكُ تجري في جوانبِ روضة
فكأنها هي جنة من تحتها الـ
والله والله العظيم وحقّ من
ما لذّي من بعدكم عيش ولا
ما يذكر المملوكُ ساعة بينكم
قد كنتُ من ألم الفراقِ محاذراً
حتى سقاني الدهر (٥) من ألم النوى
ما ذا ولا هـذا عجيبٌ إنما
خلفتُموني في الديارِ مضيعاً
فكأنني في موقفِ الأعراف لا
قد صرت لا من هؤلاء وهؤلاء
لولا رجائي أن أيامَ النوى

غيث الذي ان حلّ أرضاً تخصب
تزهو على كلّ البلادِ وتعجب
فلها وعمرك حالة لا تُعجب
فيها وقد كادت تزول وتخرّب
يسلكه قبلك في القضاة (١) مُهذّب
مقرونية بعناية لا تغلب
أبدأ وتخشى بالاله وتزهب
ك الخمر حيث جرى يسبح ويسكب
د الخمر للبحر المعظم يغلب
فيه بما يحكيه شعراً يُعرب
وتمامه (٣) عن علمكم لا يغرب
منك الأيادي فضلها لا يُحجب
مرّت حلاوتها وزال الطيب
صافٍ وحيث الوقت وقت طيب
طوراً تجيء بنيا وطوراً تذهب
أنهار تجري في السرايا وتسكب
ضمت جوارحه الشريفة يثرب
قلبي يسر ولا صفوا لي مشرب
الآ ويسرسل دمعاه يتسكب
في كل وقت خائفاً أترقب (٤)
كأساً مذاق الصبر منها أطيب
حالي غدا من كل ذلك أعجب
صبّاً على فقد الأجابة أنذب
أناباً بالشام ولا لمصر أنسب
اني لأخشى أن أقول مذبذب
كسحاب صيفٍ عن قريب تذهب

(١) القضاة : رواية ع ر ، وفيها عداها : القضاء

(٢) قد مرّ هذا التضمين من قبل

(٣) ع ر ط : وتامها

(٤) البيت سقط من ر ، وقوله «خائفاً أترقب» تعبير قرآني (انظر سورة القصص : ١٨ ، ٢١)

(٥) ع : البين

لقضيتُ من الم الفراقِ وعـاينت
يا جيرةً مالي سـواهم مطلبُ
عطفاً على من بات فاقِدَ إلفِه
اني وان بعـدت ديارِ عنكم
فعليك مني ألفُ ألفِ تحيةٍ
لا زالت في أفقِ المعالي طالـعاً
ومحل أنسك رائقاً في بهجة
ما دمتُ في حُسنِ ابتداءِ مدحكم

عيناى أن السـروح مني تُسَلَبُ
كـلاً ولا لي عن حماهم مـهـرب
ولـه بقيـةٌ مـهـجـةٌ تـعـذب
لا بد أن يفـي الزمـانُ فأقرب
ولك الدعاءُ مقرر ومـرتب
وشموسُ فضلك في العلى لا تغرب
ومنـاهل العلماء عندك تعذب
أشـدو وفي حـسن الختام أشـببُ

وشفعت ذلك بقصيدة لقاضي العساكر (84) المنصورة، لا زالت ألوية فضله^(١) على العلماء منشورة، صورتها : (الطويل)

يقبل أرضاً للجباه مساجدُ
محبٌ لكم من شكره قد تعلّمتُ
ولكن له شوقٌ تزايد حـدّه
ونازعه حظُّ تقاعس عن قـلّ
وقد قذفته واستطالت يد النوى
وقد صار في أقصى الصعيد دياره
وليس له فيها أنيسٌ مُذاكرٌ
ويقر فيها نـشـره ونظامه
فعامله بالإغضا عن السهو إنه
وطال اغترابي عن حمى قد عهدته
بـلاد بها نيطت عليّ تمائمى^(٣)
وقد طال هذا الفصل بيني وبينهم
وما اخترت أن أهدي قريضي لبابكم
لأنى في نظم القصائد بـاقل
ولكن دهرراً أـجـأتني صروفه
وما ذا عجبٌ إن ذا الدهر طبعه
ويحسبني مـولاي أنى منهم

مواقفها للسائلين مقاصدُ
حقيقاً بأن تثني عليك المحامد
ونارٌ جوى من حرّها تتصاعد
يكابده في دهره ويكايـد
وأقعد دهرٌ خصيمٌ معانـد
وما زال للأجباب عنه يباعـد
بـعلم وتـنـسى في حماه الفـوائد
لهذا أتاكم شعره وهو بارد
لهيتكم في جبهة الطرس ساجـد
وقد عمرت بالفضل فيه المعاهد^(٢)
وفارقني فيها وليدٌ ووالـد
فهل صلةٌ من نحوكم وعـوائد
وعلمي به في سوقكم وهو كاسـد
وأنت يا قسّ الفصاحة ناقد
ونقصانٌ حظي قد بدا يتقاعـد
يعاكس أرباب العلى ويعانـد
لذاك غدا في روم نقصي يـراود

(١) فضله : رواية ع ك ر

(٢) ظل ومتن ك : المحامد

(٣) الشطر تضمين من قول لأعرابي مرّ فيا تقدم

وليس على التحقيق لي منه منصفٌ سوى حضرة المولى الذي فاق من مضى وأجمع أهل العصر أن علوه وأعني به مولاي قاضي عساكر وليس يزيد المرء قدراً ورفعته فلا زلت كنزاً للعلوم ومصداً ودُم أبداً في رفعة وسيادة

ولا لي في التخليص منه مساعداً أقراً بهذا خصمته والمعانداً لمفرده في جمعها وهو واحد أخا الفضل بل للعلم أصل ووالد اطالة وصافي وفيه شواهد وطبقت لأهل العلم منك الموارد مدى الدهر ما دام السهي والفراق

ثم أرسلت الرسول وأنا مستشرف استشراف الطالب، ومشتوف له تشوف الطامع الراغب، فلعله يأتي «بسلطان مبین»^(١)، أو يرجع «من سبأ نبأ يقين»^(٢).

فلما كان بتاريخ أوائل ذي القعدة الحرام^(٣) سنة ثمانين وتسعمائة، ورد الخبر بأن الصدقات الكريمة السلطانية، أنعمت على الفقير بتبديل قضائه بقضاء القدموس (85) المحمية، فسررت بهذا البذل حيث تضمن عطف الجوار^(٤)، وحدث الله تعالى على قرب الديار.

ثم توجهت الى القاهرة المعمورة. فأتيتها في أواسط الشهر المذكور من السنة المذكورة، ودخلتها دخول مستوحش لفراق ما كنت أعهده في زمن مولانا وولي نعمتنا جوي زاده أفندي من الأنس فيها، وتذكرت تلك الليالي الماضية في خدمته التي لا يرجى عود ماضيها. ثم قصدت السلام على قاضي قضاتها، وحاكم شرعها بل عين حياتها، وهو اذ ذاك فخر الموالى الاعتبارين، وصدر الأفاضل المتبحرين، رمضان أفندي الشهير بناظر زاده (86)، أدام الله تعالى فضله وزاد إسعاده، وقد كنت ألفت بتلك^(٥) الديار منزلاً، لمولانا المشار اليه أولاً، أدام الله تعالى له الانعام، فلما دخلتها «وما أهلها الأهل الذي كنت أعهد»^(٦) أنشدت قول القائل: «أما الخيام»^(٧) ثم أقمت في البلد المذكور^(٨)، الى تمام السنة المزبورة، أنتظر قافلة تسافر إلى تلك الديار، لأعزم معها

(١) من الآية ﴿لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحته أو ليأتيني بسلطان مبین﴾ (النمل : ٢١)

(٢) من الآية ﴿وجئتك من سبأ نبأ يقين﴾ (النمل : ٢٢) وعند هذا الحد تقف النسخة ر

(٣) الحرام : تفرد بهاع

(٤) يستعمل «البذل» و «عطف الجوار» على سبيل السورية

(٥) ظ : في تلك

(٦) ع : أعرف، وهذا شطر من بيت شعر بهاشع وهو:

فما الناس بالناس الذي عهدتهم ولا اندار بالدار انسي كنت أعرف

(٧) من بيت شعر ورد بهاشع كـ ، وهو:

أما الخيام فانها كخيامهم وأرى نساء الخي غير نسائها

والشعر لعلي بن أحمد الفاي (بالفاء)، انظر معجم الأدباء ١٢ : ٢٢٩ - ٢٣٠

(٨) السبب : المذكور

إلى التسيار، فلم يتفق في تلك الأيام سَفَرُ قافلة أصلاً، وكان توجهي بالسرعة إلى القضاء أمراً مهماً لا يحتمل تراخياً ومهلاً، فعنَّ لي أن أسافر إلى تلك الديار بحراً، وكنت أقدم للسفر رجلاً وأوخر أخرى، إذا^(١) تذكرت قول القائل المشهور، «أحجمتُ وكان عندي من مراكبه نفور»^(٢)، وإن تيمنت بالآية الكريمة أقدمت وسألت الله تعالى تيسيرَ الأمور. فعند ذلك قدَّمت مقدماتِ الاستخارة، واستخرتُ الله تعالى الذي ما خاب من استخاره، فشرح الله تعالى للسَّفر في البحر صدري، وسألتُه عند ذاك تيسيرَ أمري، وتوجهت من القاهرة المحمية في أوائل المحرم الحرام، وأتيت إلى محمية دمياط وأقمتُ فيها^(٣) لانتظار سفر المراكب عشرة أيام، وعندني إلى الأحباب من شدة الشوق ما يمنعني القرار، ثم اقتحمتُ من قَرطِ الأشواقِ لجج البحار، مع أنني كنتُ أهابُ البحر واستهوز. أن اركب لججه، أو أصعدَ في أمواجه العالية دَرَجَة. وركبت في سفن المحبة يسيرها هوى الشوق المعطر بعبر شذاها، وتلوتُ متيمناً ﴿باسم الله مجراها ومرساها﴾ (هود : ٤١) وسرنا بنية خالصة وعزم صحيح، وصرنا نرضى من الأيام بالريح^(٤) فلما كان بتاريخ^(٥) عشري المحرم الحرام أشرفنا على طرابلس المحمية فأعلنَّا بحمد الله سبحانه وشكره وتلونا: ﴿ان يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ (الشورى : ٣٣) ودخلنا البلدة المذكورة وتشوقنا لها بازدياد، فوجدناها بلدة لم يُخلَقْ مثلها في البلاد^(٦)، وألفيناها مشحونة ظرفاً ولطفاً، ونظرنا من محاسنها ما يعجز عن حصره اللسان ولا يستطيع له وصفاً، وجعلناها لهذا المطاف ختاماً، وأقمنا بها يَومَيَاتٍ بل أياماً. وكنتُ حال دخولي إلى البلدة المذكورة متشوقاً إلى من أسأله عن أحوال الديار، ومتلفتاً إلى من ينبئني بأخبار تتضمن المسار، متمثلاً بقول القائل : (الطويل)

ألا هل أرى مثلي كئيباً أرسلُ به يسائلني عن محنتي وأسائلُ به
فاتفق أن صادفتُ بها فخرَ الأحباب والأدباء، وقدوة أهل الدخول والنجباء، سيدي محمد بن الفراء
الدمشقي، وكان أتى صحبة الوالد من حماة إلى القدموس وأقام معه بها من الزمان برهة،

(١) ظ ل : اذ

(٢) هنا بهامش ع ك بيتان وهما

خلقت طيناً وماء البحر يتلفني وعند قلبي نفور من مراكبه
فالبحر ليس رفيقاً بالرفيق به والبر مثل اسمه بر مراكبه

(٣) فيها : رواية ع وفي غيرها : بها

(٤) بهامش ع ك بيتان إزاء هذا الموضع وهما :

ركبت في البحر شخراً ورأى بلدي لحاجة أوجبت في البحر تسريح
يا دهر جدي بريح منك طيبة قد صرت أرضي من الأيام بالريح

(٥) انفردت بها ع

(٦) أشار إلى الآية القرآنية الكريمة ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ (التجوير : ٨)

وأتى طرابلس المحمية بقصد السير والنزهة ، فاستخبرته عن الأحوال ، وسألته عنها بالتفصيل والإجمال ، فكان يخبر سلامة الأحياء نعم مبشر وبشير ، ووجدت عنده من كل شيء خبراً ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ (فاطر : ١٤) فحرّك ما عندي من سواكن الأشواق ، وكادت عوامل المحبة تجذبني الى نحو الديار بالأطواق . ثم فارقت البلدة المذكورة في عاشر شهر^(١) صفر الخير ولست لها قالية^(٢) ، ورحلت عنها لا راغباً عنها ولا سالياً ، ولكن لما قيل : (الوافر)

إذا دنت المنـازلُ زاد شـوقي ولا سيمًا إذا دنت الخيـامُ
فلمح العين دون الحي شهرٌ ورجع الطرف دون الشهرِ عام

ثم أتيت الى محمية القدموس في ثالث عشر الشهر المذكور^(٣) ، وعندي من الشوق الى الوالد والولد ما لا تحويه السطور ، فانه قد طال مني هذا الاغتراب ، وصَبَّ النوى من أليم هذا الفراق سوط عذاب ، وقذفتني يدُ البعد عنهم منذ ثلاث سنين ولن أبرح الأرض حتى يحكم الله بالاجتماع وهو خير الحاكمين : (الطويل)

وقد يجمعُ الله الشَّيتين بعـدما يظنَّانِ كلَّ الظن أن لا تـلاقيا^(٤)
فسجدت لله تعالى شكرًا ، وحمدته على هذه النعمة الكبرى . ثم ان سيدي محمد المذكور تخلف بعد الفقير في طرابلس المحمية لقضاء الوطر من التنزه والسير ، ووعد أن يجيء إلينا بعد عشرة أيام لا غير ، فمضى له أربعون يوماً^(٥) وهو مقيم في البلد المذكور ، مستغرق في السير والحبور ، فكتبت له للمبادرة بالمجيء مكاتبةً وجهزتها مع الرسول ، وضممتها أشياء من مصطلح أهل الدخول . واخترعتُ أحد ضربى الاستخدام في لفظ النوى على وجه تشكره الأسماع ، وأوقعته فيه مع تسمية النوع أحسن ايقاع ، صورتها : (البسيط)

يا من سما في سماء اللطف فوق سماء لك الأفق محيى ذوي الألباب بالطرب
نقل مقامك ايقاعاً على رملٍ وإن تشأ دارجاً تسعى على خب^(٦)

ينهى سلاماً لا يُحدّ ، وثناء لا يعدّ ، ويشرح ما عنده من الشوق الذي يعجز عن حصره الطوق ، ويشكو من نواك الذي يشكوه سمع أهل الذوق ، ويستخدم في ابلاغ سلامه اليكم نسيم الصبا ، وكلما سار ركب من العشاق هام قلبه اليكم وصبا ، ولم يزل يذكر أنسكم في كل

(١) تفرد بها ع

(٢) ازاء هذا الموضوع بيت شعر في ع ك :

فوالله ما فارقكم قالياً لكم ولكن ما يقضى فسوف يكون

(٣) ثم . . . المذكور : سقط من ظ

(٤) البيت لمجنون ليلي ، انظر ديوانه : ٢٩٣

(٥) يوماً : سقطت من ظ

(٦) ظ : جنب

مقام، وان سكن ما عنده من الشوق تحركه عوامل الغرام، وانه لا قدرة للمخلص على هذا النوى، وبيننا وبينك موعدٌ لن نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى^(١)، ولم نزل نعلل النفس بعدكم من حين الى حين ولا يخفاكم أن مدّة الوعد كانت عشراً وقد جاوزت الآن حدّ الأربعين^(٢). وقد أرسل الفقير إليكم حاملها ليكون لكم كالرفيق، وعينه ليجيء في خدمتكم وعينه نحو الطريق. فأنعم يا مولانا بالبدار، فإن ساعات السرور قصار، والسلام في المبدأ والختام.

ثم ان المشار اليه قدم علينا بعد أيام، وهو ينشد في هذا المقام : (الوافر)

كُتِبَ إِلَى تَرْغَبٍ فِي حَضْرِي وَرَبُّ الْفَضْلِ دَعَاؤُهُ مُجَابُ
فَقَبَّلْتُ الْكِتَابَ وَقَلْتُ طَوْعاً لِأَمْرِكَ سَيِّدِي وَأَنَا الْجَوَابُ

ثم عرضت عوارض اقتضت إقامة الفقير في القضاء بعض أيام، وعنده الى حماه^(٣) ما لا يُحْصَى من الشوق والغرام. فان الفقير لم يبين عنها مثل هذه الينونة الكبرى^(٤) ولم يفارقها مثل هذا الفراق، ولم يطلّقها ثلاثة أعوام إلا هذا الطلاق. ثم إني أقمت في القدموس مدة، وراجعت حماي بعد اذ^(٥) مضى لي^(٦) ما يزيد على ثلاث سنين في العدة، ودخلتها في سنة إحدى وثمانين في غرة ربيع الثاني، وطربت عند هذا^(٧) الدخول ولا كطرب المثاني^(٨)، وقرّرت العين منى برؤية حماي وأحبائي، وجمع شملتي بإخواني وأصحابي، وحمدت الله تعالى على طول الأعمار، والتردد الى الآثار، وطويت شقة البين وألقيت عصا التسيار: (الطويل)

وَأَلْقَيْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْناً بِالْأَيَابِ الْمَسَافِرُ^(٩)
وَأَقَمْتُ فِي الْحَزْزَةِ الْمَذْكُورَةِ بَعْضَ أَيَّامٍ، وأنا بفرط الأشواق الى الأحباب بدمشق الشام : (الطويل)

(١) إشارة الى الآية القرآنية ﴿فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى﴾ (طه : ٥٨)

(٢) فيه إشارة الى قول الشاعر وهو بهامش ع ك :

ومــــا اذا يبتغي الشعــــر إرأء منــــي وقد جــــاوزت حــــدّ الأربــــعين

والبيت لسحيم بن وثيل الرياحي، من قصيدة له هي الأولى في الأسمعيات (الطبعة المصرية)

(٣) يعني مدينة حماة

(٤) الينونة الكبرى تكون في الطلاق، ولا رجعة فيها. ويعني هنا مفارقة طويلة الأمد

(٥) اذ : في ع، وفي غيرها أن

(٦) لي : سقطت من ظ

(٧) هذا : سقطت من ظ

(٨) المثاني والمثالث : درجات في العود

(٩) يأتي هذا البيت في قصيدة للمعقري بن أوس البارقلي حليف بني شهر بن عامر، انظر شرح النقائض تحقيق A.A, Bevan

(نسخة مصورة عن طبعة ليدن، ١٩٠٥ - ١٩١٢)، دار صادر، بيروت، ٢ : ٦٧٦ وقد نسبته الجاحظ في البيان والتبيين، (تحقيق

عبد السلام هارون) ٣ : ٤٠ للمضرس بن ربعي بن لقيط الأسدي، وهو شاعر أنوي كان معاصراً للفرزدق.

وإنَّ امرءاً في بلدةٍ نصفُ قلبِهِ ونصفُ بأخـرى أنه لصبورٌ
وكنْتُ في ذلك الحال، أتمثِّلُ بقولٍ من قال : (الطويل)

أَحِبَّابُنَا وَاللَّهِ مَنْذُ غِبْتُ عَنْكُمْ
وَوَاللَّهِ مَا اخْتَرْتُ الْفِرَاقَ وَإِنَّمَا
إِذَا شَامَ بَرَقَ الشَّامُ طَرَفِي تَدَافَعْتُ
أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ يَعُودُنْ شَمْلُنَا

ثم غلبني الشوق، وكاد يجذبني إلى أحبابها بالطوق، والله درُّ القائل : (الكامل)

لِي نَحْوُ رُبْعِكَ دَائِمًا يَا جَلِّقُ
اشْتِاقُ مِنْكَ مَنْزِلًا لَمْ أَنْهَـا
وَقَفْتُ عَلَيْكَ لَـذَا التَّأْسُفِ وَالْبُكَـا
أَدْمَشْتُ لِابْعَدْتَ دِيَارُكَ عَنْ فَتًى
أَنْفَقْتُ فِي نَادِيكَ أَيَّامَ الصَّبَا
وَرَحَلْتُ عَنْكَ وَلِي إِلَيْكَ تَلَفُّتُ
فَاعْتَضْتُ عَنْ أُنْسِي بِظِلِّكَ وَحُشَّةُ
فَلَبِسْتُ ثَوْبَ الشَّيْبِ وَهُوَ مُشَهَّرٌ^(٢)
وَلَكُمْ اسْكُنْ عَنْكَ قَلْبًا طَامِعًا
وَلَكُمْ أَحَدْتُ عَنْكَ مِنْ لَاقِيَتُنَّ
فَتَوَجَّهْتُ إِلَيْهَا وَدَخَلْتُهَا فِي ثَانِي عَشْرِي شَهْرٍ^(٣) ربيع الآخر، وقَرَّتْ العينُ برؤيةِ أحبابها : (الطويل)

* كما قرَّ عينا بالأياب المسافر *^(٤)

وحللتها وأنا متشوّف إليها ولا تشوّق المحبَّ إلى لقاء المحبوب، وأقمت بها أياماً * لا يمستنا فيها
نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ * (فاطر : ٣٥) وحمدنا الله تعالى أن أحلَّنَا دَارَ الْأَحْبَابِ، وأذهب عنا
الْحَزْنَ^(٥)، وجمع شملنا بهم كروحين في بدن^(٦). واغتنمنا مصاحبةَ الإخوانِ أياماً^(٧)، وقضينا في
خدمتهم ليالي ما كانت إلا أحلاماً، مرت لنا معهم بلذيد المصاحبة والمسامرة، ولم يكن عيبها إلا أنها
متقاصرة : (الكامل)

(١) ل ومتن ل : أكابده

(٢) مشهر : سقطت من ظ

(٣) شهر : انفردت بها ع

(٤) إشارة إلى بيت شعر مرّ تخريج

(٥) إشارة إلى الآية ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ (فاطر : ٣٤)

(٦) بهامش ك، بيت من الشعر (يخط مختلف عن خط المتن)

روحاً روحاً وروحاً روحاً من رأى روحين حلاً في بدن

(٧) في متن ك : زماناً، وصوبها في هامش

إن الليلي لأنام مناهلٌ تُطوى وتُنشر دونه الأعمار^(١)
 فقصارهن مع الهموم طويلاً وطولهن مع السرور قصاراً
 وأوقفتهم على ما كتبته من رحلتي صحبة قاضي القضاة جري زادة أفندي إلى القاهرة المحمية، وما
 أودعته فيها من الألفاظ الباقلية، فصادت في سوق فصاحتهم نفاقاً وسعراً، وشرقوها من إنشائهم
 بتقاريط نظماً ونثراً، سأكتب إن شاء الله تعالى تلك التقاريط مع ما كتبته لبعضها من الجواب في أواخر
 الرحلة الرومية^(٢) إذا آلت إلى التمام، ليكون ذلك آخر ما يعيه السمع منها ويصير^(٣) ذلك لها حُسن
 الختام.

ثم اني أقمت في دمشق^(٤) المحمية أياماً أدت فيها واجب الصلة، واقتضى الحال التوجه إلى
 القضاء^(٥) لنظر المصالح بالعجلة. وصرت لعنان العزم إلى جهة القضاء ثانياً، وأتيت إلى خدمته لا
 متساهلاً ولا متوانياً، واستمررتُ أفصل الأحكام الشرعية على الوجه المسدد المحكم، إلى خامس
 شهر^(٦) شعبان المكرم. وكان في أوائل شهر ربيع الأول لما ورد الخبر بأن مولانا فخر الموالى المتبحرين
 محيي الدين أفندي معلول زادة^(٧) أدام الله تعالى فضله وزاد اسعاده، تولّى قضاء العسكر المنصور،
 حصل لنا غاية الفرح والسرور، وأنشدنا: (الكامل)

ورد البشير^(٨) بما أقر الأعين وشفى النفوس فنلن^(٩) غايات المنى
 وتقاسم الناس المسرة بينهم قسماً فكأن أجلهم قسماً أنسا

وكنا ندعو الله بذلك آناء الليل وأطراف النهار^(١٠)، لما لنا من سابق المعرفة والعبودية مع جنابه لا
 زال عالي المنار، فان قاضي العسكر السابق لم يكن له معرفة بهذا العبد الفقير، بل كان حاله عنده في
 مقام التنكير. وأمّا مولانا حفظ الله تعالى جنابه الشريف، فالعبد عنده في مرتبة الضمائر من مراتب
 التعريف، خصوصاً وقد كان آخر اجتماعه في طريق مصر بخدمته العلية، صحبة مولانا جوي زادة
 أفندي في ذلك المجلس الخاص الذي ذكرناه في أوائل الرحلة المصرية. وكان العبد يترجى في زمنه
 انترقي إلى أسنى المراتب، والترقى في أعلى المناصب. فلما سمعت بتوليته قلتُ لنفسي: هاليلك قد
 أقمر، وفجرُك قد أسفر. وكتبتُ بعد أيام مكاتبة^(١١) وعبودية إلى رفيع جنابه، وأرسلتها مجردة

(١) أورده الثعالبي في الإيجاز والاعجاز (نشر اسكندر أصف) : ونسبه إلى عتاب بن ورقاء، ولم يورد البيت الثاني.

(٢) الرومية : سقطت من ظ

(٣) ظ : ويصحبه

(٤) ظ : بدمشق

(٥) ظ : للقضاء

(٦) شهر : من ظ وحدها

(٧) انظر التعليق رقم : ٥

(٨) ظ لك : السرور

(٩) فنلن : رواية ع، وفي ما عداها : فنلت

(١٠) ناظر الآية : لم يمت قلبك ليلى يسبح وأحرف النهار (خطه : ١٣٠)

(١١) مكاتبة : انفردت بهاع

مع بعض خواص أحبابه، أسأل من تفضلاته تديل منصبي بمنصب هو خير، كما هو المأمول من كرمه حفظه الله تعالى من كل سوء وضير، وكنت متقرباً لما يرد علي من إحسانه أدام الله فضائله، وكان بقي لي^(١) من المدة العرفية قريب من سنة كاملة. فلما كان خامس شعبان المذكور ورد الخبر أنه من غير بدل وجّه منصب الفقير لرجل جاهل، ومن حلى الفضل والفضائل عاطل. فكنت كما قيل: (الطويل)

رفعت اليه أشتكى الجزم في الهوى وأعربت عن نصبي فوق لي الخفضا
وأضحيت منه خائب الآمال، وصار كحال أبي المرقال^(٢): (الكامل)

ان الغراب وكان يمشي مشيةً فيما مضى من سالف الأجال^(٣)
حسد القطاة فرام يمشي مشيها فأصابه ضرب من العقال
فأضل مشيتها وأخطا مشيه فلذاك كنيته أبو المرقال^(٤)

فتعجبت من هذا الفعل غاية العجب، حيث لم يكن لذلك أصل ولا سبب، وصرت من هذا الأمر أتعجب، ثم حملته على نظائره من تلقي المخاطب بغير ما يترقب. وقضية الحجاج مع القبعثري (٨٧) قضية مشهورة، وعند أهل البلاغة معروفة وغير منكورة. فحينئذ كنت في ذلك الدعاء كالباحث عن حتفه بظلفه^(٥)، والقاطع مارن^(٦) أنه بكفه. وظهر لي أني أصبت نفسي بسهمي وبذاقي أوهنت عظمي: (الكامل المرفل)

قومي هم قتلوا أميم أخي فإذا رميت يصيني سهمي
فلئن عفوت لأعفون جلالاً ولئن جئت لأوهن عظمي^(٧)

وصار مني ضرري ودائي: (الوافر)

* وكان اذن على نفسي دعائي *^(٨): البسيط

وكنت كالمتمنى أن يرى قمراً من السماء فلما أن رآه عسي

(١) ظ: لنا

(٢) أبو المرقال: كنية من كنى الغراب، انظر كمال الدين محمد بن موسى الدميري (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) حياة الحيوان الكبرى، (الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٧٠) ٢: ١٠١.

(٣) حياة الحيوان: الأجيال

(٤) هذه الأبيات أوردها الدميري والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى، ٩: ٣٣٣ والتويري في نهاية الأرب ٣: ٢٨٧

(٥) هذا مثل، انظر في شرحه مجمع الأمثال للميداني، ولسان العرب (محدث)

(٦) مارن الأنف: ما لان منه منحدرأ عن العظم وفضل عن القصبة

(٧) البيتان وردا بهامش ع، وليسا في المتن، وقد صدرهما في الحاشية بقوله «أخذه من قوله» وهما من الحماسية رقم: ٤٥ عند المرزوقي

(٨) هذا شطر بيت، وقد كتب ازاء بهامش ع:

سألت الله أن تسمو وتعلو علو البدر في كبد السماء
فكأن إذن على نفسي دعائي فكموت عني

فلما بدا لي منه ما رأيت ، علمت ان طبعه استحال ، وتذكرت قول من قال : (الوافر)
 وكلّ ولاية لا بدّ يوماً مغيرة الصديق على الصديق
 وتذكرت قولهم : « ارض من صاحبك إذا ولي ولاية بعشر ودّه قبلها » ، كما شاع ذلك في الأتوال
 السائرة ، وعلمت أن ودّه صار كودّ من « خربت بيتاً مهاجرة »^(١).

ثم فارتت أهالي ذلك القضا ، وهم راضون مني كمال الرضا ، تأسفوا على عزلي تأسفاً كثيراً ، وأجروا
 على فراقني دمعاً غزيراً ، فعند ذلك حمدت الله تعالى على السراء والضراء^(٢) وقلت
 ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾ (الطلاق : ٧) وقلت مضمناً : (البيسط)

ان كان منصب حُكْمِي زال في زمنٍ عني فمَنْصِبُ فَضْلِي الدهر لم يزل
 « وان علاني من دوني فلا عجبٌ لي أسوةً بانحطاطِ الشمسِ عن زحل »^(٣)

ثم توجهت لتسليم ما كنتُ جمعته من مالِ العوارض لحضرة الدفتردار بدمشق الشام فأتيتها في
 أوائل شهر رمضان ، فما اتفق لي أني اجتمعت في مجلس المحاسبجي بمحيي أفندي القاضي يومئذ
 بحوران ، فوقع في المجلس حجة ممضأة بامضاء الفقير فيها ما لفظه « القاضي بالقدموس المحمية »
 فاستبعد القاضي المذكور دخول الألف واللام على لفظ القدموس وأنكر القضية ، وقال إن القدموس
 من الأعلام ، وانه مما يمتنع أن يدخله^(٤) اللام ، فخلتُ انه في المقام الابتدائي من الإنكار ، وأجبت عن
 اعتراضه^(٥) بما ذكره علماء العربية على وجه الاختصار ، مقتصرأ على قدر الحاجة حذراً عن اللغو في
 الكلام ، واستغنيت عن تأكيد الحكم بمؤكدات حسب ما يقتضيه المقام ، فكأن المشار إليه لم يقنع بما به
 أجيب ، وذكر هذه الواقعة لبعض الافاضل زاعماً أني مخطيء وأنه مصيب . فلما تحققت أنه مصرٌّ على
 إنكار ما قلته تصرّحاً^(٦) وضمناً ، وأنه وصل في مقام الإنكار إلى مرتبة النفي والاستثنا^(٧) ، اقتضى
 الحال أن يخرج الكلام على مقتضى الظاهر ، ويؤكد الحكم بما يسمح الفكر الفاتر والذهن القاصر .
 وكتبْتُ في ساعةٍ من ذلك^(٨) النهار رسالةً مختصرة ، بدیعةً محررة ، أولها^(٩) : باسمك يا

(١) من قول الشاعر ، وهو ثابت بهامش ع ك :

ان التي خربت بيتاً مهاجرةً بحومة الجند غالت ودّها غول

(٢) السراء والضراء : تعبير قرآني ، انظر سورة آل عمران : ١٣٤

(٣) بيت من لامية العجم للطغرائي وقد مرّ ذكره ، انظر التعليق رقم : 22

(٤) ظ : يدخلها

(٥) ظ : اعتراضاته

(٦) ظ : صريحاً

(٧) بهامش ع ك اراء هذا : إشارة إلى قوله (إن أنتم إلا تكذبون)

(٨) ظ : تلك

(٩) ظ : منها

من تنزهه في فعله عن الاعتراض، وتقدس عن المحل في كل حال ومستقبل وماض^(١) وتوحد بقدموس^(٢) ذاته وصفاته عن الشبيه والنظير، وتعالى في ملكه عن المعين والظهير، صل^(٣) على سيدنا محمد أفصح من نطق الضاد، وعلى آله وأصحابه الأئمة، ما طلب العامل معموله، ورفع الفعل فاعله ونصب مفعوله. وخلاصتها أنه قال صاحب القاموس (88)، رحمه الله تعالى وأفاض عليه شآبيب مغفرة تسح وتوالي: القدموس كعصفور القديم، والملك الضخم والعظيم من الإبل، انتهى. أقول: فعلى هذا يكون القدموس من الأعلام الغالبة لأنه كان في الأصل لجنس القديم، ثم كثر استعماله لهذه البلدة المخصوصة قبل العلمية مع لام العهد ليفيد الاختصاص به وصار لكثرة الاستعمال لها^(٤) علماً، كما لا يخفى على ذي الفهم السليم. قال الرضي: ويسمى هذا القسم من العلم، العلم الاتفاقي فتكون اللام في مثله لازمة لأنه لم يصر علماً إلا مع اللام، فصارت كبعض حروف ذلك العلم كالنجم والبيت والمدينة حيث ما^(٥) غلب استعمالها على مدينة النبي ﷺ. فهي مشابهة اليوم للأمس، ومطابقة لها مطابقة الخمس للخمس. وذكرت فيها أموراً^(٦) اقتضى الشأن أن تذكر^(٧) لمناسبة المقام والحال رأيت أن ذكرها هنا برمتها غير مناسب، فان لكل مقام مقال^(٨)، فكانت الرسالة المذكورة دليلاً قاطعاً لكلامه، وحجة قائمة باسكاته وإلزامه.

ثم إنني أقمت في دمشق المحمية مدة وأنا معزول، وحدث في فكري التوجه إلى استنبول، وكنت بين إقدام وإحجام، وترددت في هذا الأمر بعض أيام، وتشاورت مع الأصحاب رفع الله تعالى لهم قدراً، فمنهم من مال إلى التحذير ومنهم من مال إلى الإغراء، وبعضهم رغبني وصوب رأبي وسدد، وبعضهم رهبني وانشد: (البيسط)

يا من غدا في طلاب العلم مجتهداً لم يشه عنه لا مال ولا ولد
لا تبسطن لتقليد القضاء يداً أيرتضي رتبة التقليد مجتهداً^(٩)

(١) ظ : كل مستقبل وحال وماض

(٢) ظ ل : بقدموس

(٣) زاد هنا في ظ لفظه الله

(٤) لها : منع وحدها

(٥) ما : سقطت من ع

(٦) ك : أمور

(٧) ما هنا ينتهي ما لدينا من ع

(٨) كذا هو والصواب : مقالا

(٩) اليتان لابن الوردي (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨) ذكرهما تقي الدين أبو بكر بن علي بن محمد بن حجة الحموي (ت ٨٣٧

هـ / ١٤٣٣ م) في خزانة الأدب وغاية الأرب : ٣١٣

فقلت : لئلا تم بواسطة هذا اللوم وسببه : (البسيط)

* لا بد للمرء من مالٍ يعيشُ به^(١) *

وأنشدته : (السريع)

يَا إِذَا الْـ____ أَسْبَحَ لِي لَأْتِيَا أَنْسَيْتَ مَـ____ قُدِّرَ فِي الْمَاضِي
أَنْ الْـ____ سَأَقْلَقَ لِي وَاعْظِيَا هُوَ الْـ____ صَيَّرَنِي قَـ____اضِي
وَاللَّهِ مَا اخْتَرْتُ سَـ____وًى وَصَالَهُ فَاخْتَارَ أَنْ يَعْكَسَ أَغْـ____رَاضِي
أَنْ كُنْتُ لَا تَرْضَى بِهَا قَدْ قَضَى إِنِّي بِهَا قَـ____دَرُهُ رَاضِي

على أن القضية ليسوا سواء ، فيهم من يأمر بالتقوى وينهى عن الفحشاء ، ويتجنب الباطل وأكل الرِّشَا^(٢) ، ومنهم دون ذلك واقعون في مهاوي المهالك ، نسأل الله تعالى أن يجنبنا عن هذا القبيل ، ويهديننا إلى سواء السبيل ، وإني بعناية الله تعالى وَمَنَّهُ الصمداني : (الوافر)

وَلَيْتَ الْحَكَمَ خَمْسَـ____اً وَهِيَ خَمْسٌ لَعَمْرِي فِي الصَّبَا وَالْعَنْفُوان
فَمَا وَضَعَ الْأَعْدَى قَدْرَ شَانِي وَلَا قَالُوا فَلَانٌ قَدْ رَشَانِي
وَكَانَ بَعْضُ الْأَصْحَابِ يَرْغَبُنِي عَنْ ذَلِكَ لَخَسَاسَةِ الشَّرْكَاءِ ، ويقول : كم من جاهلٍ نراه على هذا
المطلب منهمكا . وكان ينشدني في هذا المقام : (الوافر)

* إِذَا وَقَعَ الذِّبَابُ عَلَى طَعَامٍ^(٣) *

فكنت أنشده : (الوافر)

إِذَا شَـ____وَرَكْتَ فِي أَمْرٍ بَـ____دُونٍ فَلَا يَلْحَقُكَ عَارٌ أَوْ نَفْـ____وْرٌ
فَفِي الْحَيَاةِ يَشْتَرِكُ اضْطِـ____رَّاراً أَرْسَطَ الْيَسْرِ وَالْكَلْبُ الْعَقْـ____وْرُ^(٤)

ثم لما كانت فوائد التنقل والأسفار ، مما ملئت به بطونُ الأسفار ، ولله درّ القائل : (البسيط)

مَا دَامَتْ الْبَيْضُ فِي الْأَجْفَانِ مَغْمَدَةً فَمَا بَيَّنُّ لَهَا فِي الْهَامِ مَـ____نَ عَمَلٍ
وَفِي التَّنْقِلِ عَمَلٌ لِلْفَتَى وَعَمَلٌ لَمْ يَكْمُلِ الْبَدْرُ لَوْلَا كَثْرَةُ النُّقْلِ
وَالْمَنْدَلُ الرُّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطَبٌ وَقَدْ يَقْوُمُ فِي الْأَسْفَارِ بِالْجَمَلِ

(١) بهامش ك : تمامه : وداخل القبر قد يحتاج للكفن

(٢) ظ : ويتجنب من الفحشاء وكل الرشا

(٣) شطر بيت وتماه : رفعت يدي ونفسي تشتهيه

(٤) هنا ينقطع نص النسخة ظ وهذا البيتان ذكرهما الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات (مخطوطة البودلية باكسفورد رقم ٢٣١ من مجموعة ارش . سلد ، الورقة : ١٢٤) ونسبهما إلى الشاعر سعد بن عماد الصفي التميمي المعروف بحيص بيص ونصهما عنده :

إِذَا شَـ____وَرَكْتَ فِي حَالٍ بَـ____دُونٍ فَلَا يَغْشَاكَ عَارٌ أَوْ نَفْـ____وْرٌ
تَشَارَكَ فِي الْحَيَاةِ بَغِيرَ خُلْفٍ أَرْسَطَ الْيَسْرِ وَالْكَلْبُ الْعَقْـ____وْرُ

ولم يرد البيتان في ديوان احيص بيص

رأيت أن السفرَ إلى استنبول من الأمر المتعين ، والتوجه إليها من المهم اللازم البين ، فتعين عليّ حينئذ أن أنشيء رحلةً رومية ، وأكتبَ فيها بعضَ ما يقع من الحوادث اليومية ، بحيث تكون كالذيل على تلك الرحلة ، ومعطوفة عليها عطفَ الجملة على الجملة . وحيث اشتملت هذه على الشكاية من أحوال الزمان ، وتضمنت التوجع من تأخر الفضلاء في هذا الأوان ، والتأسف على حظ أهل الأدب ، وقد حيل بينهم وبين الأرب ، رأيتُ أن أسميها باسمٍ مناسبٍ مقتضى المقام والحال ، وأسميها بوسمٍ يستدعيه المقال ، فسميتها :

بَوَادِي الدُمُوعِ الْعَنْدَمِيَةِ بَوَادِي الدِيَارِ الرُّومِيَةِ

تعليقات

(1) جوي زاده : محمد بن محمد جوي زاده، قاض عثماني تولى قضاء دمشق الشام، وكان وصوله إليها خامس عشر صفر ٩٧٧ هـ / ١٥٦٩ م، وفي ختامها انفصل عنها عندما أعطي قضاء القاهرة وترقى في المناصب إلى أن أصبح مفتياً بالتخت السلطاني. وأثناء وجوده في دمشق أنقص من قيمة الرسوم التي تتقاضاها المحاكم عند تسجيل الحجج. وقد أخذ عن علماء دمشق كما أجازه الشيخ بدر الدين الغزي وكانت وفاته ليلة الخميس سادس جمادى الآخرة (٩٩٥ هـ / ١٥٨٦ م). انظر نجم الدين الغزي (١٠٦١ هـ / ١٦٥٠ م)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق جبرائيل جبور، المطبعة الأمريكية، بيروت (١٩٤٥ - ١٩٥٩) ٣ : ٢٧-٢٩، وصلاح الدين المنجد، ولاية دمشق في العهد العثماني، دمشق (١٩٤٩) : ١٦، وهو مذكور هنالك باسم : (محمد افندي جوي زاده).

(2) طائفة النصارى : انفردت نسخة (ط) بزيادة «من» (طائفة من النصارى) والأصوب : طائفة النصارى كما ورد في سائر النسخ، إذ الملاحظ من مراجعة دفاتر الطابو العثمانية أنها تسمي النصارى عامة «طائفة» وتشير إلى اتباع كل كنيسة بلفظة «جماعة» فتقول مثلاً في تعداد السكان رقم TD. 516 (بتاريخ ٩٧٠ هـ / ١٥٦٢ - ١٥٦٣ م) «جماعة ملكية من طائفة نصارى عددهم ٩٢ خانة و ٢٦ مجرد، وهكذا.

(3) فوري أفندي : هو أحمد بن عبدالله المعروف بفوري الرومي، عمل في مطلع حياته مدرساً في بروسه، ودرس في إحدى المدارس العثمانية، وكان شاعراً وله رسائل وتعليقات؛ عمل مفتياً في دمشق وأخذ عن عالمها الكبير الشيخ بدر الدين الغزي. وأعطى تدريس المدرسة السلبيانية بدمشق؛ ثم - كما يقول صاحب الرحلة - رافق قاضي دمشق للبحث عن «خبر الكنيسة» وما أحدثه النصارى من تجديد فيها، وتوفي في ختام شهر شوال ٩٧٨ هـ / ١٥٧١ م ودفن بترية القلندرية في مقبرة باب الصغير بدمشق. انظر الكواكب السائرة ٣ : ٦ (وقد أثبت المحقق اسمه «فوزي» بالزاي) والمولى علي بن بالي المعروف بمنق (ت ٩٢٢ هـ / ١٥٨٤ م)، العقد المنظوم في أفاضل الروم، دار الكتاب العربي، بيروت (١٩٧٥) : ٤٠٢-٤٠٣ وكتاب عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام لمحمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد المرادي، تحقيق محمد مطيع الحافظ ورياض عبد الحميد مراد، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٩ : ٣٣ - ٣٤ (واسمه فيه غوري) وكتاب ثريا محمد، سجل عثماني ياخوذ تذكرة - مشاهير عثمانية، نسخة مصورة عن طبعة إسطنبول (١٣٤١ هـ) أعيد تصويرها في مؤسسة :

(4) لوبية : قرية بناحية طبرية تبعد عنها إلى الجنوب مسافة ١٣ كم . كان عدد سكانها حسب إحصاء (١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م) ١٨ خانة و٣٢ مجرد ، وكانت الدولة تحصل عنها ضرائب على شكل مقطوع ما مقداره (٤٥٠٠٠) أقبه ، يضاف إليها رسوم معاصر مبلغ ٣٠٠ أقبه ورسم بادها ورسم غروس ٧٠٠ أقبه ورسوم على الماعز وخلايا النحل ٧٠٠ أقبه . انظر :

Wolf-Dieter Hütteroth and Kamal Abdul-Fattah, *Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the late 16th Century*, Erlangen, 1977, p. 187

وقسطنطين خمار: أسماء الأماكن والمواقع والمعالم المعروفة في فلسطين حتى العام ١٩٤٨ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢ ، بيروت (١٩٨٠) ، ص : ٢١٠ . وقد كانت لوبية إحدى المحطات على الطريق بين الشام والقاهرة ، وحول تلك المحطات انظر :

U. Heyd, *Ottoman Documents on Palestine 1552 - 1615*, (OUP) 1990, pp. 102 - 116, 128 - 138

(5) معلول زاده : محمد أفندي بن محمد معلول ؛ ولي قضاء دمشق الشام ٩٧١ هـ / ١٥٦٣ م ومن بعد تولى قضاء عسكر بلاد الأناضول سنة ٩٨٣ هـ / ١٥٧٥ م . وفي العام التالي أعطي نقابة الأشراف ، وفي عام ٩٨٧ هـ / ١٥٧٩ م أصبح قاضيا لعسكر الروملي ، ثم تولى منصب شيخ الإسلام ، وكانت وفاته سنة ٩٩٣ هـ / ١٥٨٥ م . انظر الكواكب السائرة ٣ : ٣٠ ، وولاة دمشق : ١٦ ، وثريا (المرجع السابق) ٤ : ١٢٥ .

(6) عيون التجار : من المنازل الرئيسية على الطريق بين دمشق والقاهرة ، تقع شرقي مرج ابن عامر بالقرب من جبل الطور . وكانت أيضا مركزا لتجمع قطاع الطرق والبدو والعصاة ، وكثيرا ما كانوا يتعرضون للتجار والمسافرين والحجاج في طريقهم إلى القدس ، لذا أمر السلطان سنة ١٥٨١ م ببناء خان هناك يحيط به أربعة أبراج ، وأمر بشحنها بجنود من دمشق بحيث يقيم في كل برج عشرة جنود من أجل الحماية والحراسة ، ويضاف إلى هؤلاء ثلاثون فارسا . كما أمر السلطان ببناء قلعة تتسع لمائتي أسرة . وتشير المصادر إلى أن عددا من كبار المسؤولين مثل حسن بك أمير صفد وعساف بك أمير اللجون قد شاركوا في أعمال تلك المنشآت ، انظر :

U. Heyd, *Ottoman Documents*, pp. 110 - 114

(7) كانت لدّ في القرن السادس عشر تعدد قرية في ناحية الرملة، والرملة تشكل جزءاً من سنجق (لواء) غزة. وحسب إحصاء ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٧م كان سكان لد على النحو الآتي. مسلمون ٢٤١ خانة ١٤ مجرد، ومسيحيون ٢٣٣ خانة. أما الضرائب التي تجنى منها فهي: ٨٠٠٠ أقة قيمة القمح المترجب جمعه. ٤٠٥٠ أقة قيمة الشعير.

وكان فيها سوق (بازار) يوفر للدولة ٥٠٠٠ أقة سنوياً على شكل رسوم. وتجد المعلومات الجغرافية العربية المتعلقة بلد في: الأب مرمرجي الدومنيكي، بلدانية فلسطين العربية، وقف عليها وفهرسها محمد خليل الباشا، عالم الكتب، بيروت، (١٩٨٧م) ص: ٢٩٩ - ٣٠٠ وانظر علي بن أبي بكر الهروي (٦١٨هـ/ ١٢٢١م)، كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل - طومين، منشورات المعهد الفرنسي بدمشق (١٩٥٣) ص: ٢٢.

(8) مشهد زكريا ويحيى: يذكر الهروي أن في سبسطية بدن يحيى بن زكريا وقبر أمه وقبر اليسع (الزيارات: ٢٣) ويورد مجير الدين الحنبلي (٩٢٣هـ/ ١٥٢٠م) في كتابه «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» (نشر مكتبة المحتسب) ٢: ٦٢ أن المشهد بذيل جبل طور زيتا، وكانت هنالك قبتان، قيل إن القبة الأولى كانت على قبر زكريا، والثانية على قبر يحيى. ثم يضيف إلى قوله: «ورأيت منقولا بخط بعض العلماء أن يحيى وزكريا مدفونان بذيل جبل طور زيتا، بمقابر الأنبياء... وقيل إن قبر يحيى وزكريا بقرب سبسطية من أرض نابلس، وقيل بجامع دمشق، والله أعلم». وانظر بلدانية فلسطين: ١٥٢، ٢٦٢ - ٢٦٣.

(9) مشهد معاذ: المعروف أن معاذ بن جبل رضي الله عنه، كان قد دفن في غور الأردن. انظر الهروي، الزيارات: ٣٧.

(10) ابن نباتة: أبو بكر جمال الدين محمد بن شمس الدين محمد بن محمد بن الحسن بن نباتة، ويقال له المصري تفرقة له عن ابن نباتة السعدي (شاعر سيف الدولة)، ولد في القاهرة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م، وزار دمشق وحلب، وحين حل في حماة عين له أبو الفدا صاحبها جراية شهرية. وفي عام ٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م عين بديوان إنشاء دمشق، وكان صديقا لصلاح الدين الصفدي وبينهما مراسلات ومطارحات، وقد عرف بشعره وبشرحه لرسالة ابن زيدون الهزلية في كتاب سماه «سرح العيون». وكانت وفاته في الثامن من صفر ٧٦٨هـ/ ١٤ تشرين الثاني ١٣٦٦م. انظر الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق هلموت ريتز، فيسبادن (١٩٦١) ١: ٣١١ - ٣٣١، وعمر موسى باشا، ابن نباتة المصري أمير شعراء المشرق، القاهرة (١٩٦٢م).

J. Rikabi, "Ibn Nubata", in *EL*, III, PP. 900 - 901

(11) جلق، حول دلالة استخدام «جلق» في العهد الإسلامية، لتعني الغوطة أو منطقة حوران المحيطة بالكسوة، أو للدلالة على دمشق. انظر :

N. Elisséeff, "Djillik", in *EI*², 11, P. 541

(12) الشيخ علي المالكي : يذكر الغزي اثنين بهذا الاسم، أولهما علي بن زين العابدين المالكي الذي أجازته أستاذه ناصر الدين اللقاني بالافتاء والتدريس، وكان متبحراً في علوم الشريعة؛ والثاني هو علي نور الدين الطحلاوي المالكي، وهو تلميذ اللقاني أيضاً، وقد أجازته أستاذه بالافتاء والتدريس كذلك، ولم يذكر وفاة أي منهما. انظر : الكواكب السائرة ٣: ١٩٥.

(13) القايتبائية : نسبة إلى السلطان المملوكي الجركسي البرجي الأشرف أبي النصر سيف الدين قايتباي المحمودي الظاهري (٨٥٢-٩٠١ هـ / ١٤٦٨-١٤٩٦ م). كان من عادته أن يقوم بزيارات مفاجئة لبلدان السلطنة المملوكية، من ذلك زيارته للقدس (١٧ رجب ٨٨٠ هـ / ١٤٧٥ م) فأقام بها ثلاثة أيام أظهر فيها العدل. وكانت له مدرسة في القدس نزل فيها ولم تعجبه فأمر بهدمها وبناء مدرسة جديدة مكانها. وبوشر بحجر الأساس سنة ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م، وفي العام التالي سير السلطان المعماريين والمهندسين من القاهرة؛ لعمارة المدرسة، وبناء على اقتراح أحد المهندسين، وكان نصرانياً، هدم بعض المجمع السفلي من المدرسة، ورخمت وكسيت بالرصااص. راجع العليمي، الأنس الجليل ٢: ٣١٥، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٨ - ٣٢٩ وانظر أيضاً محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة (١٩٦١-١٩٦٣) ٣: ١١٢، ٢١٨ وحول أوقاف المدرسة كما ذكرتها دفاتر الطابور، انظر دفتر طابور رقم ٥٢٢ ويورد نص وقفية تاريخها ٨٧٧ هـ / ١٤٧٢ م وانظر: أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين في ألوية غزة، القدس الشريف، صفد، نابلس، عجلون، تحقيق وتقديم محمد أبشرلي ومحمد داود التميمي، منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول (١٤٠١ هـ / ١٩٨٢ م) ص: ٣٩ - ٤١؛ وانظر أيضاً جلال أسعد ناصر، عمائر السلطان قايتباي في بيت المقدس، رسالة ماجستير غير منشورة. مقدمة جامعة القاهرة، ١٩٧٤ م.

(14) الشيخ عبد النبي بن جماعة، ذكره الغزي في ترجمة والده الشيخ محمد بن عبد القادر بن جماعة، وكان الأب من أعيان القدس. وتصفه حجة تاريخها ٩٦٣هـ / ١٥٥٥م بأنه أعلم العلماء المتبحرين، شيخ مشايخ الإسلام والمسلمين، مبين مناهج الحق المبين، أبو الفضائل حافظ الدين، عبد النبي بن جماعة الكناي المفتي بالبلاد الإسلامية... (سجل رقم: ٣١/ ١٤) ذي الحجة ٩٧٣هـ / ١٥٦٥م) ص: ٢٠٥، أما عبد الغني ابنه فان في تعليقات صاحب الرحلة ما يشير إلى سلامة فيه تشبه الغفلة، وجهل بأولويات الأمور مع أنه أحرز لقب شيخ الإسلام.

(15) تفسير البيضاوي: هو «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله ابن عبد الرحمن الشيرازي البيضاوي الشافعي (٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) طبع عدة مرات. كتب عليه فوري حواشي وبيضاها في كراريس، انظر العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم ص: ٤٠٢. وعن البيضاوي المفسر انظر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٧١هـ / ١٣٧٠م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة (١٩٦٤م) ٨: ١٥٧ - ١٥٨ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى؛ وانظر أيضا:

J. Robson" al - Baydawi" in *El*², I, p. 1129

(16) ابن أبي حفصة وعلي بن الجهم: المقصود بابن أبي حفصة هنا: مروان الأصغر ابن أبي الجنوب وهو حفيد مروان الأكبر. وكانت بينه وبين علي بن الجهم ملاحاة ومهاجاة، انظر الأغاني «ط دار الثقافة - بيروت» ١٢: ٧٢ - ٧٩ وكلاهما عاصر المتوكل، وكانا يتنافسان على الخطوة لديه. ولابن الجهم ديوان حققه خليل مردم بك، دمشق (١٩٤٩م). وأصل أجداد ابن الجهم من مكة، هاجروا إلى البحرين ثم إلى مرو الشاهجان بخراسان، ثم عاد والد علي إلى بغداد، وهناك نشأ علي، وقربه الخليفة المأمون، وتولى مظالم حلوان، ثم اختص بالمتوكل، لكنه لم يلبث أن تغير عليه وسجنه، ونظرا لما عاناه في سجنه انغمس بعد اطلاقه في اللهو والمجون؛ ثم توفي مقتولا في طريقه إلى الغزو خارج حلب (٢٤٩هـ / ٨٦٣م). انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١: ٣٦٧ - ٣٦٩ ومقدمة ديوانه.

(17) كتاب الاتقان: ينصرف هذا الاسم إلى كتابين: أحدهما الاتقان في علوم القرآن للشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ / ١٥٠٥م) والثاني: الاتقان في فضائل القرآن لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) انظر: كشف الظنون ١: ٨.

(18) زيارة سيدنا موسى: لعله يعني هنا المقام المنسوب للنبي موسى على الطريق ما بين

القدس وأريحا، ولقد بنى السلطان الظاهر بيبرس (٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) قبة على ذلك المقام . وفي سنة ٨٧٥هـ / ١٢٧٦م وسع المسجد القائم هنالك ثم وسع مرة أخرى من جهة القبلة سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م. وبنيت له منارة . وأهل بيت المقدس يؤمنونه للزيارة في كل سنة عقب الشتاء، و يقيمون عنده سبعة أيام . انظر الأُنس الجليل ١ : ١٠٢ . انظر أيضا كامل جميل العسلي، موسم النبي موسى في فلسطين : تاريخ الموسم والمقام، منشورات الجامعة الأردنية، ط١، عمان، ١٩٩٠ .

(١٩) رسائل اخوان الصفا: هي إحدى وخمسون رسالة في شتى العلوم والمعارف، لا يعرف مؤلفها على وجه التحقيق، وتفيد المصادر انه اجتمع على تأليفها عدد من العلماء منهم أبو الحسن علي بن هارون الزنجاني وأبو أحمد النهر جوري والعوقي وزيد بن رفاعه، وأن الصياغة قام بها أبو سليمان محمد بن معشر البستي المعروف بالمقدسي؛ وقد حاولوا فيها المزج بين الشريعة والحكمة وحشوها بالكلم الدينية والأمثال الشرعية؛ انظر : أبو حيان التوحيدى، الامتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة (١٩٣٩) ٢ : ٥ - ٢٣، وانظر أيضاً

Y. Marquet, "Iḫwān al-Ṣafā'", in *El²*, 111, pp. 1071 - 1076

(٢٠) خليل الرحمن : كانت مدينة الخليل في القرن السادس عشر تابعة هي ونواحيها للواء القدس، وكانت المدينة مؤلفة من الحارات التالية، بموجب اقرب إحصاء لزمن الرحلة وذلك سنة ٩٧٠هـ / ١٥٦٢م، دفتّر الطابور رقم : 516

الرقم	الحارة	عدد السكان المسلمين				
		خانة	مجرد	أعمى	كسيح	مجنون
١ -	فستق	٩٨	٢٣	-	-	-
٢ -	قيطون	٧٧	٣١	-	-	-
٣ -	مشعابنه	١٤١	٣٣	١	-	-
٤ -	شيخ علي بكّا	٤٦	١٨	-	١	-
٥ -	قزازين	١٥٥	٠٧	٣	٢	١
٦ -	أكّراد	٣٠٤	١٢	١	-	-
٧ -	وسطى	١٥٥	-	-	-	-

يهوديان ١١ يدفعون ٨٠ أقة في السنة
انظر في الاحصاءات والضرائب في القرن السادس عشر

Amnon Cohen and Bernard Lewis, *Population and Revenue in the Towns of Palestine in the Sixteenth Century*, Princeton University Press. Princeton, 1978, pp. 110 - 111

وفي أسماء القرى وعدد سكانها، انظر :

Hütteroth, and Abdul-Fattah, *Historical Geography*, pp. 122-124

وفيما يتعلق بحارات الخليل ومساجدها وزواياها . إلخ، فانظر الأنس الجليل ٢: ٨٥٠.

(21) غزة : في ما يتعلق بغزة مقرا للنيابة في العهد المملوكي، انظر دراسة محمود عطا الله، نيابة غزة في العهد المملوكي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، (١٩٨٦)، وكانت غزة في القرن السادس عشر مقرا للواء (سنجق) عرف باسمها، وكان جزءا من ولاية دمشق الشام. وحول احصاءات وحارات غزة وسكانها في ذلك القرن، انظر:

Amnon Cohen and Bernard Lewis, *Population and Revenue*, pp. 177-134

ويلاحظ أن الأكراد والتركمان وجنود الحلقة قد كونوا نسبة بارزة في مجموع السكان، هذا بالإضافة إلى وجود جماعات من النصاري هاجرت إليها من الشوبك وجماعات هاجرت من مصر.

(22) الطغراني : الأستاذ مؤيد الدين اسماعيل الأصبهاني، تولى ديوان الإنشاء في الدولة السلجوقية، قتل سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م في الفتنة بين السلطان مسعود وأخيه السلطان محمود. وهو صاحب «لامية العجم». انظر ياقوت الحموي : معجم الأدباء، تحقيق مرجليوث ١: ٥٦ - ٧٩ وابن خلكان، وفيات الأعيان ٤: ١٨٥ - ١٩٠.

(23) ابن خطيب داريا : محمد بن سليمان بن يعقوب بن عساكر الأنصاري الدمشقي الشافعي (٨١١هـ / ١٤٠٨م) اشتغل بالفقه والعربية وفنون الأدب، ويذكر أنه كان يتلاعب بالقضايا الخاصة بالأملأك، غلب عليه المجون والهزل ثم أدركته توبة. وله عدد من التصانيف. راجع ترجمته عند شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (تصوير دار الحياة - بيروت) ٦: ٣١٠ - ٣١٢. وداريا التي ينسب إليها إحدى قرى دمشق، انظر عبد الجبار بن عبد الله الخولاني (٣٦٥هـ / ٩٧٥م)، تاريخ داريا، تحقيق سعيد الأفغاني، دمشق (١٩٥٠)، وأعيد طبعه ١٩٧٤؛ وشمس الدين محمد بن طولون، «ضرب الخوطة على جميع الغوطة»، نشر أسعد طلس، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، مجلد ٢١ (١٩٤٦) ١٤٩ - ١٦١، ٢٣٦ - ٢٤٧، ٣٣٨ - ٣٥١؛ ويؤخذ من هذا المصدر انها كانت «بلدة كبيرة جيدة عذبة بها جامع، وبها أراضي وقف نور الدين الشهيد على طلبة العلم والصرفية والفقراء».

وتزودنا دفاتر الطابو بالمعلومات السكانية عن داريا، على النحو التالي :

دفتر طابو 430 / ص: ٤٦٧

خانة مجرد خطيب وإمام

١٥٨ ١٠ ٤

دفتر طابو 401 / ص: ٣٣١ - ٣٣٢

خانة مجرد خطيب وإمام

محلة حارة القبلي ١٠٦ ٩ ١

محلة حارة الشمالي ٨٤ ٦ ١

دفتر طابو 263 / ص: ٩٢٣ - ٢٩٧

خانة مجرد خطيب وإمام

محلة حارة القبلي ١٠٦ ٢٩ ١

محلة حارة الشمالي ١١٥ ٢٥ ١

(24) الشيخ محمد بن الشيخ علوان : محمد بن علي بن عطية بن علوان الحموي ، من أقطاب الصوفية في حماة ، لبس الخرقة من والده وخلفه ، وكان على اتصال بالشيخ بدر الدين الغزي . توفي في أوائل رمضان (٩٥٤ / ١٥٤٧) وله رسالة «تحفة الحبيب فيما يبهج من رياض الشهود والتقريب» في الطريقة . انظر: الكواكب السائرة ١ : ١٢٨ ، ٢ : ٥١ - ٥٢ ؛ وحاجي خليفة ، كشف الظنون ١ : ٣٦٥ .

(25) آل المهلب : أسرة أبي سعيد المهلب بن أبي صفرة ، قائد الجيوش الأموية في حرب الخوارج ، ووالي خراسان (٧٩هـ / ٦٩٨م) خلف أولاداً وأحفاداً كثيرين ، وكانت وفاته سنة (٨٢هـ / ٧٠١م) . وبعده ولي ابنه يزيد خراسان ؛ وكتب التاريخ زاخرة بالمعلومات عنه وعن أبنائه وحفدته . انظر في حياته وأعماله ، محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ / ٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة (١٩٧١) ٦ : ٣٥١ - ٣٥٥ ، وابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٥ : ٣٥٠ - ٣٥٩ وغيرهما .

(26) لعل الإشارة هنا إلى ابن حجة الحموي، تقي الدين علي بن عبد الله الحنفي الأديب الشاعر، صاحب ثمرات الأوراق، وخزانة الأدب، وكشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام، وأمان الخائفين من أمة سيد المرسلين، وبديعية في ١٤٣ بيتاً؛ انظر حاجي خليفة، كشف الظنون ١: ١٦٦، ٢٣٣ - ٢٣٤، ١٣٤٣.

(27) قطية (قطياً) يصفها ابن فضل الله العمري بقوله: «هي قرية الرمل جعلت لأخذ الموجبات وحفظ الطرقات، وأمرها مهم، ومنها يطالع كل وارد وصادر». ويضيف القلقشندي إلى ذلك قوله: «وعليها يرد سائر التجار الواصلين في البر من الشام والعراق وما والاهما، وهي أكثر الجهات متحصلاً، وأشدّها على التجار تضيقاً، وعندهم ضرائب مقررة لكل نوع يؤخذ من نظيرها، أما واليها فكان قبل عهد القلقشندي من رتبة طبلخاناه». راجع التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة (١٣١٢هـ)، ص: ١٧٥ وصبح الأعشى ٣: ٤٠١ - ٤٦٦، ٤: ٢٧، ٢٨. ويذكر محمد رمزي أنها قد اندثرت ولم يبق منها إلا أطلالها ما بين القنطرة والعريش. انظر القاموس الجغرافي للبلاد المصرية المندرسية، مطبعة دار الكتب المصرية (١٩٥٣ - ١٩٥٤): ص ٣٥٠ - ٣٥١.

(28) بلبيس الشرقية: يصفها الوطواط بقوله: هي مدينة عامرة أهلة، أهلها أجلاء رؤساء، لهم الشارة الحسنة والمروءة الظاهرة، يأخذون نفوسهم بزي أهل مصر والقاهرة، وبها الأسواق العامرة والخانات والحمامات والبساتين المشتملة على سائر الفواكه، وبها مدرسة. انظر: محمد إبراهيم بن يحيى الكتبي المعروف بالوطواط (ت ٧١٨/١٣١٨) مباهج الفكر ومناهج العبر، دراسة وتحقيق عبد العال عبد المنعم الشامي، الكويت (١٩٨١)، ص ١٠٨
G. Wiet, "Bilbays" in *EI*², 1, p. 1218

(29) الخانقاه: الأرجح أنه يعني خانقاه سرياقوس التي بناها الملك الناصر محمد بن قلاوون (٧٢٥هـ/١٣٢٤م) وقد أقبل الناس ينون حولها، فأنشأوا الدور والخوانيت حتى أصبحت بلدة كبيرة تعرف بخانقاه سرياقوس، وقد تزايدت عمائر وسكانا فأنشئ فيها عدد من الحمامات. وللناصر حجاً وقف الأولى بتاريخ ٨ جمادى الآخرة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م والثانية بتاريخ ١٢ جمادى الأولى ٧٢٦هـ/١٣٢٦م وأوردتهما الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب (ت ٧٦٦هـ/١٣٧٧م) في كتابه تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد أمين، القاهرة (١٩٨٢م) ٢: ٣٨٦ وما بعدها. وأعاد المحقق نشرهما في كتابه: وثائق السلطان الناصر محمد بن قلاوون القاهرة (١٩٨٢م) وفي سنة ٩٣٣هـ/١٥٢٦م أصبحت ناحية قائمة بذاتها، ص: ١٠٥ والمقريري، الخطط، ورمزي، القاموس الجغرافي، قسم ٢، ج ١: ٣٢ - ٣٣، وتوفيق الطويل، التصوف في مصر إبان العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١: ٤٣ - ٤٥.

(30) سحبان وائل (ت ٥٤هـ / ٦٧٤م) : الخطيب المشهور، ومضرب المثل في إجادة الخطابة؛ يقال إنه جاهلي أدرك الإسلام ويقال إنه لم يدرك الإسلام، انظر ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) الإصابة في تمييز الصحابة، دار إحياء التراث العربي (بيروت) ١٠٩: ٢ ومجمع الأمثال للميداني ١: ٣٤٦-٣٤٧ وعبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق، بيروت (١٩٧٩م) ٦: ٦٧.

(31) محمد البكري: شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن أبي الحسن البكري الصديقي المصري الشافعي، أخذ العلم عن والده، واجتمع ببدر الدين الغزي بمصر سنة ٩٥٢هـ / ١٥٤٥م وكانت وفاته ١٤ صفر ٩٩٤هـ / ١٥٨٥م، انظر: الكواكب السائرة ٣: ٦٧-٧٢.

(32) عذرة: قبيلة كانت منازلها في شمال الحجاز، وكانوا يقدمون القرابين للإله «ود»؛ وقد عرفوا برقة القلوب، والعفة في الحب، حتى نسب إليهم الغزل العفيف، ف قيل غزل عذري. وللتفصيلات في دراسة هذه القبيلة ونسبها وعلاقاتها بالقبائل الأخرى انظر:

G. Levi Della Vida, "Udhra" in *El'*, VIII, pp. 988-990

(33) أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المعري (٣٦٣-٤٤٩هـ / ٩٧٣-١٠٥٨م) الشاعر الناثر نسيج وحده في ذكائه واتساع معرفته، جمع شعر الصبا في سقط الزند، وشعره التأمل في اللزوميات، وله مؤلفات كثيرة، شعراً ونثراً؛ رحل إلى بغداد سنة ٣٩٨ / ١٠٠٨ وأقام فيها سنتين، ثم عاد إلى المعرة، جاعلاً من بيته معتكفاً لنفسه، لكن شهرته الواسعة أغرت الطلبة بالرحلة إليه، فقصده التلامذة من أقصى المشرق ومن الأندلس. جمعت معظم ترجماته التي وردت في المصادر القديمة في كتاب تعريف القدماء بأبي العلاء (القاهرة) وصدرت عنه عشرات الدراسات في شكل كتب وبحوث. وانظر أيضاً:

P. Smoor, "al - Ma'arri", in *El'*, vol. V, pp. 927 - 935

(34) ترمنت: يذكرها الأسعد بن مماتي (٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) من الكفور الشاسعة بالبهنسا، كما يشير ياقوت إلى أنها على غربي النيل من الصعيد، ويورد رمزي أنها (سنة ١٩٢٩م) قسمت إلى ناحيتين، انظر: قوانين الدواوين تحقيق عزيز سوريال عطية، مطبعة مصر، القاهرة (١٩٤٣) س والوطواط: المصدر نفسه، ص: ٨٧ وياقوت الحسوي، معجم البلدان ١: ٨٤٧ ورمزي، المرجع نفسه ٢/٣: ١٥٩٠

(35) باقل: إيادي يعد مضرب المثل في العي؛ فيقال: أعيا من باقل؛ انظر الميداني، المصدر ذاته ١: ٦٧٤.

(36) المشاق : هي العوائد المالية التي كانت ترد على دار السلطنة من أمين المشاق الذي كان يجمعها من الملتزمين . وكانت ضريبة المشاق تفرض على نسل حبال القنب . انظر : محمد شفيق غربال " دحسر عند مفرق الطرق (١٧٩٨ - ١٨٠١م) ؛ المقالة الأولى في ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية ، كما شرحه حسين أفندي أحد أفندية الروزنامة في عهد الحملة الفرنسية » ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول ، م ٤ (١٩٣٦) ، ج ١ (الطبعة الثانية ، ١٩٥٣) ، ص ٥٨ .

(37) الشيخ الشعراوي : عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن ذوقا ، وينتهي نسبه إلى محمد بن الحنفية ، ويقال في نسبه أيضاً الشعراي ، وذلك نسبة إلى قرية أبي شعره بمصر . شافعي المذهب من أقطاب الصوفية في القرن العاشر ، له عدد من المؤلفات منها : طبقات الأولياء . توفي (٩٧٣هـ / ١٥٦٥م) ؛ انظر الكواكب السائرة ، ٣ : ١٧٦ - ١٧٧ وابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب : ٧ : ص ٣٧٢ - ٣٧٥ .

(38) إسماعيل النابلسي : اسماعيل بن أحمد بن الحاج ابراهيم النابلسي (ت ٩٩٣هـ / ١٥٨٥م) : أصبح شيخ الإسلام بدمشق بعد وفاة الشيخ بدر الدين الغزي . أخذ عن عدد من العلماء بدمشق ، ودرس بالجامع الأموي ثم بدار الحديث الأشرفية وبالشافعية البرانية ، وكانت دروسه حافلة لصفاء ذهنه وطلاقة لسانه وحسن تقريره ، رزق حظاً كبيراً من الجاه والمال ، وكانت شفاعته لا ترد لدى الحكام (ت يوم السبت ١٣ ذي القعدة ٩٩٣هـ / ١٥٦٥) ؛ البوريني ، تراجم ٢ : ٦١ - ٧٩ والغزي ، الكواكب ٣ : ١٣٠ - ١٣٥ ، وكان محب الدين الحموي قد تزوج إحدى بناته ، ورزق بأبناء (انظر ما ورد في مقدمة التحقيق) .

(39) بولاق : ميناء مدينة القاهرة على ساحل النيل ، كانت تصلها المراكب من دمياط ، فتحمل الثلج من الشام ، ومن ثم تحمل على البغال إلى الشرابخانة . وقد شجع الملك الناصر محمد العمارة فيها ، فأقبلت على ذلك الفئة المسورة من كبار الموظفين والعساكر والأطباء ، وكانت في الوقت ذاته محطة لجبي المكوس إلى أن أبطلها الناصر محمد . وقد عرفت في القرن التاسع عشر بمطبعتها الشهيرة التي أنشأها محمد علي ، انظر القلقشندي ، صبح الأعشى ١٤ : ٢٧٠ ، ٢٧٩ ، ٣٩٦ والمقريري ، الخطط ، ١ : ١٣٠ - ١٣١ ورمزي ، قاموس ق/ ١ : ٤ و

J. Jomier, "Bulak", in *El²*, I, p. 1299.

(40) بركة القرع : يذكرها الغزي في معرض ترجمة أحد الصوفية الكواكب ١ : ١٨٣ ويستفاد من ذلك أنها إحدى حارات القاهرة .

(41) ابن سناء الملك : القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد أبي الفضل

جعفر بن المعتمد سناء الملك بن عبدالله بن محمد بن محمد بن هبة الله بن محمد السعدي ، ولد في مصر، وعمل مع القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني في دمشق ثم في القاهرة، له ديوان شعر حققه محمد إبراهيم نصر ، القاهرة (١٩٦٩) ومن هذا الديوان طبعة بحيدر آباد الدكن . وله من الكتب فصوص الفصول (مخطوط بدار الكتب المصرية) ومن أشهر مؤلفاته دار الطراز (تحقيق جودت الركابي ، دمشق (١٩٧٧) وقد وضع فيه لأول مرة قواعد الموشحات الأندلسية ، ونظم هو على منوالها موشحات ذات خرجات فارسية وتركية ؛ انظر ابن خلكان ، وفيات ٦ : ٦٠-٦٦ ومعجم الأدباء ، دار المأمون ١٩ : ٢٦٥-٢٧١ وابن سناء الملك : حياته وشعره لمحمد إبراهيم نصر ، القاهرة (١٩٦٧) م .

(42) نور الدين العسيلي : علي بن محمد العسيلي المصري الشافعي ، سافر الى بلاد الروم (سنة ٩٣٤هـ / ١٥٢٧م) واجتمع برضي الدين الحنبلي الحلبي ، وكان مختص بالشيخ محمد بن أبي الحسن البكري ، له حاشية على كتاب المغني في النحو ، وكانت له يد طولى في الكلام والعقائد . انظر : الحنبلي ، در الحب ، ج ١ ، ق ٢ (الترجمة رقم ٣٤٠) ص ١٠١٠-١٠١٢ ، والغزي ، الكواكب ٣ : ١٨٠ - ١٨١ وابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ٨ : ٤٣٤ - ٤٣٥ .

(43) الشيخ محمد الرملي الشافعي : محمد بن أحمد بن حمزة الرملي المنوفي الأنصاري المصري (ت جمادى الأولى ١٠٠٠هـ / ١٤ كانون الثاني ١٥٩٥م) نسبة إلى قرية الرملية من منية العطار بالمنوفية . أخذ العلم عن والده وعن عدد من علماء مصر ، وبلغ منزلة رفيعة في المعرفة حتى لقب بالشافعي الصغير ؛ له عدد من المؤلفات منها : نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ، والغرر البهية في شرح مناسك النووية ، والبهجة الوردية في نظم الحاوي الصغير في فروع الشافعية ، وغاية البيان في شرح زبد ابن رسلان . انظر الغزي ، لطف السمر ١ : ٧٧ - ٨٥ والمحبي ، خلاصة الأثر ٣ : ٣٤٢-٣٤٦ .

(44) نجم الدين الغيطي : محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر الغيطي الاسكندري المصري الشافعي ، كان من كبار رجال الحديث بمصر ، تولى مشيخة المدرسة الصلاحية ومشيخة الخانقاه السرياقوسية ، وهي من أجل الوظائف . لبس خرقة الصوفية ، ويشير نجم الدين الغزي إلى لقائه بالشيخ محب الدين الحموي . له كتاب : القول القويم في إقطاع تميم ، وكتاب المعراج . توفي ٩٨٣هـ أو ٩٨٤هـ / ١٥٧٦م . راجع الغزي ، الكواكب ٣ : ٥١ - ٥٣ وابن العماد الحنبلي ، شذرات ٨ : ٤٠٦ - ٤٠٧ .

(45) ناصر الدين الطبلاوي : يذكر في المصادر عرضاً ، فالمحبي يذكره في ترجمة سبطه منصور ، ويصفه بأنه كان مفسراً مقرئاً محدثاً بيانياً توفي (٩٦٦هـ / ١٥٥٩م) . ويذكره الغزي في ترجمة الشيخ محب الدين الحموي وأن محب الدين أخذ العلم عن شيخ الإسلام ناصر الدين

الطبرلاوي ولعله غير ناصر الدين المتوفى سنة ٩٦٦ / ١٥٥٩ م؛ انظر الكواكب ٢: ٣٣ - ٣٤ ولطف السمر ١: ١١٦ وخلاصة الأثر ٣: ٤٢٨ .

(46) يوسف الشامي : الجمال يوسف بن القاضي زكريا الأنصاري ، درس في الصالحية بجوار الإمام الشافعي ، وتوفي (٩٨٧هـ / ١٥٧٩م) . انظر: الغزي ، الكواكب ٣: ٢٢١ .

(47) شهاب الدين أحمد بن قاسم : هو على الأرجح شهاب الدين أحمد بن القاسم العبادي المصري الأزهري الشافعي . من تصانيفه الآيات البيئات في شرح مجمع الجوامع للسبكي ، وله عدد من الحواشي على عدد من المؤلفات . توفي في المدينة المنورة وفيها دفن (٩٩١هـ / ١٥٨٥م) . الغزي ، الكواكب ٣: ١٢٤ ، اسماعيل البغدادي ، هدية العارفين ١: ١٤٩ .

(48) الشيخ علي المقدسي الحنفي : علاء الدين علي بن محمد بن محمد الخزرجي المقدسي الحنفي الشهير بابن غانم ، (ت ١٠٠٤هـ / ١٥٩٦م) وكان من أهل الافتاء بمصر ، زار القدس ثلاث مرات ، وتولى التدريس بعدد من المدارس ، وله عدد من المؤلفات ، ويعتبر من المجددين . انظر: الغزي ، لطف السمر ٢: ٥٦١ - ٥٦٧ والمحبي ، خلاصة الأثر ٣: ١٨٠ - ١٨٥ .

(49) الشيخ الملقب بالذيب : محمد الحنفي المفتي ، يذكره الشهاب الخفاجي (١٠٦٩هـ / ١٦٥٨م) دون ان يقول فيه شيئاً ذا بال ، انظر ربحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، القاهرة (١٩٦٤م) ٢: ٤٩ - ٥١ (ترجمة رقم ٨٩) .

(50) المدرسة الأشرفية : عمرها الملك الأشرف خليل بالقرب من المشهد النفيسي ، وقد دفن السلطان فيها ، وكان لها أوقاف تولى النظر عليها آنذاك القاضي جلال الدين القزويني قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ٣: ٤٣١ ، ١١: ٢٦٤ ؛ المقرئ ، الخطط ٢: ٢٣٩ .

(51) الشيخونية : نسبة إلى الأمير سيف الدين شيخو العمري الذي أنشأ جامعاً وخانقاه في خط الصليبية خارج القاهرة (٧٥٦هـ / ١٣٥٥م) . كان يدرس بها المذاهب الأربعة ، ودرس للحديث ودرس للقراءات . انظر الخطط ٢: ٤٢١ .

(52) بدر الدين القرافي : محمد بن يحيى بن عمر بن يونس المصري المالكي ، تقلد القضاء بالقاهرة نحو خمسين سنة (ت ١٢ شوال ١٠٠٨هـ / ١٥٩٩م) . له عدد من المؤلفات . انظر: خلاصة الأثر ٤: ٢٥٥ - ٢٦٢ وحاجي خليفة ، كشف ٢: ١٠٤٥ ، والبغدادي ، هدية العارفين ٢: ٢٦٣ وعبد الحي الكتاني ، فهرس الفهارس والإثبات ، (١٣٤٦ - ١٣٤٧هـ) ١: ١٥٣ ، ١٥٤ .

(53) مدرسة السلطان حسن : مسجد ومدرسة أنشأهما السلطان حسن بن الناصر محمد ابن قلاوون (٧٥٧هـ / ١٣٥١م) وكانت وفاة السلطان (٧٦١هـ / ١٣٦٣م) قبل إتمامهما . ويعد المسجد أعظم المساجد المملوكية بالقاهرة، حُبست عليه أوقاف كثيرة . لمزيد من التفصيل انظر: المقرئزي، الخطط ٢: ٣١٦-٣١٨ ومساجد مصر، منشورات وزارة الأوقاف، القاهرة، (١٩١٨) ١: ٦٨-٧٢ واللوحات ٧٨ - ٩٠ .

(54) الشيخ محمد الفارضي : شمس الدين محمد، فرضي وشاعر (حتى حوالي ٩٨١هـ / ١٥٧٣م) . من آثاره : تعليقه على الجامع الصحيح للبخاري، والمنظومة الفارضية في الحديث، انظر : خير الدين الزركلي، الأعلام ٧: ٢١٧؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين ١١: ١١٤ .

(55) فوة : بلدة بالقرب من الاسكندرية على شاطئ النيل ، يشار إليها باسم «مدينة المرحمتين» وهي حاضرة الإقليم . كانت الثياب الحمر تصبغ فيها، وكانت ذات أسواق ونخيل كثير، ولها ثغر يسمى باسمها . انظر : ياقوت، معجم البلدان ٣: ٩٢٤ ، وأبو الفدا، تقويم البلدان : ١٠٦ ، والقلقشندي، صبح الأعشى ٣: ٣٠٠ - ٤٠٣ ، ١٤ : ٥١ - ٥٢ ؛ ورمزي، القاموس ٢: ١١٣ - ١١٥ .

(56) الشيخ سري الدين ابن الصائغ، الحنفي المصري . تتلمذ على والده، وتولى تدريس الحنفية بالمدرسة البرقوقية ومات عن مشيخة الطب بدار الشفا المنصوري، ورياسة الأطباء، (ت ربيع الأول ١٠٢٦هـ / ١٦٢٦م) ولم يعقب إلا بنتاً واحدة تولت مكانه مشيخة الطب . انظر: المحبي، خلاصة الأثر ١: ٢٠٣ - ٢٠٤ والشهاب الخفاجي، ریحانة الألباء، ٢: ١٤٢ - ١٤٣ .

(57) قبر عقبة : الأرجح أنه الصحابي عقبة بن عامر الجهني، من أهل الصفة، سكن مصر وتوفي بها، انظر أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء ٢: ٨ - ٩ . ويذكر ابراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني (ت ١٠٨٢هـ / ١٦٧٢م) أنه زار قبره، اذ يقول : «فوصلنا القبر عليه مهابة وجلالة، وللصلاح والولاية دلالة، ألا إنه قبر سيدي عقبة الصحابي الشهير»، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، تحقيق رجاء السامرائي، بغداد (١٩٨٠) ٣: ١١٧ . وحول الجامع المقام على ضريحه، انظر سعاد ماهر محمد، مساجد مصر وأولياؤها، مطابع الأهرام التجارية، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة، (١٩٧١) ١: ٨٤ - ٨٧ .

(58) مقام إمام الأئمة محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٢١٩م) من أشهر مزارات القرافة بالقاهرة . بنى عليه الملك الكامل ابن أبوب (٦٠٨هـ / ١٢١١م) قبة بلغت نفقتها خمسين

أثب دينار مصري . ذكر الهروي (الإشارات : ٣٥-٣٦) أنه قرأ على قبره :
أعجوبة من عجب الدهر إطباق لوحين على بحر
وانظر المقرئزي ، الخطط ٢ : ٤٦١ - ٤٦٢ .

(59) قبر علي بن الحسن بن زين العابدين : يذكره الهروي (الإشارات : ٣٦) ضمن مزارات القرافة .

(60) القاضي زكريا : يرجح أن المقصود هو القاضي زكريا بن محمد بن زكريا زين الدين أبو يحيى الأنصاري السبكي المصري الشافعي ، جمع بين الشريعة والحقيقة ، أخذ عن عدد كبير من علماء مصر ، وأخذ الطريقة عن محمد بن عمر الواسطي العمري ، ومعظم من كان في مصر في زمنه من طلبته أو من طلبة طلبته . ولي القضاء للسلطان قايتباي ، وكانت وفاته يوم الأربعاء ١٣ ذي القعدة (٩٢٦هـ / ١٤٢٠م) ودفن بالقرافة الصغرى ؛ الغزي ، الكواكب ٢ : ١٩٦ - ٢٠٧ .

(61) ملاً مغوش : محمد بن محمد بن مغوش التونسي المالكي ، بدأ حياته بطلب العلم بتونس حيث ولي هناك قضاء العسكر ، وسافر إلى القسطنطينية ولقي الإكرام فيها من السلطان ، ومنها توجه إلى حلب (٩٤٤هـ / ١٥٥٧م) فأخذ عن علمائها ، وزار طرابلس الشام وكان دخوله إلى دمشق يوم الثلاثاء رابع جمادى الأولى من العام نفسه ، ونزل بجامع تنكز ، ومنها إلى القاهرة وفيها توفي في شعبان ٩٤٧هـ (أو ٩٤٨هـ) وعمر عليه داود باشا نائب مصر عمارة بجانب الإمام الشافعي ، وكان من أقطاب الصوفية ؛ الغزي ، الكواكب ٢ : ١٥-١٩ .

(62) الليث بن سعد ، أبو الحارث ، إمام أهل مصر في الفقه والحديث . ولد بقلقشندة ٩٤هـ / ٧١٣م وسمع عن علماء مصر والحجاز وبغداد . ولي قضاء مصر ووصف بأنه أفقه من مالك ، وكانت وفاته (١٧٥هـ / ٧٩١م) ودفن بالقرافة ، وأصبح قبره مزاراً . ويذكر المقرئزي أنه رأى مكتوباً على قبره «الإمام الفقيه الزاهد العالم الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث المصري مفتي أهل مصر» . بنى عليه أحد التجار المصريين (٦٤٠هـ / ١٢٤٢م) قبة جددت حوالي (٧٨٠هـ / ١٣٧٨م) ثم جددت ثانية (٨١١هـ / ١٤٠٨م) ثم جددت ثالثة (٨٣٢هـ / ١٤٢٩م) على يد امرأة قدمت من دمشق . انظر : ابن خلكان ، وفيات ، ٤ : ١٢٧-١٣٢ والمقرئزي ، الخطط ٢ : ٤٦٣ .

(63) مقام السيدة نفيسة : هي ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، دخلت مصر مع زوجها اسحاق بن جعفر الصادق ، أخذ عنها الإمام الشافعي ، وكانت وفاتها سنة (٢٠٨هـ / ٨٢٣م) ودفنت بدرب السباع بالقرب من موضع القاهرة وأصبح قبرها أحد المزارات المهمة وبخاصة في العهد الفاطمي . انظر ابن خلكان ، الوفيات ٥ : ٤٢٣-٤٢٤ والهريري .

الإشارات : ٣٥ والمفريزي ، الخطط ١ : ٤٤٠-٤٤٢ .

(64) عمر بن الفارض : عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي الحموي الأصل ، المصري المولد والدار والوفاة . يعد من أقطاب الصوفية (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٥م) ودفن في سفح جبل المقطم . ابن خلكان ، الوفيات ٣ : ٤٥٤-٤٥٦ و انظر أيضاً :

R.A.Nicholson (J. Pedersen), "Ibn al-Fārīd" in *EF*², Vol. 111, pp. 763 - 764

(65) الجيزة : المقصود بها جيزة الفسطاط ، ويصفها الوطواط كما يلي : « وهي على غربي النيل ، وهي مدينة متحضرة ، مباشرة بالأسواق أهلة ، بها حمام وقيسارية للبز وبيع الغزل ، وفيها المساجد الكثيرة والطواحين والفنادق » . ثم يعدد القرى التابعة لها ، انظر : مباحج الفكر : ٧٨-٨٠ ، ورمزي ، القاموس : ٣/٢ : ٤ ، ١٠ .

(66) كعب الأحبار : من يهود اليمن ، اعتنق الإسلام حوالي (١٧هـ / ٦٣٨م) وخرج إلى الشام وسكن حمص ، وتوفي فيها (٣٢هـ / ٦٥٠م) وهو من رواة الاسرائيليات في التفسير والتاريخ ، انظر : أبو نعيم ، حلية الأولياء ٥ : ٣٦٤ ، ٦ : ٣-٤٨ ، انظر أيضاً :

M. Schmitz, "Ka'b al -Ahbar", in *EF*², IV, pp. 316-317.

(67) اسكندر باشا : كان دخوله إلى القاهرة يوم الخميس رابع جمادي الأولى ٩٧٦هـ / ٣ كانون أول ١٥٦٨م ، وعزله في ٢٠ محرم ٩٧٩هـ / ١٤ حزيران ١٥٧١م . وكان ظالماً جباراً ، عارض الفقراء في أرزاقهم وأموالهم ووظائفهم وما في أيديهم ، وزاد ظلمه وجوره ، فوصلت أخباره إلى الدولة العلية . فأرسل مولانا السلطان بعزله ، فدعوا عليه في الجامع الأزهر فوق المآذن . انظر : أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات لأحمد شلبي بن عبد الغني المصري الحنفي (ت ١١٥٠هـ / ١٧٣٧م) ، حقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، القاهرة (١٩٧٨م) ص : ١١٧ ، ومحمد عفيفي ، الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩١) ص : ٦٦-٦٧ .

(68) سنان باشا (١٠٠٤هـ / ١٥٩٥م) : تولى أمور مصر لأول مرة (٨٧٥هـ / ١٥٦٧م) في عهد السلطان سليم الثاني ، وبعد تسعة أشهر عزل عنها ليكلف بفتح اليمن ، وعاد منها منصوراً إلى مصر وأعيد والياً عليها ثانية في ١٤ جمادي الآخرة (٩٧٩هـ / ١٥٧١م) فاستمر والياً إلى أن عزل في (جمادي الآخرة ٩٨٠هـ / أكتوبر ١٥٧٢م) له جامع ببولاق ، وجامع ومدرسة بالأزهر ، وله عمارات بالشام . انظر في ترجمته المحبي ، خلاصة الأثر ٢ : ٢١٤-٢١٦ وأحمد شلبي ، أوضح الاشارات : ١١٦-١١٨ ؛ ومما يجدر ذكره أن قطب الدين النهرواني (ت ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م) وضع كتابه «البرق اليماني في الفتح العثماني» تحقيق الشيخ حمد الجاسر ، الرياض (١٩٦٧م) تخليداً لحملة سنان باشا على اليمن .

(69) قنا (بكسر القاف وفتح النون) من أعمال قوص وهي شرقي النيل، بها ضريح السيد الجليل عبد الرحيم القنائي. وقد أصبحت في العهد العثماني جزءاً من ولاية جرجا، وفي سنة (١٢٤١هـ / ١٨٢٦م) أصبحت مركزاً مأمورية؛ انظر الوطواط، مباحج الفكر: ٩٧، والقلقشندي، صبح ٣: ٣٩٧، ورمزي، القاموس ق ٢/ ٤: ١٧٨-١٧٩.

(70) القصير: فرضة ولاية قوص على البحر الأحمر. كانت تصلها البضائع، وتنقل منها إلى فندق الكارم بالفسطاط إلا أنها لم تكن من مستوى عذاب، ومنها كان يذهب بعض المسافرين إلى اليمن؛ الوطواط: ٩٨ والقلقشندي ٣: ٢٤٠، ٤٦٥، ١٧: ٥، ٨٦.

(71) عبد الرحمن -جلبي أفندي، لعله المولى عبد الرحمن بن سيدي علي الأماسي الذي كان قد ولي قضاء حلب ثم بروسه ومنها نقل إلى أدرنه حيث تولى قضاء عسكر الروملي، ثم قضاء مكة المكرمة. وفي سنة (٩٨٣هـ / ١٥٧٥م) تولى قضاء العسكر ولم تحمد سيرته، انظر العقد المنظوم: ٤٧٧.

(72) برويز أفندي: يذكر الغزي عرضاً أنه تولى قضاء الشام حوالي (٩٦٣هـ / ١٥٥٥م) ويذكر شرف الدين موسى في تذكّره أنه كان شيخاً صالحاً وأقام بدمشق مدة وباشراً الأحكام بها سنة (٩٦١هـ / ١٥٥٣م). انظر تذكّرة شرف الدين موسى بن أيوب الأنصاري وقد لخص صلاح الدين المنجد منها ما يتعلق بالقضاء، ونشره ملحقاً لكتاب قضاة دمشق لشمس الدين بن طولون، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق (١٩٥٦م) ص: ٣٢٧ والكواكب ٣: ١٤١٠.

(73) حامد أفندي: ولد في مدينة قونية، وتدرّج في عدد من «المدارس العثمانية» وتولى قضاء الشام لمدة سنة تقريباً، ثم نقل إلى مصر لمدة ثلاث سنوات، ونيط به منصب قاضي عسكر الروملي (ت ٩٨٥هـ / ١٥٧٧م) انظر العقد المنظوم: ٤٨٧ - ٤٨٩.

(74) رئيس المحضرين: حول صاحب هذا المنصب في إحضار المطلوبين إلى المحكمة ومقدار ما كان يتقاضى من رسوم في محاكم ولاية دمشق، في القرن السادس عشر، انظر:

M. A. Bakhit, *The Ottoman Province of Damascus in the Sixteenth Century*, Librarie de Liban, Beirut, 1982, pp. 125-126

ومحمد نور فرحات، القضاء الشرعي في مصر في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٨٨)، ص: ٨١-٨٢.

(75) بدر الدين القرافي: محمد بن يحيى بن عمر بن يونس المالكي المصري، القاضي رئيس العلماء في عصره وشيخ المالكية. ألف عدداً من الكتب (ت ١٠٠٨هـ / ١٥٩٩م) راجع خلاصة الأثر ٤: ٢٥٨-٢٦٢ وريحانة الألباء ٢: ١٠٦.

(76) عباد الدين: هو محمد بن محمد الدمشقي العنابي الصالح الحنفي. من علماء دمشق، درس بالجامع الأموي وبمدرسة الريحانية والجوهرية والناصرية والجوانية والختونية، وشيخ بتدريس

اللغة والتفسير. قرأ عليه عدد من فضلاء دمشق ومن بينهم الحسن البوريني (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م)، تراجم الأعيان في أبناء الزمان، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق (١٩٦٣ م) ٢ : ٣٠٢ - ٣١٠؛ الغزي، الكواكب ٣ : ٤٠ - ٤١.

(٧٧) الشيخ شمس الدين ابن منقار: محمد بن قاسم (٩٣٤ - ١٠٠٥ هـ / ١٥٢٧ - ١٥٩٦ م) ولد بحلب وفيها طلب العلم، وفي سنة ٩٥٧ هـ / ١٥٥٠ م (عند المحبي ٩٦١ هـ / ١٥٥٣ م) سافر الى دمشق ورافق فيها عددا من علمائها من أبرزهم الشيخ اسماعيل النابلسي، وكان ممن حضر دروس الشيخ بدر الدين الغزي؛ ولي إمامة السليمية الى جانب تدريس المدرسة الماردانية والجوهير بالقصاعين. وكان يرأس رضي الدين الحنبلي الحلبي، ويشير المحبي الى مطارحاته ومراجعاته مع تقي الدين الحموي؛ الغزي، لطف السمر ١ : ١٤٣ - ١٥١؛ رضي الدين الحلبي، در الحب ٢ : ٤١٨ - ٤٢٨، والمحبي، خلاصة الأثر ٤ : ١١٥ - ١٣١ والمرادي، محمد خليل بن علي بن محمد مراد (١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ م): عرف البشام فيمن تولى فتوى دمشق الشام، تحقيق محمد مطيع الحافظ ورياض عبد الحميد مراد، دمشق (١٩٧٩ م) ص : ٤٠ - ٤٦.

(٧٨) الملا أسد الدين : ابن معين الدين التبريزي الدمشقي الشافعي، ولد في تبريز، وقدم مع والده الى دمشق وهو طفل، وكان يعرف العربية والفارسية والتركية. قرأ على علماء دمشق ودرس في عدد من مدارسها مثل الناصرية البرانية، كما درس بالجامع الأموي (ت ٩٩٨ هـ / ١٥٨٩ م) ودفن بالصالحية؛ البوريني، تراجم ٣٤٢ - ٣٤٨.

(٧٩) بروسه : حول تاريخها ودورها في تجارة الحرير وتصديره لأوروبا، وحول طبيعة سكانها غير المتجانسة من المسلمين والمسيحيين واليهود، انظر:

H. Inalcik, "Bursa" in *EI*², I, pp. 1333-1336.

(٨٠) جرجا (دجرجا) بليدة من أعمال الصعيد قرب إخميم، كان ينزلها بنو عمر من عشائر هواره. وفي العهد العثماني أصبحت قاعدة لمديرية تعرف باسمها. انظر ياقوت، معجم ٢ : ٤٨، ٥٠١؛ القلقشندي، صبح ١ : ٣٦٤، ٤ : ٦٩، ١٤ : ٣٧٤؛ رمزي، القاموس ٢ / ٤ : ١١٣ - ١١٤.

(81) النيريين : من ضراحي مدينة دمشق قرب الصالحية ، سكنها الرؤساء والأعيان ، وكانت عامرة في القرن الثامن الهجري ثم اخذت في الخراب . انظر : شمس الدين محمد بن طولون «ضرب الحوطة» ص : ١٦١ ، محمد كرد علي ، غرسة دمشق ، دمشق (١٩٥٣) ص : ٢٤٨ .

(82) أسنا : من الأعمال القوية ، وكان بها مزارع وبساتين حسنة وأعناب كثيرة ونخل كثير ، وكان بها مارستان وحمامات وأسواق ، وأصبحت سنة ١٨٢٦ م مركزاً لقسم عرف بها ثم أصبحت سنة ١٨٦٨ م مركزاً لمديرية . وفي سنة ١٨٨٨ م ألحقت بمديرية قنا ؛ الوطواط ، مباحج : ٩٧ ، والقلقشندي ، صبح ١ : ٣٨٠ ، ٣ : ٣٢٤ ؛ المقرئزي ، الخطط ١ : ٢٣٧ ؛ رمزي ، القاموس ق ٢/٢ : ١٥٠ - ١٤٢ .

(83) إبريم : مدينة بالنوبة لها قلعة ، ترد أحياناً باسم مدينة القبض لأنها كانت مركزاً للقائمين على تحصيل الأموال الأميرية وجبايتها . وفي سنة ١٩٠٤ م أعيد إليها اسمها القديم ؛ أنظر : المقرئزي ، الخطط ، تحقيق G. Wiet ، القاهرة (١٩٢٢) ق ٣/٢ : ٢٨٣ ؛ ورمزي ، القاموس ق ٢/٤ : ٢٣٠ .

(84) قاضي العسكر : لمعرفة مهامه ومسئوليته ، انظر :

Gy. Kaldy Nagy, "Kādi 'Askar", in *El²*, IV, PP. 375 - 376.

(85) القدموس : واحدة من سبع قلاع عرفت بـ «قلاع الدعوة» كان يسيطر عليها الحشاشون (الفداوية) . وتقع بالقرب من الحواري ، وكانت عملاً من قواعد المثلثة الشامية (طرابلس) ، وقد أستردها الظاهر بيبرس (٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م) من يد الإسماعيلية ، وأصل نيابتها إمرة عشرة ، انظر القلقشندي ، صبح ٤ : ١٤٧ ، ١٧٩ ، ٢٣٥ ، ١٧٧ : ٧ .

ويؤخذ من دفتر الطابو رقم : ٦٨ (تاريخ ٩٢٥ هـ) المحفوظ بمديرية محفوظات رئاسة الوزراء - استانبول أن قدموس كانت مركز ناحية تعرف باسمها ، ويتبعها عدد من القرى ، وكلها تكون جزءاً من لواء طرابلس الشام . ويفيدنا هذا الدفتر أن عدد سكان قصبة القدموس ١٧٠ خانة و ٣٠ مجرداً ، ويتبعها ثمان مزارع عليها مال مقرر مقداره ٢٠٠٠ ورسوم كرباس ١٢٥٠ ورسوم دلالة ٥٠٠ . ويلاحظ أن ضريبة خاصة تعرف باسم «درهم الرجال» كانت تجبى في ناحية القدموس من الناس لأن السكان كانوا من غير السنة بل من الإسماعيلية ، وكانت هذه الضريبة تجبى كنبالغ مقطوع وليست عينا . انظر :

TD 68, (925 H), pp. 251 - 52.

وفي دفتر أحدث من هذا يحمل رقم TD372 يعود تاريخه إلى (٩٣٢هـ) تفصيلات ، فهو يبين أن القدموس كانت مؤلفة من أربع محلات (صفحات هذا الدفتر غير مرقمة ولكن حسب ترقيمي لها تحتل المعلومات ص ٢٩٤ - ٢٩٧)

مجرد	خانة	
١٧	٣٦	- محلة شيخ نجم الدين المعروفة بالجوانية
٢٨	٥٧	- محلة شيخ عبد الكريم المعروفة بالوصطا (الوسطى)
٣٢	٤٥	- محلة التحتاني .
٠٤	٧٤	- محلة شيخ خميس (عيسى) بن يوسف الحداد المعروفة بترقيماني (تركمانى) .
		وكانت تجبى منها مقادير الضرائب التالية :
٦٠٠٠		- مال ديموس
١٠٠٠		- رسم بوية خانة (المصبغة)
٥٠٠		- رسم ولاية كرباس (الحرير، القز، الأقمشة)
٤٠٠		- رسم قصاب خانة
١٣٠٠		- باد هوا
<u>١٣٠٠</u>		اليكون

أما الدفتر رقم ١٠١٧ فيذكر واردات القدموس على انها من الخاص الشامي :

مجرد	خانة	
٥	٤٠	١ - محلة جوانية
١	٥٠	٢ - محلة وسطانية
-	٤٠	٣ - محلة يونس قضاة
-	٢٧	٤ - محلة عيسى حداد
٤٥٠٠		مال ديموس
١٠٠٠		رسوم يومن خانة مقطوع
٥٠٠		رسوم دلالية كرباس
٦٠٠٠		اليكون

ويلاحظ هنا كثرة عدد المجردين من بين مجموع السكان .

(86) رمضان أفندي الشهير بناظر زاده : أحد الموالى الروم ، وكان والده من زمرة القضاة ، ونشأ هو في طلب العلم ودرس في عدد من المدارس منها مدرسة يلدرم خان ، ثم درس بعد ذلك بإحدى المدارس التحتانية ، وشهد له بالعلم ؛ وكان مفتياً بالمثلثة العثمانية . ولي قضاء دمشق (٩٧٨هـ / ١٥٧٠م) وعزل في شوال (٩٧٩هـ / ١٥٧١م) ثم ولي قضاء بروسة (٩٨١هـ / ١٥٧٣م) ثم أدرنه ، وكانت وفاته اواسط شعبان (٩٨٤هـ / ١٥٧٦م) ؛ انظر: العقد المنظوم في أفاضل الروم : ٨٤٦ - ٨٤٧ وابن العماد الحنبلي ، شذرات ٨ : ٤٠٢ .

(87) التبعثري : هو الغضبان بن القبعثري الشيباني ، كان الحجاج قد أرسله إلى بلاد كرمان ليأتيه بأخبار عبد الرحمن بن الأشعث ، فبدلاً من ذلك انضم إلى ابن الأشعث وقال له : « تغد الحجاج قبل أن يتعشى بك » وصعد المنبر وذكر مثالب الحجاج . وبعد هزيمة ابن الأشعث وقع الغضبان في أسر الحجاج ، ويشير المحببي إلى محاورة جرت بينهما ، قال في بعضها : لأحملنك على الأدهم (يعني القيد) فأجابه : مثل الأمير من حمل على الأدهم والأسود (يعني ألوان الخيل) ؛ فقال الحجاج : ولكنه من الحديد ، فأجابه الغضبان : لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً الخ ؛ أي أنه كان يوجه المعنى إلى غير ما يريد الحجاج . انظر: مروج الذهب ٣ : ٣٥٥-٣٥٨ .

(88) صاحب القاموس : هو مجد الدين الفيروزآبادي محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم الشيرازي اللغوي الشافعي (٧٢٩ - ٨١٧ هـ / ١٣٢٩ - ١٤١٤ م) ولد بكازرون من أعمال شيراز، وارتحل إلى العراق حيث قرأ في واسط، ثم تنقل في البلدان فدخل دمشق (٧٥٥ هـ / ١٣٥٢ م) وبعلبك وحماة وحلب والقدس والقاهرة وتوفي بزبيد، له عدد كبير من المؤلفات؛ انظر شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م) الضوء اللامع ٩ : ٧٩ - ٨٦.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فهارس الرحلة

١ - فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾	البقرة	٢٦	٢٩ هـ *
﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	البقرة	١٢٧	٣٧
﴿... إنا لله وإنا إليه راجعون﴾	البقرة	١٥٦	٦٤
﴿أَوَكَلَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا...﴾	البقرة	٢٥٩	٦٣ هـ
﴿... وانظر إلى حمارك...﴾	البقرة	٢٥٩	٢٩ هـ
﴿... فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾	آل عمران	١٥٩	٣٧
﴿... فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا...﴾	النساء	٤٣	٨١ هـ
﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾	النساء	١٤١	٦٣
﴿... فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا...﴾	النساء	١٢٨	٧٠
﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا...﴾	المائدة	٦٤	٤٨ هـ
﴿... وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ...﴾	التوبة	٢٥	٨٢ هـ
﴿... بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا...﴾	هود	٤١	٨٧, ٦٥
﴿... وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾	يوسف	٧٦	٤٥
﴿... ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾	يوسف	٩٩	٤٣
﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ...﴾	الحجر	٤٦	٧٢
﴿... فَأَصْبَحَ يَقْلُبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا...﴾	الكهف	٤٢	٦٣
﴿مَاهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا...﴾	الكهف	٤٩	٦٤

★ هـ = تعني أن الآية قد وردت في هامش الصفحة المذكورة.

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنِّي أَنسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هَدًى ﴾	طه	١٠	٤٤ هـ
﴿ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴾	طه	٥٨	٨٠ هـ
﴿ بَلْ يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾	الأنبياء	١٨	٥٠ هـ
﴿ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾	الأنبياء	٩٦	٢٧ هـ
﴿ وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾	المؤمنون	٥٠	٨١ هـ
﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾	النور	٣٦ ، ٣٧	٦٣ هـ
﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾	النور	٤٣	٣١ هـ
﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾	الفرقان	٢٣	٤٥ هـ
﴿ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾	الفرقان	٢٦	٣٥ هـ
﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي سُُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴾	النمل	٢١	٨٦ هـ
﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنِيٍّ يَقِينٍ ﴾	النمل	٢٢	٨٦ هـ
﴿ إِنِّي الْقَيِّمُ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾	النمل	٢٩	٨٣ هـ
﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾	القصص	٢٢	٢٩ هـ
﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾	القصص	٨٥	٤٢ هـ
﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾	الاحزاب	٢١	٦٥ هـ
﴿ وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴾	فاطر	١٤	٨٨ هـ
﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾	فاطر	٣٤	٩٠ هـ

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة	السورة
﴿ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾	٣٥	٩٠	فاطر
﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُ الْخَصَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمَحْرَابَ ﴾	٢١	٣٥ هـ	ص
﴿ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ﴾	٣٣	٨٧	الشورى
﴿ . . . وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾	٢٩	٣٦	الشورى
﴿ وفيها ما تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾	٧١	٢٧ هـ	الزخرف
﴿ . . . سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾	٧	٩٣	الطلاق
﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمَرٍ ﴾	١١	٣٧ هـ	القمر
﴿ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾	٢٧	٥٥ هـ	الرحمن
﴿ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾	٧٢	٧٦ هـ	الرحمن
﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾	١	٤٥ هـ	الإنسان
﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾	٨	٨٧ هـ	الفجر
﴿ . . . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾	١٣	٨٢ هـ	الفجر

٢ - فهرس الأشعار

قافية الهمزة

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
وكيف	الفضلاء	الطويل	٢	(٠٠٠٠)	٤٦

قافية الألف

رفعت	الخفضا	الطويل	١	(٠٠٠٠)	٩٢
إلهي	الفضا	الطويل	٢	(٠٠٠٠)	٤٩
ورد	المنى	الكامل	٢	(٠٠٠٠)	٩١

قافية الباء

لجودك	لُبُّ	الطويل	٢	(٠٠٠٠)	٢٧
ولو	معتبُ	الطويل	١	(٠٠٠٠)	٦٤
إذا هبت	هبوبها	الطويل	٢	ذوالرمة	٣٩
بلاد	تراها	الطويل	١	بعض الأعراب	٣٩
ما في	محبوبُ	البسيط	٢	(٠٠٠٠)	٢٤
ما بين	مقرب	البسيط	٨	(٠٠٠٠)	٤١
رآه	الغريب	الوافر	٢	محب الدين الحموي	٣١
كتبت	تُجَابُ	الوافر	٢	(٠٠٠٠)	٨٩
مامصرُ	مطلبُ	الكامل	٤١	(٠٠٠٠)	٨٤-٨٣
بحاميم	محبُ	المتقارب	١	محب الدين الحموي	٤٧
ودمتُ	حبيبها	الطويل	١	ابن الصانع	٦١
إذا كنت	فتغرب	الطويل	٢	(٠٠٠٠)	٣٨
رأيت بها	غريب	الطويل	١	(٠٠٠٠)	٤٠
يا من	بالطربِ	البسيط	٢	(٠٠٠٠)	٨٨

قافية التاء

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
مُد صَحَّ	همتي	الكامل	٢	(٠٠٠٠)	٥٥
<u>قافية الحاء</u>					
أرى الحسن	مشروخ	الطويل	٢	ابن نباته المصري	٢٨
سأبكيه	الجوانح	الطويل	٢	أشجع السلمي	٦٥
أخذنا	الأبطاح	الطويل	١	كثير	٢٤
وليس	مادحي	الطويل	١	(٠٠٠٠)	٥٦
يانسمة	روحي	البسيط	٢	(٠٠٠٠)	٥٠
<u>قافية الدال</u>					
يقبَّل	مقاصد	الطويل	٢٤	(٠٠٠٠)	٩٤
يامن	ولدٌ	البسيط	٢	ابن الوردي	٩٤
بلد	جديدٌ	الكامل	٢	ابن الرومي	٤٠-٣٩
كالفرقدين	فرقدٍ	الكامل	١	البحثري	٥٨
غَبَّ	الوداد	الخفيف	٢٠	محب الدين الحموي	٧٨-٧٧
<u>قافية الراء</u>					
أطفك	الفجرُ	الطويل	٢٩	محمد الفزاري	٧٦-٧٥
وأنَّ	لصبورُ	الطويل	١	(٠٠٠٠)	٩٠
أأحبابنا	مِدرارُ	الطويل	٤	(٠٠٠٠)	٩٠
وألقت	المسافرُ	الطويل	١	المعفر بن أوس	٨٩
سلام	وتتشرُ	الطويل	٩	الشيخ عماد الدين	٨٧
يا جيرة	يستعرُ	البسيط	٧	(٠٠٠٠)	٨٣-٨٢
من السعادة	تذكائرُ	البسيط	٢	(٠٠٠٠)	٨٣
إذا	نفورُ	الرافع	٢	حيص بيص	٩٥
فلكلِّ	نظير	الكامل	١	(٠٠٠٠)	٦٤
إنَّ	الأعمارُ	الكامل	٢	عتاب بن ورقاء	٩١

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
لعمرك	الشعرا	الطويل	٢	ابن أبي حفصة	٣٤
عتبت	العذرا	الطويل	٢	(٠٠٠٠)	٦٢
لما تملك	استعرا	البسيط	٣	محب الدين الحموي	٤٦
أحنُّ	القدر	الطويل	٣	مُلاًّ أسد الدين	٨٠
أتاني	الفخر	الطويل	٩	محب الدين الحموي	٨٠
سلام	بزهرة	الطويل	١٢	علي المالكي	٧٤
ولو	والنثر	الطويل	٢	محب الدين الحموي	٧٦
وأبرحُ	الديار	الوافر	١	إسحق الموصلي	٢٨
ولقد	بذكره	الكامل	١	(٠٠٠٠)	٤٨
أيها	ظفر	الخفيف	٢	(٠٠٠٠)	٤٩
أسعد الله	الشهيرة	الخفيف	٥	محب الدين الحموي	٥٩
دمت	خير	الخفيف	١٠	بدر الدين الوافي	٥٩ - ٦٠

قافية السنين

وجت	الأنفاس	الكامل	٢	ابن عبد ربه	٤٣
ألا	مغرس	الوافر	٢	(٠٠٠٠)	٦٢

قافية العين

لقد كنت	يتضوع	الطويل	٢	(٠٠٠٠)	٤٥
ولا تذكريني	فتدعا	الطويل	٢	(٠٠٠٠)	٤٢
لي في الشام	مودعي	الكامل	٢	(٠٠٠٠)	٢٤

قافية الفاء

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
فواعجبا	الصُّحُفُ	الطويل	٣	(٠٠٠٠)	٦٣
ولقد	تعرف	الكامل	١	(٠٠٠٠)	٦٧
وقبلتها	الألفِ	الطويل	١	(٠٠٠٠)	٧٦

قافية القاف

إمامٌ	قفُ	الطويل	٢	(٠٠٠٠)	٢٥
لواءُ	تُشْرِقُ	الطويل	٢٥	محب الدين الحموي	٨٠
قسم	يفرق	الكامل	٣	محب الدين الحموي	٣٠
لي نحو	أتمزقُ	الكامل	١٠	(٠٠٠٠)	٩٠
وإنما الشعر	حُمُقا	البسيط	٢	حسان بن ثابت	٣٣
وكل	الصدیقِ	الوافر	١	(٠٠٠٠)	٩٣
إذا	نسق	الطويل	١	محمد الفارضي	٦٠
إذا	اتسقَ	الطويل	٢	محب الدين الحموي	٦٠

قافية الكاف

يامن	ارتحالك	مخلع البسيط	٢	الإمام الغزالي	٣٦
------	---------	-------------	---	----------------	----

قافية اللام

ألاهل	وأسائلهُ	الطويل	١	(٠٠٠٠)	٨٧
فما زالت	أشكُلُ	الطويل	١	(٠٠٠٠)	٦٣
إذا عدَّ	عيالُ	الطويل	٢	(٠٠٠٠)	٤٦
يا شيخ	فواضلهُ	البسيط	٦	محب الدين الحموي	٣١
أي	مهلا	الطويل	١	(٠٠٠٠)	٦١
واها له	فتولها	الكامل	١	(٠٠٠٠)	٣٩

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
شكراً	طَوَّلُهُ	الكامل	٢	(٠٠٠٠)	٣٥
نزلتْ	المحل	الطويل	٢	الأخضر الطائي	٤٠
سلام	شمالي	الطويل	٣	(٠٠٠٠)	٤٢
ما دامت	عمل	البسيط	٣	(٠٠٠٠)	٩٥
إن كان	يزل	البسيط	٢	(٠٠٠٠)	٩٣
إنَّ	الآجال	الكامل	٣	(٠٠٠٠)	٩٢

قافية الميم

ولو	البهائم	الطويل	١	أبو تمام	٥٨
ألا أن	قديمها	الطويل	١	مجنون ليلى	٤٤
إذا	الخيام	الوافر	٢	(٠٠٠٠)	٨٨
والأحمق	المحروم	الكامل	١ ^٤	(٠٠٠٠)	٥٧
تذكر	دما	الطويل	٢	ابن خطيب داريا	٣٨
فكيف	كرام	الوافر	١	الفرزدق	٥٢
أيا	عزما	الوافر	١٠	بدر الدين القرافي	٧٣ - ٧٢
أتاني	نظما	الوافر	١٠	محب الدين الحموي	٧٣
ولو	المتيم	الطويل	١	المتنبي	٨٢
من يوم	بمنام	الكامل	٢٠	شمس الدين بن المنقار	٧٩ - ٧٨
وردتْ	بَسَام	الكامل	١٩	محب الدين الحموي	٧٩
قومي	سهمي	الكامل المرفل	٢	(٠٠٠٠)	٩٢

قافية النون

أقاطنْ	قطنا	البسيط	١	(٠٠٠٠)	٤٢
وكانتْ	الزمان	الوافر	٢	(٠٠٠٠)	٨٢

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم انصفحة
وليت	الغنقوان	الوافر	٢	(٠٠٠٠)	٩٥
لك	قان	الكامل	١	(٠٠٠٠)	٤٠
بلاد	بالحسن	الطويل	٢	(٠٠٠٠)	٣٨
<u>قافية الهاء</u>					
لله	وأهناها	السريع	٢	(٠٠٠٠)	٥٢
<u>قافية الياء</u>					
زادوه	السوي	الكامل	١	ابن الوردي	٢٥
وقد	تلاقيا	الطويل	١	مجنون ليلي	٨٨
لو أدرك	معانيها	البسيط	٣	(٠٠٠٠)	٤٤
واهاً	ماضيها	البسيط	٢	(٠٠٠٠)	٥٢
ما في	نجاره	البسيط	١	(٠٠٠٠)	٣٧
وكنك	عمي	البسيط	١	(٠٠٠٠)	٩٢
يا ذا	الماضي	السريع	٤	(٠٠٠٠)	٩٥
ربّ	عليه	الخفيف	١	يونس بن مسرة الدمشقي	٨٣

٣ - فهرس أنصاف الأبيات

البيت	الشاعر	البحر	رقم الصفحة
وأما الذي في القلب منها فراسخ	(٠٠٠٠)	الطويل	٥٣
وتستعذب الأرض التي أنت حلّها	(٠٠٠٠)	الطويل	٥٤
سُلُو رضيع قد علاه فطامُ	(٠٠٠٠)	الطويل	٦٣
كفى حزناً اني مقيمٌ ببلدة	(٠٠٠٠)	الطويل	٣٧
وهل عند رسم دارس من معول	امرؤ القيس	الطويل	٤١
أحبُّ شيءٍ إلى الانسان ما منعا	(٠٠٠٠)	البسيط	٣٤
لا بد للمرء من مال يعيش به	(٠٠٠٠)	البسيط	٩٥
من لم يمت يوم بين لم يمت أبدا	(٠٠٠٠)	البسيط	٣٦
يا جيرة الشام هل نحوكم خبر	(٠٠٠٠)	البسيط	٧٦
ولوعة البين تأبى أن تمّدا	(٠٠٠٠)	البسيط	٣٦
إذا وقع الذباب على طعام	(٠٠٠٠)	الوافر	٩٥
عرف المحلّ فبات دون المنزل	(٠٠٠٠)	الكامل	٢٦
فكانا هلالين عند النظر	(٠٠٠٠)	المتقارب	٢٧

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس
٤ - فهرس الأعلام

العلم	الحرف	رقم الصفحة
أ		
ابن أبي حفصة (مروان الأصغر بن أبي الجنوب)	أ	٣٣ ، ٣٤ ، ١٠١
أحمد بن شعبان		١٤ ، ٢١ ، ٤٣
أحمد بن محمد الذهبي		٢٠
أحمد بن مولانا العربية		٧٠
الأدكاوي (أحمد بن عبدالله بن عبدالله)		٢١
أرسطاطاليس		٩٥
اسكندر باشا		١٥ ، ١٦ ، ٤٤ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١١٢
إسماعيل النابلسي (إسماعيل بن أحمد بن الحاج إبراهيم)		١٤ ، ١٥ ، ٥١ ، ٨٠ ، ١٠٧ ، ١١٤
ب		
باقل الإيادي		٤٧ ، ٨٥ ، ١٠٦
البحري (أبو عبادة الوليد بن عبيد)		٥٧
البخاري (أبو عبدالله محمد بن إسماعيل)		٥٧
بدر الدين الغزي		٩٧
برويز أفندي		٧١ ، ١١٣
بطليموس		٦٠
بقراط (أبقرط)		٦٠
البيضاوي (أبو سعيد ناصر الدين عبدالله)		٩ ، ٣٢ ، ١٠١
تقي الدين بن القاضي معروف		١٣ ، ٤٢ ، ٨١

العلم	الحرف	رقم الصفحة
	ج	
جالينوس		٦٠
الجميل (لقب طالب علم)		٢٨، ١١
جوي زاده (محمد بن محمد)		٧، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٥، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٦٦، ٧٦، ٨٢، ٨٦، ٩١، ٩٧.

	ح	
حامد أفندي		١١٣، ٧١
الحجاج بن يوسف الثقفي		٩٢
ابن حجة الحموي (تقي الدين علي بن عبد الله)		١٠٥
حذام		٥٦
حسام (رئيس المحضرين)		١١٣، ٧٢، ٧١
حسن بن الناصر (السلطان)		١٠٩، ٥٩

	خ	
ابن خطيب داريا (محمد بن سليمان بن يعقوب الدمشقي)		١٠٣، ٣٨
الخليل (إبراهيم عليه السلام)		١٠٢، ٥١

	ذ	
الذيب (محمد الحنفي المفتي)		١٠٩، ٥٩، ٥٨

العلم	الحرف	رقم الصفحة
	ر	
رمضان أفندي (ناظر زاده)		١١٧ ، ٨٦ ، ١٧
	ز	
زكريا الأنصاري (زكريا بن محمد بن زكريا)		١١١ ، ٦٢ ، ١٥
	س	
سحبان وائل		١٠٦ ، ٧٢ ، ٤٧ ، ٤٤
ابن سناء الملك (أبو القاسم هبة الله)		١٠٧ ، ٥٤
سنان باشا		١٦ ، ١٧ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ١١٢ ، ٧١
السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن)		١٠٣
	ش	
الشافعي (محمد بن إدريس)		١١٠ ، ٦٢ ، ١٥
الشافعي (محمد بن أحمد بن حمزة الرملي)		١٠٨ ، ٥٦
الشريف الرضي		٩٤
الشريف محمد (والي دمنهور)		٧٠
الشعراوي (عبد الوهاب بن أحمد بن علي)		١٠٧ ، ٤٨
شهاب الدين أحمد بن قاسم		١٠٨ ، ٥٨
	ص	
ابن الصائغ (الشيخ سري الدين الحنفي المصري)		١١٠ ، ٦٠
	ط	
الطبلاوي (أبو النصر ناصر الدين)		١٠٨ ، ٥٧
الطغرائي (مؤيد الدين إسماعيل الإصبهاني)		١٠٣ ، ٣٧

العلم	الحرف	رقم الصفحة
	ع	
عاطف أفندي		٢٢، ٢١، ٢٠
عبد الرحمن جلبي أفندي		١١٣، ٧١
عبد الفتاح (شخص في نيابة تزمنت)		٤٨، ٤٧
عبد النبي بن جماعة		١٠١، ١٢، ٣١، ٦٢، ١٠١
عقبة بن عامر الجهني		٦٢، ١٥
أبو العلاء المعري (أحمد بن عبد الله بن سليمان)		١٠٨، ٤٥
ابن علوان (محمد بن علي بن عطية الحموي)		١٠٤، ٤٠، ١٣
علي بن الجهم		١٠١، ٣٤، ٣٣
علي بن الحسين بن زين العابدين		١١١، ٦٢، ١٥
علي المالكي		٦٥، ٣٤، ٣٢، ١٩، ١٦، ١١
		١٠٠، ٧٤
عماد الدين (محمد بن محمد الدمشقي)		١١٣، ٧٦
عمر بن الفارض		١١١، ٦٢، ١٥

غ

٣٦

الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد)

ف

الفارضي (الشيخ شمس الدين محمد)	١١٠، ٧٣، ٦١، ٦٠
فوري أفندي (أحمد بن عبد الله المفتي)	٣٣، ٣٢، ٣١، ٢٩، ٢٧، ٢٦
	٩٧، ٧١، ٦٤، ٣٦، ٣٥، ٣٤
الفيروز آبادي (صاحب القاموس)	١١٨

العلم	الحرف	رقم الصفحة
	ق	
القبعثري (الغضبان بن القبعثري الشيباني)		١١٧ ، ٩٢
القراقي (بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر المالكي)		١١٣ ، ١٠٩ ، ٧١ ، ٥٩
قس بن ساعدة		٨٦ ، ٨٥
	ك	
كعب الأحبار		١١٢ ، ٦٢
	ل	
الليث بن سعد		١١١ ، ٦٢ ، ١٥
	م	
محمد (صلى الله عليه وسلم)		٩٤ ، ٦٨ ، ٦٥ ، ٥١ ، ٢٣ ، ٢١
محمد (القاضي بدمنهور)		٧٠
محمد البكري (شمس الدين محمد بن علي)		١٠٦ ، ٤٤ ، ١٥ ، ١٤
محمد طه الأمين		٢١
محمد الظاهر		
محمد علاء الدين ابن الشيخ محمد		٢١
محمد بن الفراء الدمشقي		١١٣ ، ٨٨ ، ٨٦ ، ١٨
محمد الفزاري		٧٤ ، ١٧
محيي الدين أفندي		٩٣
أبو المرقال (كمال الدين محمد بن موسى الدميري)		٩٢
معلول زاده أفندي (محيي الدين محمد بن محمد)		٩٨ ، ٩٣ ، ٩١ ، ٢٥ ، ١٨ ، ١١ ، ١٠
المقدسي (علاء الدين علي بن محمد الحنفي)		١٠٩ ، ٥٨
الملا أسد الدين (ابن معين الدين التبريزي)		١١٤ ، ٧٩
الملا مغوش التونسي (محمد بن محمد بن مغوش)		١١١ ، ٦٢ ، ١٥

العلم	الحرف	رقم الصفحة
منشي أفندي (قاضي منوف)		٧١
ابن المنقار (الشيخ شمس الدين محمد بن القاسم)		١١٤ ، ٧٨
موسى عليه السلام		١٧ ، ٣٥ ، ٧٤ ، ١٠١

ن

ابن نباتة المصري (أبو بكر جمال الدين محمد)	٩٩ ، ٢٨
نجم الدين الغيطي (محمد بن أحمد بن علي)	١٠٨ ، ٥٧
السيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن	١١١ ، ٦٥ ، ٦٢
ابن علي بن أبي طالب	
نور الدين العسيلي (علي بن محمد المصري الشافعي)	١٠٤ ، ٥٥ ، ٢٣ ، ١٥

هـ

أبو الهول (لقب أحد العلماء المصريين)	٣١ ، ٣٠
--	---------

ي

يوسف الشامي (الشيخ الجمال يوسف بن القاضي زكريا)	١٠٨ ، ٥٨ ، ٥٧
---	---------------

٥ - فهرس الطوائف والقبائل والجماعات

أ

١٢	أبناء القدس
١٠٢، ٧٦، ٣٨	إخوان الصفاء
١٠٣	الأكراد
٧٤، ٤٠	آل المهلب
٦٣، ١٥	الإمام المسلمين
١٣، ١٢	الأنبياء والصلحاء
٧٢	أهالي القاهرة
٥٠	أهل الباطل
٤٧	أهل ترمذ
٦٠	أهل العصر
٧٣، ١٧	أهل فوة (أهالي فوة)
٢٧	أهل اللغة

ب

١٦	بطانة حاكم القاهرة (بطانة اسكندر باشا)
----	--

ت

١٠٣، ٢٦	التركمان
---------	----------

خ

٦٧، ٦٤، ٦٢	الخاص (الخواص)
٦٧	الخاص، والعام

ش

١٢

الشعراء

١٧

شعراء الشام (في عهد محب الدين)

ص

٧٢ ، ٦٨ ، ٦٢ ، ١٥

الصحابة والأئمة والأولياء الكرام (في القاهرة)

ط

٦٣ ، ٣٥

طائفة الكفار

٩٧ ، ٢٤

طائفة النصارى (في القدس)

٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ١١

طلبة العلم المصريون

ظ

٥٤

ظرفاء الشعراء

ع

١٠٦ ، ٤٤

عذرة (بنو)

٣٢

علماء دمشق الشام

١٠

علماء الشام ومصر

٥٧ ، ١٥

علماء الديار المصرية

٤٥ ، ١٤

علماء القاهرة

٥٨ ، ٣٥ ، ١٣ ، ١٢

علماء ومشايخ الإسلام

٦٧ ، ٦٤ ، ٦٢ ، ٢٩

العوام

ق

١٦

قضاة البلدان

٧١ ، ٥٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٣

قضاة الديار المصرية / قضاة مصر

م

١٥	المجتمع القاهري
٦٣ ، ٥٦ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ١٥	المسلمون
٥١ ، ٣٥	مشايخ الإسلام
٦٩	معاشرة القضاة

ن

١٠	نصارى القدس
٦٨	نواب الشافعية

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

٦ - فهرس الأماكن والبلدان

المكان أو البلد	رقم الصفحة
أ	
ابريم	١١٥ ، ٨٣ ، ١٦
استانبول (استنبول)	٩٦ ، ٩٤ ، ١٩ ، ١٨
الاسكندرية	٧١ ، ٧٠ ، ٦٧ ، ١٦
أسنا	١٠٥ ، ٦٣ ، ١٧
الأشرفية	٥٩
الأقصى	٣٥ ، ١٣ ، ١٠
ب	
بركة القرع	١٠٧ ، ٥٤
بروسة (محمية بروسه) ، بروسا	١١٤ ، ٨٤ ، ٨٢ ، ٨١ ، ١٧
بليس الشرقية	١٠٥ ، ٤٢ ، ١٣
بولاق (متنزه)	١٠٧ ، ٦٣ ، ٥٢ ، ١٥ ، ١٤
ت	
التركان (منزل)	٢٦
تزمينت	١٠٦ ، ٦٧ ، ٦٤ ، ٤٧ ، ١٦
تونس	٦٢
ج	
جبل طور زيتا	٩٩
جرجا (دجرجا)	١٠٤ ، ٨١ ، ١٧
جلق	١٠٠ ، ٣١ ، ٢٨ ، ١١
الجيزة	١٠٣ ، ١١٢ ، ٦٢ ، ٥٣

ح

الحرم الشريف	٣١ ، ١١
الحجاز	٧٨
حلب	٤١
حماة	١٣ ، ١٤ ، ٣٨ ، ٧٣ ، ٨٧ ، ٨٩
حمص	٧٣
حوران	٩٣

خ

الخانقاه (محمية)	١٣ ، ٤٣ ، ١٠٥
خليل الرحمن (مدينة الخليل)	١٣ ، ٣٦ ، ١٠٢

د

دجلة	٦٣
الدشيشة	٦٧
دمشق (دمشق الشام، جلق)	١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٤ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٧ .
دمنهور	١٦ ، ٦٧ ، ٧٠
دمياط	١٨ ، ٨٧
الديار الحموية	٤٦
الديار الرومية	١٩ ، ٢٠ ، ٩٦

ر

رشيد	١٦ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠
الرملة	٩٩

س

سبأ

٨٦

ش

الشام

١٠ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٢٦ ،
٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥١ ،
٥٣ ، ٥٤ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ،
٨١ ، ٨٩ ، ٩٣ .

الشيخونية

١٠٩ ، ٥٩

ص

الصخرة المشرفة

١٠ ، ١٣ ، ٣٥

الصعيد (بلاد الصعيد)

١٧ ، ٨١ ، ٨٥

ط

طبرية

٩٨

طرابلس

١٨ ، ٨٧ ، ٨٨

ع

العراق

٤٥ ، ٨٢

عيون التجار (منزل)

١٠ ، ٢٥ ، ٩٨

غ

غزة

١٣ ، ٣٧ ، ١٠٣

ف

فوة

١٦ ، ١٧ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ،
٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ١١٠

الفيوم (محروسة الفيوم)

١٦ ، ٧٠ ، ٨٩

ق

قاسيون	٥٣
القاهرة	١٠، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٥، ٢٣، ٢٦، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٥١، ٥٥، ٦٢، ٦٤، ٦٦، ٧٢، ٧٦، ٨٦، ٨٧، ٩١
قبر زكريا الأنصاري	١٥
قبر عقبة بن عامر الجهني الصحابي	١٥، ٦٢، ١١٠
قبر علي بن الحسن بن زين التابدين	١٥، ٦٢، ١١١
قبور أولاد ابراهيم	١٣، ٣٧
قبور الصالحين	٦٦
قبور العلماء	٦٢
القدس	١٠، ١١، ١٢، ١٣، ٢٤، ٢٧، ٣١، ٣٧
قدموس	١٧، ١٨، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩٣، ٩٤، ١١٥
القسطنطينية	٧١
قصر ابن حجة	٤١
التحصير	١٦، ١٧، ٦٥، ٧٢، ٨١، ١١٣،
قطيا (قطية من عمل بليس الشرقية)	١٣، ٤٢، ١٠٥
قنا	١٦، ١٧، ٦٥، ٧٢، ٨١، ١١٢

ك

الكنيسة الكائنة في القدس الشريف	٢٤
---------------------------------	----

ل

لدّ

٩٩ ، ١٦ ، ١١

لوية (منزل)

٩٨ ، ٢٥ ، ١٨ ، ١٠

م

متنزهات دمشق

١٤

محكمة مصر

٦٨

محمية الخانقاه

٤٣ ، ١٣

محمية قنا

٨١

المدرسة الاشرفية

١٠٩ ، ٥٩ ، ٥٨

المدرسة السرياقوسية

٦٥ ، ١٦

مدرسة السلطان حسن الفقهية المالكية

١٠٩ ، ٥٨

المدرسة السليمانية

٩٧

المدرسة القاتبيائية

١٠٠ ، ٣١ ، ١٢ ، ١١

المدينة المنورة

٩٤

مزارات الخليل

١٣

مشاهد الصحابة في القاهرة

١٥

مشهد زكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام

٩٩ ، ٢٧

مشهد معاذ بن جبل

٩٩ ، ٢٧

مصر، الديار المصرية، المملكة المصرية

١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ،

١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣١ ،

٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ،

٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ،

٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٥٨ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٨ ،

٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩١ ،

٩٣ .

المكان أو البلد	رقم الصفحة
مقامات بعض الأنبياء والصالحاء	١٢، ١٣
مقامات وقبور الأنبياء في الخليل	٣٧
مقام إبراهيم	١٣
مقام الإمام الشافعي	١٥، ١١٠
مقام السيدة نفيسة (ابنة الحسن بن زيد بن الحسن)	١٥، ٦٢، ١١١
مقام عمر بن الفارض	١٥، ٦٢
مقام الليث بن سعد	١٥، ٦٢
مقام موسى	١٧، ١٠١
مقبرة باب الصغير	٩٧
مكتبة جامعة كيمبرج	١٩، ٢١
المكتبة الظاهرية	٢٠، ٢١
مكتبة عاطف أفندي	٢٠، ٢٢
مكتبة ييل	٢١
منوف	١٦، ٧١
ن	
النيربين	٨٣، ١١٥
نابلس	٩٩
نجد	١٩، ٤٤
النيل	٦٣، ٧٨، ٨٣
و	
وادي السباع	٥٢

٧ - فهرس المصادر والمراجع

١ - المصادر العربية

أ - المصادر العربية المخطوطة

- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٢٦م) ،
الوافي بالوفيات ، مخطوطة البودليانة بأكسفورد ، رقم ٢٣١ من مجموعة ارش . سلد .
محب الدين الحموي ، محب الدين بن تقي الدين (ت ١٠١٦هـ / ١٦٠٧م) ،
رحلتنا الحموي (حادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية وبوادي الدموع العندمية بوادي
الديار الرومية) ، مخطوط مكتبة جامعة كيمبرج رقم (QQ 129) .
محب الدين الحموي ، محب الدين بن تقي الدين (ت ١٠١٦هـ / ١٦٠٧م) ،
رحلتنا الحموي (الرحلة المصرية والرحلة الرومية) ، مخطوط مكتبة عاطف أفندي ، رقم
(٢٠٣٠) ، اسطنبول .
محب الدين الحموي ، محب الدين بن تقي الدين (ت ١٠١٦هـ / ١٦٠٧م) ،
رحلة مولانا القاضي محب الدين الحموي المسماة بحادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية ،
المكتبة الظاهرية ، رقم (٦٩٨٥) ، دمشق .
محب الدين الحموي ، محب الدين بن تقي الدين (ت ١٠١٦هـ / ١٦٠٧م) ،
رحلة القاضي محب الدين مع جوي زاده إلى الديار المصرية ، مكتبة الظاهرية ، مخطوط رقم
(٨٣٨٧) ، دمشق .
محب الدين الحموي ، محب الدين بن تقي الدين (ت ١٠١٦هـ / ١٦٠٧م) ،
رحلة القاضي محب الدين الحموي ، مكتبة بيل .

ب - المصادر العربية المطبوعة

- القرآن الكريم
إخوان الصفاء ،
رسائل إخوان الصفاء ، بيروت ، ١٩٥٤
الإصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسن (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م) ،
كتاب الأغاني ، دار الثقافة ، بيروت (د . ت) .
الأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦هـ / ٨٣١م) ،
الأصمعيات ، تحقيق أحمد محمد شاكر . وعبد السلام هارون ، ط ٥ ، بيروت (د . ت) ،
نسخة مصورة عن الطبعة المصرية .

- امروء القيس ، الحارث بن عمرو بن حجر ،
ديوان امرىء القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
ابن إياس الحنفى ، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م) ،
بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ، ١٩٦١ - ١٩٦٣ .
البحترى ، أبو عبادة الوليد بن عبيد (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) ،
ديوان البحترى ، تحقيق حسن كامل الصيرفى ، ط ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٢ .
ابن بسام الشنترينى ، أبو الحسن علي (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) ،
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٩ .
بشار بن برد ، أبو معاذ بن برد العقيلي (ت ١٦٧ هـ / ٧٨٣ م) ،
ديوان بشار بن برد ، تحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع والنشر ،
تونس ، ١٩٧٦ .
البغدادى ، إسماعيل باشا (١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م) ،
هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، ط ٢ ، مطبعة المعارف ، اسطنبول ، ١٩٥٥ .
البكرى ، أبو عبيد بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٨٥ م) ،
سمط اللآلى في شرح أمالي القالى ، تحقيق عبد العزيز الميمنى ، القاهرة ، ١٩٤٦ .
البورينى ، الشيخ حسن بن محمد (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) ،
تراجم الأعيان في أبناء الزمان ، ط ٢ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمى
العربى . بدمشق ، ١٩٥٩ - ١٩٦٣ .
التجيبى ، أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد بن زيادة الله (من علماء القرن السادس الهجرى / الثانى عشر
الميلادى) ،
المختار من شعر بشار ، تحقيق محمد بدر الدين العلوى ، القاهرة ، (د . ت) .
أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م) ،
ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى ، تحقيق محمد عبده عزام ، ط ٣ ، دار المعارف بمصر ،
١٩٧٢ .
التوحيدى ، أبو حيان علي بن محمد (ت ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م) ،
الامتناع والمؤانسة ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ، القاهرة ، ١٩٣٩ .
الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) ،
التمثيل والمحاضرة ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، دار إخبار الكتب العربية ، القاهرة ،
١٩٦١ .
الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) ،
الإيجاز والإعجاز ، نشر اسكندر أصف ، (د . ت) .
الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) ،
البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

ابن الجهم، علي بن بدر (ت ٢٤٩هـ / ٨٦٣م)،

ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك، دمشق، ١٩٤٩.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي (ت ١٠٦٨هـ / ١٦٥٧م)،

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ٢م، تحقيق محمد شرف بالتقاي

ابن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)،

تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، ١٩٨٢.

ابن حجة الحموي، أبو بكر تقي الدين علي (ت ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م)،

ثمرات الأوراق (مطبوع على هامش المستطرف لشهاب الدين محمد بن أحمد

الإبشيهي)، تصوير دار الفكر، بيروت (د. ت) عن طبعة مكتبة الإستقامة، القاهرة،

١٣٧٩هـ.

ابن حجة الحموي، أبو بكر تقي الدين علي (ت ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م)،

خزانة الأدب وعاية الأرب، المطبعة الخيرية، القاهرة (١٣٠٤هـ / ٦٨٨٦م)،

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)،

الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٠م.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)،

تهذيب التهذيب، حيدر آباد الدكن، (١٣٢٥هـ - ١٣٢٧هـ)،

حسان بن ثابت (ت ٥٤هـ / ٦٧٤م)،

ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات، سلسلة جب التذكارية، ليدن، ١٩٧١.

ابن حنبل، الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)،

مسند الامام أحمد بن حنبل، ٦م، المكتب الاسلامي ودار صادر، بيروت، (د. ت).

الحنبلي الحلبي، رضي الدين محمد بن إبراهيم (ت ٩٧١هـ / ١٥٦٣م)،

در الحب في تاريخ أعيان حلب، تحقيق محمود حمد الفاخوري ويحيى عبارة، منشورات وزارة

الثقافة، دمشق، ١٩٧٣.

الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ١٠٦٩هـ / ١٦٥٨م)،

ريحانة الألباء وزينة الحياة الدنيا، تحقيق محمد عبدالفتاح الحلو، القاهرة، ١٩٦٤.

الخلولاني، عبد الجبار بن عبدالله (ت ٣٦٥هـ / ٩٧٥م)،

تاريخ داريا، تحقيق سعيد الأفغاني، المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٥٠م، أعيد طبعه

سنة ١٩٧٤.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧١م)،

تاريخ بغداد، ١٤ ج، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ت)،

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)،

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨م، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت،

١٩٦٨ - ١٩٧٢.

- الدمي، كمال الدين محمد بن موسى (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)،
حياة الحيوان الكبرى، ط ٤، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٩.
دوزي، رينهارت،
تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،
١٩٩٠.
ذو الرمة، غيلان بن عقبة (ت ١١٧هـ / ٧٣٥م)،
ديوان ذي الذمة، تحقيق عبدالقدوس أبو صالح، دمشق، ١٩٧٣.
ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج (ت ٢٨٣هـ / م)،
ديوان ابن الرومي، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٣ - ١٩٧٩.
الزنجشيري، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م)،
ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق محمد سليم النعيمي، مطبعة العاني، بغداد،
١٩٧٩ - ١٩٨٠.
الزنجشيري، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م)،
الكشاف عن حقائق التنزيل، دار المعرفة، بيروت، (د. ت).
السبكي، أبو نصر عبدالوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ / ١٣٧٠م)
طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناجي وعبدالفتاح محمد الحلو، ط ١، مطبعة
عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤.
السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ / ١٤١٤م)،
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. ٨ ج في ٤ م دار مكتبة الحياة، بيروت (د. ت)،
ابن سعد، محمد بن سعد (ت ٢٠٣هـ / ٨٤٥م)،
كتاب الطبقات الكبير، ٩ ج تحقيق إدوارد سخو، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٤٠، أعادت
تصوير بالأوفست مكتبة مؤسسة النصر، طهران، (د. ت)
ابن سناء الملك، أبو القاسم هبة الله بن جعفر (ت ٦٠٨هـ / ١٢١٢م)،
ديوان ابن سناء الملك، تحقيق محمد إبراهيم نصر، القاهرة، ١٩٦٩.
ابن سناء الملك، أبو القاسم هبة الله بن جعفر (ت ٦٠٨هـ / ١٢١٢م)،
دار الطراز، تحقيق جودت الركابي، دمشق، ١٩٧٧.
سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ / ٧٩٦م)،
الكتاب، ط بولاق
السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)،
الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
القاهرة، ١٩٧٤.

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)،
مقامات السيوطي، تحقيق سمير محمود الدروبي، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)،
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي
الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٤.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٢٦م)،
الوافي بالوفيات، ج ١، تحقيق هلموت ريتز، فيسبادن، ١٩٦١.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٢٦م)،
الوافي بالوفيات، مخطوطة البودليادنة باكسفورد، رقم ٢٣١ من مجموعة أرش سلد.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)،
تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١.
- الطغرائي، أبو إسماعيل الحسين بن علي (ت ٥١٥هـ / ١١٢١م)،
ديوان الطغرائي، تحقيق علي جواد الطاهر، ويحيى الجبوري، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٧٦.
- ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م)،
«ضرب الحوطة على جميع الغوطة»، تحقيق أسعد طلس، مجلة المجمع العلمي العربي،
دمشق، م ٢١ (١٩٤٦).
- ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م)،
قضاة دمشق المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٦.
- ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر أحمد بن محمد (ت ٣٢٧هـ / ٩٣٨م)،
ديوان ابن عبد ربه، جمع وتحقيق محمد رضوان الداية، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت،
١٩٧٩م.
- أبو عبيدة التميمي، معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ / ٨٢٤م)،
نقائض جرير والفرزدق، تحقيق A.A. Bevan (نسخة مصورة عن طبعة ليدن،
١٩٠٥ - ١٩١٢)، دار صادر، بيروت (د. ت).
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤هـ)،
جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عبدالمجيد قطاش، ط ١، المؤسسة العربية
الحديثة، القاهرة، ١٩٦٤.
- العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين (ت ٦١٦هـ / ١٢١٩م)،
ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، المسمى بالبيان في شرح الديوان، تحقيق
مصطفى السقا وآخرين، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧١.

العاظمي ، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢١م) ،
الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، مكتبة المحتسب ، عمان ، ١٩٧٣ .
ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحفي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) ،
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ٨ج / ٤م ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ،
(د . ت) .

الغزي الدمشقي ، نجم الدين محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ / ١٦٥١م) ،
لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر ، ٢م ، تحقيق
محمود الشيخ ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٨١ .
الغزي الدمشقي ، نجم الدين محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ / ١٦٥١م) ،
الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، ٣م ، تحقيق جبرائيل جبور ، المطبعة الامريكية ،
بيروت ، ١٩٤٥ - ١٩٥٩ ، الطبعة الثانية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

أبو الفداء ، عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) ،
تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، نسخة مصورة عن طبعة باريس ، ١٨٤٠م .
ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين أحمد (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) ،
التعريف بالمصطلح الشريف ، مطبعة العاصمة ، القاهرة ، ١٣١٢هـ .

ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) ،
عيون الأخبار ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) ،
صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ١٤م (نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ،
وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

الكتاني ، محمد الحسني
فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات ، المطبعة الجديدة
بالتالعة ، ١٣٤٧هـ .

كثير ، أبو صخر كثير عبد الرحمن (ت هـ / م) ،
ديوان كثير عزة ، جمع وشرح إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧١م .
المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م) ،
المقتضب ، تحقيق عبد الخالق عزيمة ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ .
المتلمس الضبعي ، جرير بن عبد المسيح (ق . هـ ٥١ / ٥٦٩م) ،
ديوان المتلمس الضبعي ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ،
١٩٧٠ .

- ابن محاسن ، يحيى بن أبي الصفا بن أحمد (ت ١٠٥٣هـ / ١٦٤٣م)،
 المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية، دراسة وتحقيق محمد عدنان البخيت، ط ١، دار
 الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١.
- مجنون ليلي، قيس بن الملوح بن مزاحم (ت ٧٠هـ / ٦٩٨م)،
 ديوان مجنون ليلي، جمع وتحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر، القاهرة، (د. ت).
 المحبي، محمد أمين بن فضل الله (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م)،
 خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٤م، تصوير دار صادر، بيروت، ١٩٧٠.
 محمد، محمد أمين، (محقق)، وثائق السلطان الناصر محمد بن قلاوون، القاهرة، ١٩٨٢.
 المدني، ابراهيم بن عبدالرحمن الخياري (ت ١٠٨٣هـ / ١٦٧٢م)،
 تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، ٣ ج، تحقيق رجاء السامرائي، بغداد، ١٩٦٩ - ١٩٨٠.
 المرادي، محمد خليل بن علي بن محمد مراد (ت ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م)،
 عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام، تحقيق محمد مطيع الحافظ، ورياض عبد الحميد
 مراد، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٩،
 المرزوقي، أبو علي أحمد (ت ٤٢١هـ / م)،
 شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٥٣.
 المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت /)،
 مروج الذهب ومعادن الجوهر، باعتناء باربي دميانا رو و باوه دلورتل، ط ٢، مؤسسة
 مطبوعات اسماعيليان ١، طهران، ١٩٧٠
 المصري الحنفي، أحمد شلبي بن عبد الغني (١١٥٠هـ / ١٧٣٧م)،
 أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق عبدالرحيم عبدالرحمن
 عبدالرحيم، القاهرة، ١٩٧٨.
 المقرئزي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)،
 كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، تحقيق G. Wiet،
 القاهرة، ١٩٢٢.
 المكّي، عباس بن علي بن نور الدين،
 نزهة الجليس، النجف، ١٩٦٧.
 ابن محاتي . أسعد بن مهذب (ت ٦٠٦هـ - ١٢٠٩م)،
 قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٤٣.
 ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)،
 لسان العرب، ١٤ مجلد، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥ - ١٩٥٦.

- منق، المولى علي بن بلي (ت ٩٩٢هـ / ١٥٨٤م)،
العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، ذيل كتاب الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية
لأحمد بن مصطفى المعروف بـ طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ / ١٥٦م)، دار الكتاب العربي،
بيروت، ١٩٧٥.
- الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري (٥١٨هـ / ١١٢٤م)،
مجمع الأمثال، ٢م، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط ٣، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٢.
ابن نباته المصري، أبو بكر جمال الدين محمد (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)،
شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٤.
ابن نباته المصري، أبو بكر جمال الدين محمد (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)،
ديوان ابن نباته المصري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).
أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبدالله (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م)،
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٨م، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧.
أبو نواس، أبو علي الحسن بن هاني (ت ١٩٥هـ / ٨١٠م)،
ديوان أبي نواس، تحقيق بهجت الحديشي، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٨٠.
النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)،
نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.
النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد (ت ٩٨٨هـ / ١٥٨٠م)،
البرق اليماني في الفتح العثماني، تحقيق الشيخ محمد الجاسر، الرياض، ١٩٦٧.
الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر (ت ٦١٨هـ / ١٢٢١م)،
كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل - طومين، منشورات المعهد
الفرنسي، دمشق، ١٩٥٣.
- الوطواط، محمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبي (ت ٧١٨هـ / ١٣١٨م)،
مباهج الفكر ومناهج العبر، دراسة وتحقيق عبدالعال عبدالمنعم الشامي، الكويت، ١٩٨١.
ياقوت الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)،
معجم الأدباء، تحقيق مرجليوث، دار المأمون، القاهرة، ١٩٣٦ - ١٩٣٨.
ياقوت الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)،
معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥.

٣ - المصادر العثمانية

سجل شرعي محكمة القدس الشرعية/ حجة تاريخ ٩٦٣ هـ / ١٥٥٥ م.

سجل شرعي محكمة القدس الشرعية رقم ٣١/ تاريخ ١٤ ذي الحجة سنة ٩٧٣ هـ / ١٥٦٥ م.

طابو دفتری رقم ٦٨ (٩٢٥ هـ / ١٥١٩ م)،

مصورة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية عن مخطوطة مديرية محفوظات رئاسة الوزراء باسطنبول .

طابو دفتری رقم ٢٦٣ (٩٥٥ هـ / ١٥٤٨ م)،

مصورة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية عن مخطوطة مديرية محفوظات رئاسة الوزراء باسطنبول .

طابو دفتری رقم ٣٧٢ (٩٣٢ هـ / ١٥٢٥ م)،

مصورة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية عن مخطوطة مديرية محفوظات رئاسة الوزراء باسطنبول .

طابو دفتری رقم ٤٠١ (٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م)،

مصورة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية عن مخطوطة مديرية محفوظات رئاسة الوزراء باسطنبول .

طابو دفتری رقم ٤٣٠ (٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م)،

مصورة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية عن مخطوطة مديرية محفوظات رئاسة الوزراء باسطنبول .

طابو دفتری رقم ٥١٦ (٩٧٠ هـ / ١٥٦٢ - ١٥٦٣ م)،

مصورة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية عن مخطوطة مديرية محفوظات رئاسة الوزراء باسطنبول .

طابو دفتری رقم ١٠١٧ (دون تاريخ)،

مصورة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية عن مخطوطة مديرية محفوظات رئاسة الوزراء باسطنبول .

رفع
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس
٢ - المراجع العربية

باشا، عمر موسى،

ابن نباتة المصري أمير شعراء المشرق، القاهرة، ١٩٦٢ .

بدران، عبدالقادر،

تهذيب تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٧٩ .

خمار، قسطنطين .

أسماء الأماكن والمواقع والمعالم المعروفة في فلسطين حتى العام ١٩٤٨ ، المؤسسة العربية

للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠ .

الدومنيكي، مرمجي،

بلدانية فلسطين العربية، وقف عليها وفهرسها محمد خليل الباشا ، عالم الكتب، بيروت،

١٩٨٧ .

رمزي، محمد،

القاموس الجغرافي للبلاد المصرية المندرسية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،

١٩٥٣-١٩٥٤ .

الزركلي، خير الدين،

الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، (د . ت) .

الطويل، توفيق

التصوف في مصر إبان العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة .

العسلي، كامل جميل

موسم النبي موسى في فلسطين : تاريخ الموسم والمقام، منشورات الجامعة الأردنية، ط ١،

عمان، ١٩٩٠ .

عطاءالله، محمود

نيابة غزة في العهد المملوكي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٦ .

عفيفي، محمد

الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

القاهرة، ١٩٩١ .

غربال، محمد شفيق

مصر عند مفترق الطرق ١٧٩٨ - ١٨٠١ م : المقالة الأولى في ترتيب الديار المصرية في عهد

الدولة العثمانية كما شرحه حسين أفندي أحد أفندية الروزنامة في عهد الحملة الفرنسية مجلة كلية

الآداب، جامعة فؤاد الأول، م ٤ (١٩٣٦)، ج ١، ١٩٣٦، (الطبعة الثانية،

١٩٥٣)، ص ١ - ٦٩ .

فريحات، محمد نور

القضاء الشرعي في مصر في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨.

كحالة، عمر رضا

معجم المؤلفين: تراجم مصنفى الكتب العربية، ١٥م، مكتبة المثنى، بيروت، ودار إحياء التراث العربى، بيروت (د. ت).

كرد علي، محمد (ت ١٩٥٣م)

غوطة دمشق، ط ٢، دمشق، ١٩٥٣.

محمد أبشرى ومحمد داوود التميمي (محققان ومقدمان)،

أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين في ألوية غزة، القدس الشريف، صفد، نابلس، عجلون، منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، اسطنبول ١١٤٠١هـ/ ١٩٨٢م.

محمد، ثريا

سجل عثماني ياخوذ تذكرة = مشاهير عثمانية، نسخة مصورة عن طبعة اسطنبول ١٣٤١هـ.

أعيد تصويرها في مؤسسة Gregg International Publisher Limited Hants, 1971.

٤

محمد، سعاد ماهر

مساجد مصر وأولياؤها، مطابع الأهرام التجارية، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧١.

المنجد، صلاح الدين

ولاية دمشق في العهد العثماني، دمشق، ١٩٤٩.

ناصر، جلال أسعد

عمائر السلطان قايتباي في بيت المقدس، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة لجامعة القاهرة، ١٩٧٤.

نصر، محمد ابراهيم

ابن سناء الملك: حياته وشعره، القاهرة، ١٩٦٧

وزارة الأوقاف المصرية،

مساجد مصر، القاهرة، ١٩١٨.

٤ - المراجع الأجنبية

- Bakhit, M.A., *The Ottoman Province of Damascus in the Sixteenth Century*, Librairie de Liban, Beirut, 1982.
- Cohen, Amnon and B. Lewis, *Population and Revenue in the Towns of Palestine in the Sixteenth Century*, Princeton University Press, Princeton 1978.
- Elisseeff, N., "Djillik", in *El²*, II, p. 541.
- Gibb, H. A. R., J. H. "Kramers," et al, (ed.), *The Encyclopaedia of Islam*, (second edition), 4 Vols., Leiden, London, 1960 - in Process.
- Heyd, U., *Ottoman Documents on Palestine 1552 - 1615*, (OUP), 1990.
- Hütteroth, Wolf - Dieter and Kamal Abdul - Fattah, *Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the late 16th Century*, Erlangen, 1977.
- Inalcik, H., "Bursa", in *El²*, I, pp. 1333 - 1336.
- Jomier, J., "Bulāk", in *El²*, I, p. 1299..
- Kaldy Nagy, G. y., "Kaḍi 'Askar", in *El²*, IV, pp. 375 - 376.
- Levi Della Vida, G. , "Udhra", in *El²*, VIII, pp. 988 - 990.
- Marquet, Y., "Iḫwān al-Ṣafā' ", in *El²*, III, pp. 1071 - 1076.
- Nicholson, R.A. (J. Pedersen), "Ibn al-Fāriḍ", in *El²*, III, pp. 763 - 764.
- Rikabi, J., "Ibn Nubāta" in *El²*, III, pp. 900 - 901.
- Robson, J., "al-Bayḍāwī", in *El²*. I. p. 1129.
- Schmitz, M., "Ka'ab al-Aḥbār", in *El²*, IV, pp. 316 - 317.
- Smoor, p., "al-Ma'arri", in *El*, V, pp. 927 - 935.
- Wiet, G. 9., "Bilbays", in *El²*, I, p. 1218.

فهرس المحتويات

٢٢ - ٧ مقدمة التحقيق
٩ - ٧ ١ - صاحب الرحلة
١٩ - ١٠ ٢ - قصة الرحلة
٢١ - ١٩ ٣ - النسخ المعتمدة في التحقيق
٢٢ ٤ - منهج التحقيق
١١٨ - ٢٣ نص الرحلة
١٤٤ - ١١٩ فهرس الرحلة
١٢٢ - ١٢٠ ١ - فهرس الآيات القرآنية
١٢٨ - ١٢٣ ٢ - فهرس الأشعار
١٢٩ ٣ - فهرس أنصاف الآيات
١٣٥ - ١٣٠ ٤ - فهرس الأعلام
١٣٨ - ١٣٦ ٥ - فهرس الطوائف والقبائل والجماعات
١٤٤ - ١٣٩ ٦ - فهرس الأماكن والبلدان
١٥٦ - ١٤٥ ٧ - فهرس المصادر والمراجع
١٥٧ ٨ - فهرس المحتويات

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس